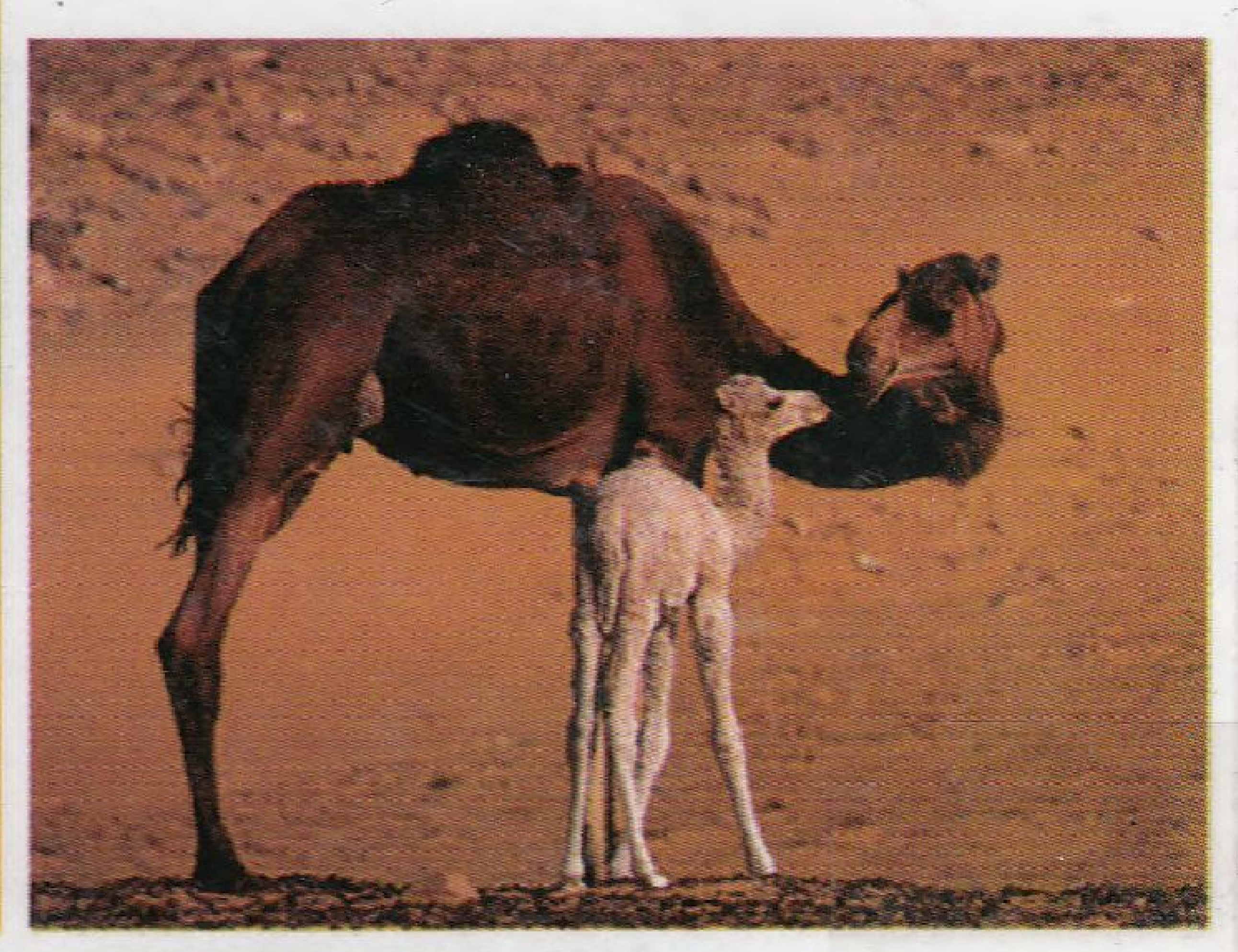


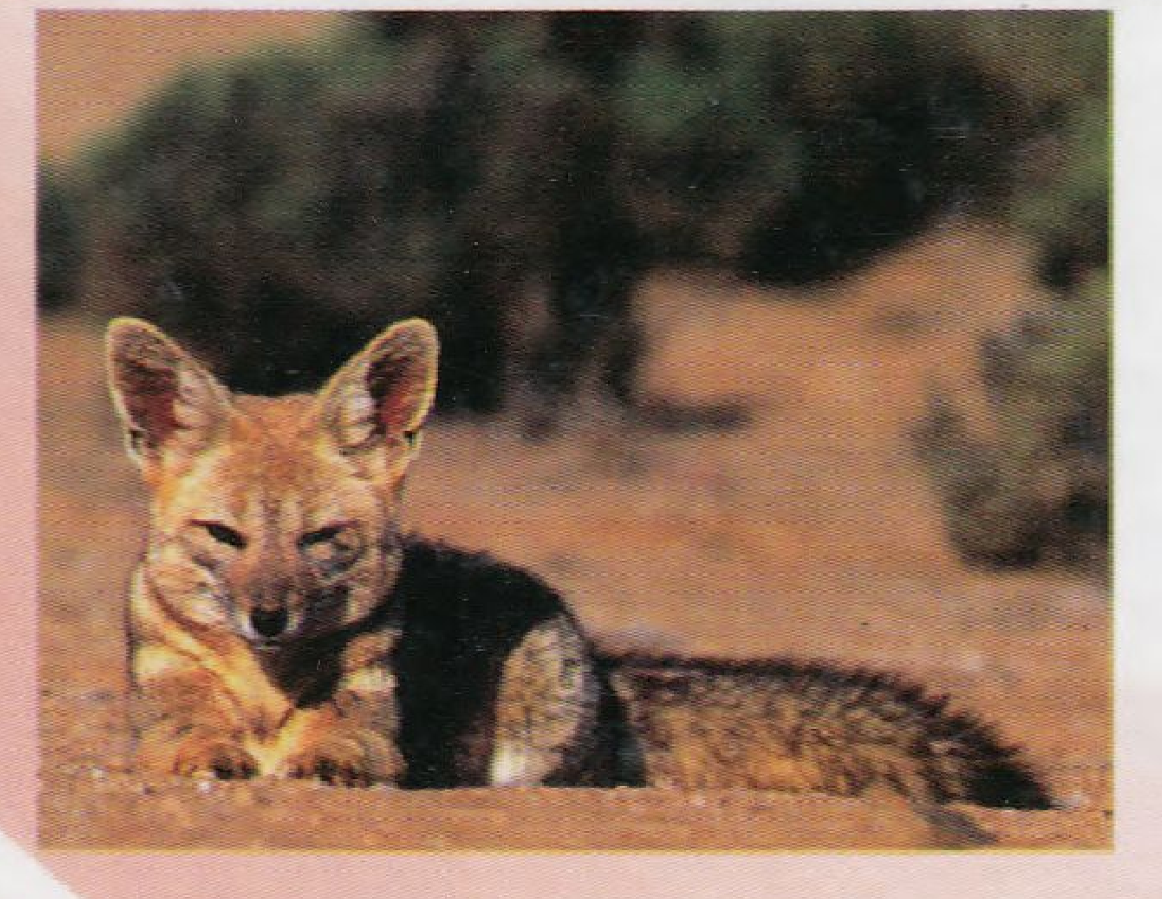
علوم الأرض والسكان

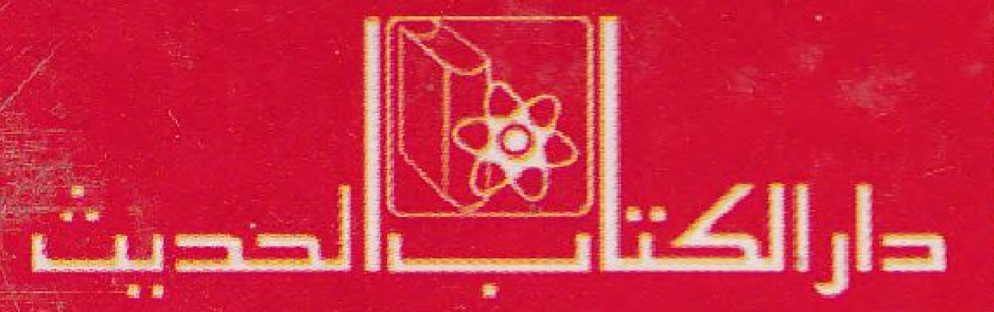
رواد الصحاري عبر التاريخ

دراسة ديموغرافية









محمد سميح عافية

دار الكتاب الحديث

دار الآفاق الجديدة

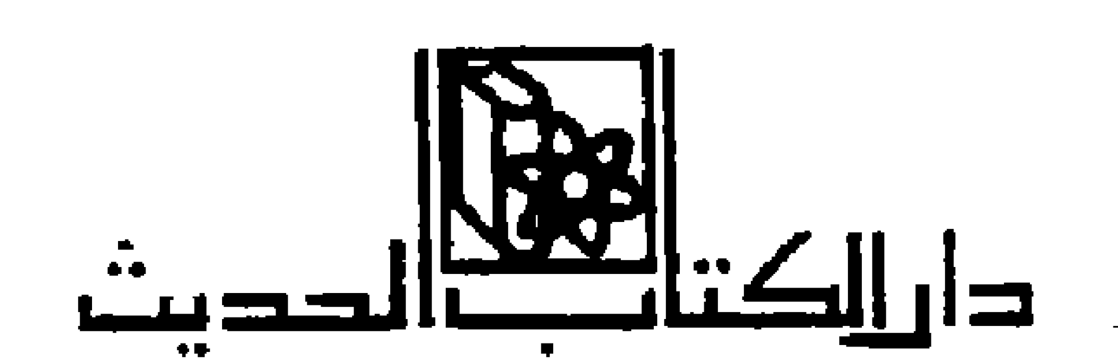
علوم الأرض

علوم الأرض والسكان

رواد الصحارى عبر التاريخ

دراسة ديموغرافية

محمد سميح عافية



دار الكتاب الحديث

عافية ، محمد سميح .

علوم الأرض والسكان ورواد الصحارى عبر التاريخ دراسة ديموغرافية / محمد سميح عافية . ـ ط1 . ـ القاهرة : دار الكتاب الحديث ، 2010

284 ص : 24 سم

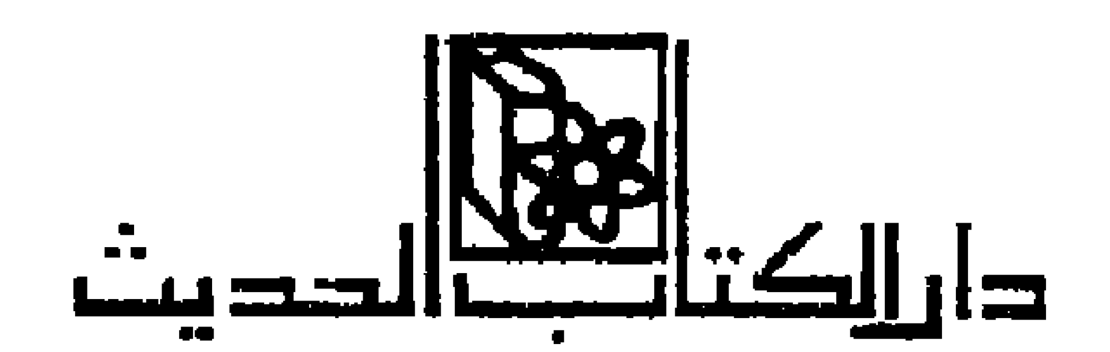
تدمك :5 - 978-977-350-327

1- الصحارى. 2- الأرض ، علوم .

أ ـ العنوان .

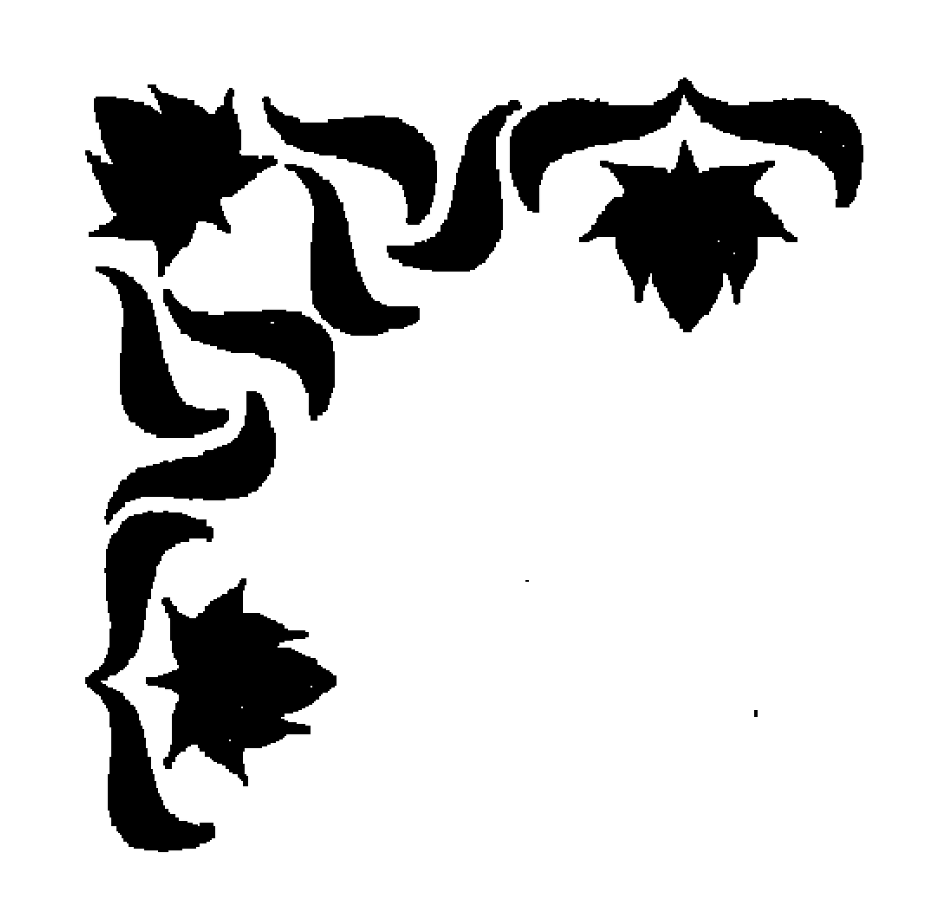
551.415

رقم الإيداع /2010/13033



القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد إلكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	B. P. No 061 – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail dk.hadith@yahoo.fr
الامارات	دار العيدروس لكتاب الحديث ص ب . 2855ابو ظبي هاتف 00971505932613 فاكس 0097126392062 email: alaidaroosgp@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ... (٢٥٥) ﴾ [البقرة]
صدق الله العظيم





إهداء

إلى:

من حباه الله واسع العلم فى شئون الأرض،

وحباه الله بروح صوفية،

وحباه الله بنعمة الإقبال على خدمة الناس

الأستاذ الدكتور رجائى الطحلاوى





أرض مصر التى نعيش عليها جـزء من الصحراء الكبرى التى تمتد من أرض موريتانيا والمغرب إلى أرض الكويت وقطر والإمارات.

فأرض مـصر كلها صـحراء يختـرقهـا نهر وافد من الخـارج، من منابع فى الهضبة الاستوائية وهضبة أثيوبيا.

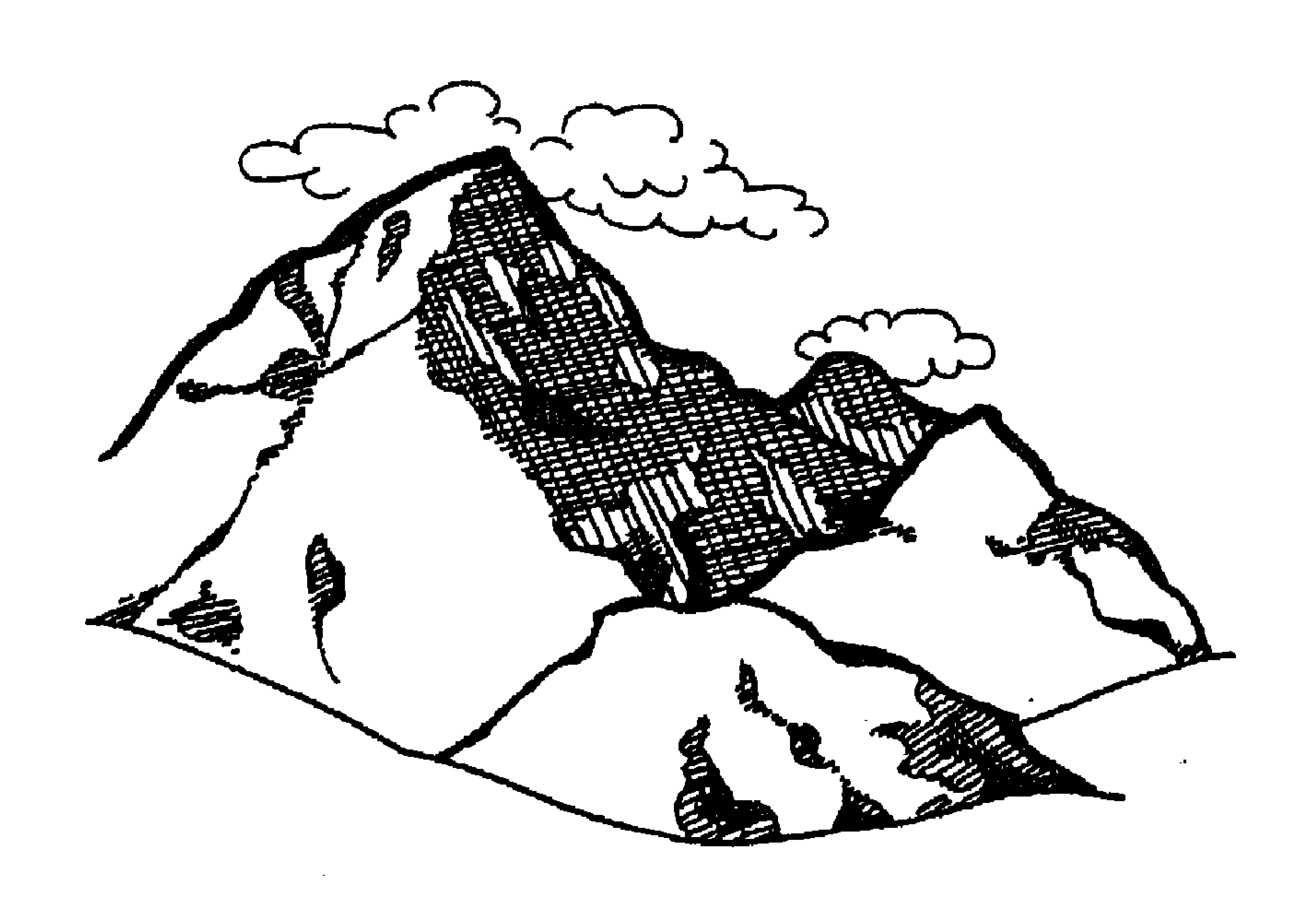
وأرض مـصـر الصحـراء يتـركـز سكناها حـول النيل ودلتـاه، ولا يسكن صحراءها من أهل مصر إلا النذر اليسير.

ومن حق المصـريين أن يعرفـوا من هـم الذين ارتادوا صـحراءها على مـدى التاريخ، قاصدين النيل أو مرتحلين عنه، مستهدفين سلما أو راغبين فى حرب.

ويروى هذا الكتاب طرفا من سيرة رواد الصحارى المصرية على مدى مراحل التاريخ.

الفصل الأول

قبل أن تصبح مصر الصحراء الحالية



لم تكن الأراضى المصرية خلال الأزمنة الجيولوجية المتأخرة التى يقدرها العلماء ببضع مئات من آلاف السنين، (ويقسمونها إلى بليوسين Pliocene ثم إلى الأحدث وهو بليوستوسين Pleistocene ثم إلى الأحدث وهو الموقف الراهن Recent)، يمثل ما نعهده حالياً من جفاف صحراوى. وقد تقلبت على البيئة المصرية خلال البضعة عشرات من آلاف السنين الأخيرة ظروف متتالية من الفترات المطيرة وشبه الصحراوية (42).

الدورات المطيرة:

يذكر «سليمان حزين» (فى كتابه عن مقدمات الحضارة المصرية) أنه منذ عصر البليوسين الأعلى مرت على البيئة المصرية الصحراوية دورتان مطيرتان أساسيتان وكانت الدورة الأولى أطول وأهم. وبعد انتهاء الفترة المطيرة الثانية عاد الجفاف تدريجيا، وقد تخللته فترات ذات زيادة نسبية فى المطر بدأت فى الألف السادسة قبل الميلاد واستمرت حتى الألف الثالثة قبل الميلاد. ووصل أقصى الجفاف على ما هو عليه الآن منذ حوالى القرن الخامس أو السادس الميلادى.

ويرى هايز Hays أن هناك فترتين مطيرتين تأكد حدوثهما بصفة خاصة باستخدام تقديرات الكربون المشع «14»، حدثت الأولى فى الفترة ما بين سبعة آلاف وخمسة آلاف وخمسمائة عام قبل الميلاد، وحدثت الثانية فى الفترة ما بين ثلاثة آلاف وخمسمائة وألف ومائتى عام قبل الميلاد.

كذلك يرى «رشدى سعيد» أن الصحارى المصرية قد تمتعت بفترتين مطيرتين خلال ما قبل التاريخ، الأولى منذ خمسين ألف عام والثانية منذ سبعة آلاف عام.

البيئة النباتية والحيوانية:

وعن البيئة النباية والحيوانية، يرى «هايز» أن المجتمعات الرعوية كانت تشغل الصحارى خلال الفترة من ثلاثة آلاف وثمانمائة إلى ألفين وأربعمائة عام قبل

الميلاد. أما استئناس الحيوان فقد بدأ منذ ثلاثة آلاف وتسعمائة عام قبل الميلاد في الأراضي الصحراوية. ويقرر «هايز» أن المراعي كانت تغطي معظم سطح الصحاري المصرية خلال الفترات المطيرة وأن الصحراء كانت تتخللها بعض البحيرات. ويعطي «هايز» خريطة لتوزيع مناطق الأمطار والنباتات خلال الفترة من خمسة آلاف إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد. ومنها يتبين أن الغابات كانت تكسو حوض نهر النيل ودلتاه، وأن الصحراء الشرقية وسيناء كانتا مراعي متفاوتة الغزارة من موضع لآخر. ويذكر «بوتزر» أن البقايا الحيوانية التي عثر عليها في أنحاء الصحراء الشرقية تعطي أمثلة للحياة الحيوانية في الفترتين المطيرتين. ففي واد العطواني بقايا الفيل والزراف والنعام والتمساح وفرس النهر والغزال والوعل. وفي وادي زيدون ووادي منيح بقايا النعام والزراف والفيل والتمساح وفرس النهر والأسد والغنم البرية والغزال. وفي وادي الخريت بقايا الزراف والنعام والفيل وفرس النهر والوعول والأيائل. وكل هذه الوديان تصب في النيل.

وجدير بالذكر أنه في جنوب الصحراء الشرقية خلف سلسلة جبال الفرايد موقع اسمه زرقة النعام ولعل ذلك يعني وجود بعض النعام في أوقات غير بعيدة من الآن. وقد حدث في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين أن اصطاد أحد الزملاء نعامة في موقع قريب من زرقة النعام.

وفي الصحراء الغربية وجدت آثار لوجود الزراف جهة العوينات في النقوش الجدارية. كما أن نقش «السباحين» الذي عثر عليه على حائط لأحد كهوف وادي الصورة في الجانب الغربي من هضبة الجلف الكبير، فيه دلالة مؤكدة على توافر الماء في هذا الموقع خلال إحدى الدورات المطيرة.

مناخ جبال البحر الأحمر:

(120) ذكر «ماركو تافياني Marco Taviani» أن منطقة جبال البحر الأحمر تعرضت لتغيرات مناخية خلال العشرين ألف عام الأخيرة نتيجة لانحسار الفترة الجليدية الأخيرة. وأكدت الدراسات أن الفترة ما بين عشرة آلاف وخمسة آلاف

عام من الآن شـهدت المنطقـة ظروفاً من توافر الميـاه فى أنحاء الصـحراء الشرقـية جعلها صـالحة للسكنى الدائمة أو شبه المقـيمة مع سهولة ممارسـة الرعى والصيد. واستـمرت هذه الظروف المناسـبة للسكنى إلى ما قـبل الأسرات، ثم بدأ الجـفاف يزحف خلال الفـترة المبكرة من عهـد الأسرات حين نزح السكان تدريجيـاً إلى ما حول نـهر النيل. وكـان وادى الحمـامات بين قنا والقـصيـر مغمـوراً منذ ما قـبل التاريخ، وترك الصيادون نقوشاً جدارية ترجع للألف الرابعة قبل الميلاد.

الكهوف الصحراوية:

(92) بمناسبـة ذكر كهـوف الصورة ناحيـة الجلف الكبيـر، فقد حـدد «نبيل إمبابى» ستة كهوف فى الصحراء الشرقـية وستة كهوف فى الصحراء الغربية، وفى بعضـها نقوش حـائطية لوجود حـياة بدائية قـديمة خلال فتـرات مطيرة. من هذه الكهوف «مغارة الجارة» الواقعة بين الفرافرة وأسيوط (غرب غرد أبو المحارق مسافة عشرة كيلومـترات). وكانت بعثة الرحالة رولفس قد اكـتشفت هذه المغارة فى 24 ديسمـبر عام 1873 وبها رسـوم حائطية لآدميين وحـيوانات منها النعـام والوعول والماعز، وهى ترجع لفترة النيوليتى من قبل التاريخ، وتحددت فترة توفر الماء وقتئذ بشىء من الدقة مـا بين عامى 9670 - 5450 قبل الآن. ومن كـهوف الصـحراء الشرقية «مـغارة الفهد» فى هضبة الجلالـة القبلية (خط عرض 46، 28 وخط طول 9، 32°) وفيـها رسوم للفهـد وبعض الوعول، وتحدد عـمرها إلى فتـرة توفر الماء 3680-8880 قبل الآن.

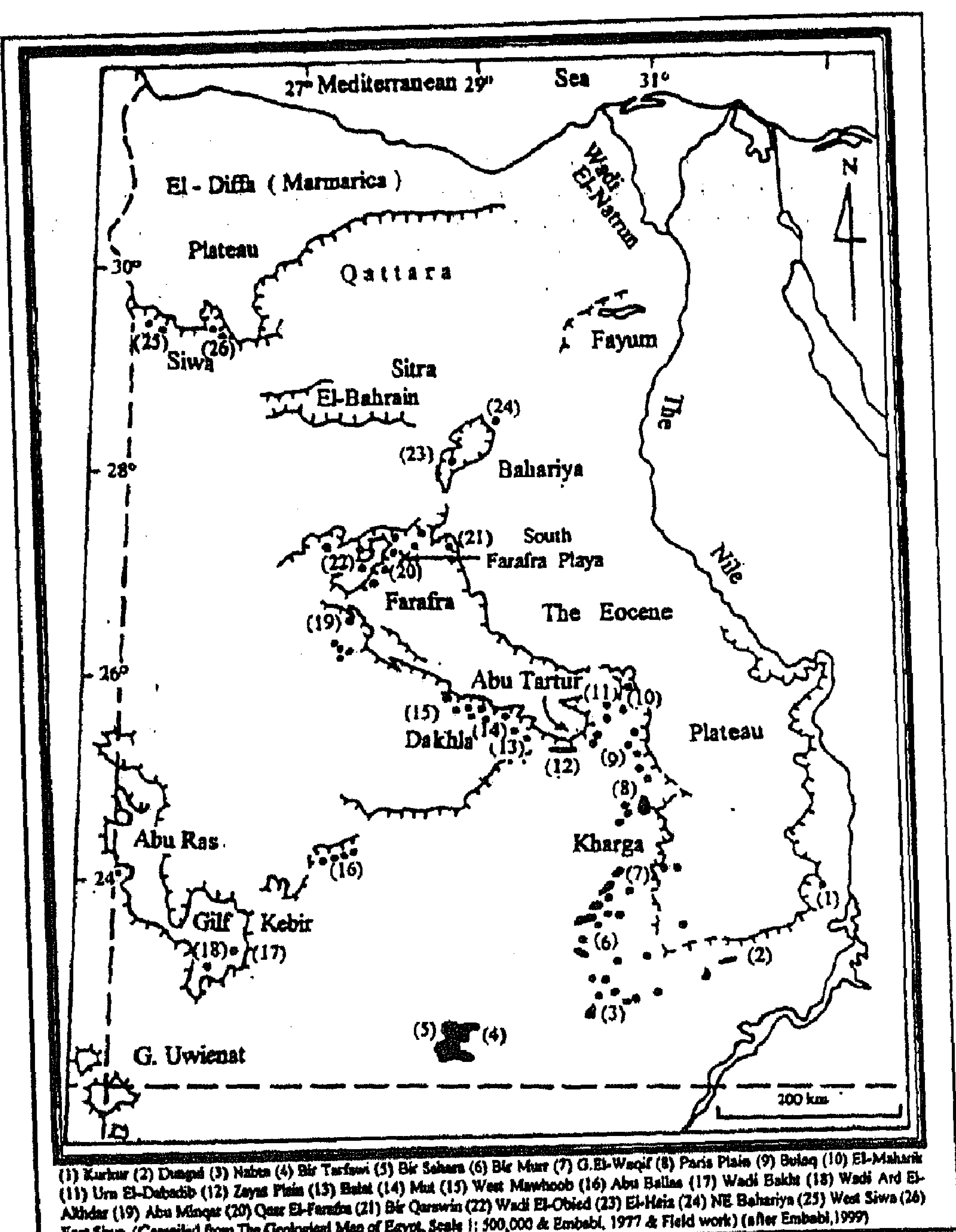
السكنى البشرية فى الصحراء:

(80) بين «فكرى حسن» فى دراسـته التى أجراها مع Barbra Barich باربرا باريش أن الظروف المناخية المستقرة التى سادت خلال الفترة 8600-7000 قبل الآن فى الصحـارى قد أتاحت إمكانيـة الزراعة فى الفرافـرة وفى الداخلة وفى النبطة، شأنها شأن أجزاء أخرى من صحارى ليبـيا والنيجر، فكانت هناك تجمعات سكانية مسـتقرة حول بحـيرات صغـيرة تأكد وجودها بوجـود مخلفات طينيـة حول تلك

البحيرات المندثرة تسمى بلايا Playa ، وكانت هذه التجمعات تزرع الحبوب ومنها الشعير.

(99) وقد أكدت اختبارات كربون «14» المشع التى أجرها «فكرى حسن» أن أقدم إقامة حول البحيرات «بلايا» فى الصحراء الغربية ترجع إلى حوالى 9650 عاما قبل الآن. ولم تكن الظروف ملائمة تماما لوجود الأبقار مع التجمعات السكانية وإنما كانت ملائمة لاستئناس وتربية الغنم والماعز، كما استمر صيد الغزال وأنواع من الحيوانات تحت ظروف السافانا ومنها صيد النعام. ثم ظهرت عوامل التصحر خلال القرن السابع قبل الآن وما بعده، مما حتم تغييراً فى نمط الحياة من الاستقرار الزراعى إلى الرعى. كذلك فإن مراحل الجفاف فى الصحارى الغربية خلال الفترة 7300-5900 عام قبل الآن قد جعلت جزءاً من السكان يفضلون الهجرة إلى وادى النيل وممارسة الزراعة بها. وقد ظل سكان الصحراء يتحملون التغير المناخى حتى ظهرت بوضوح الصفات الصحراوية القاحلة القائمة حتى الآن. وجعل من تبقى من السكان يلتزمون بالإقامة حول العيون والآبار فى المنخفضات. وإن ما تخلف من آثار وجود سكان الداخلة أيام الدولة القديمة الفرعونية ليبين احتياج السكان وقتئذ أحياناً إلى حفر الآبار للوصول إلى الماء اللازم للمعيشة وللزراعة.

(100) وقد أشار «مايكل هوفمان Michael Hoffman فى كتابه عن مصر قبل الفراعنة، لوجود آثار سكنى أهل الفترة الباليوليتية (قبل التاريخ) فى بئر صحارى وبئر طرفاوى فى الصحراء الغربية. كما ذكر أن سكان موقع النبطة قد عمروها خلال نهاية الباليوليتى وبداية النيوليتى التى ترجع للفترة 7300- 4000 عام قبل الميلاد. وقد مارس سكان النبطة الصيد أولا ثم انتقلوا إلى حرفة الرعى ثم مارسوا زراعة الشعير واستأنسوا الغنم فى حوالى 6000 عام قبل الميلاد. واستمرت حالة الاستقرار فى النبطة ومثيلاتها حول بحيرات البلايا لمدة ألفى عام بعد ذلك مع وجود أمطار تمكنهم من الاستقرار.



(1) Kurkur (2) Dungul (3) Nabta (4) Bir Tarfawi (5) Bir Sahara (6) Bir Murr (7) G.El-Waqif (8) Paris Plain (9) Bulaq (10) El-Maharik (11) Um El-Dabadib (12) Zayat Plain (13) Balat (14) Mut (15) West Mawhoob (16) Abu Ballas (17) Wadi Bakht (18) Wadi Ard El-Akhdar (19) Abu Minqar (20) Qasr El-Farafra (21) Bir Qarawin (22) Wadi El-Obied (23) El-Haiz (24) NE Bahariya (25) West Siwa (26) East Siwa. (Compiled from The Geological Map of Egypt, Scale 1: 500,000 & Embabi, 1977 & Field work) (after Embabi,1999)

مواقع البحيرات القديمة (ما قبل التاريخ)

[عن محمود عاشور]

ومع ازدياد الجفاف ازدادت هجرة السكان إلى وادى النيل ولم يبق إلا أصحاب الرعى المحدود فى وديان سيناء والصحراء الشرقية وفى منخفضات الصحراء الغربية حيث تنبع عيون الماء.

الأودية الصحراوية ما قبل النيل:

(49) بين «البهى عيسوى» أنه فى الوقت الذى لم يكن هناك نهر يجرى آتيا من الجنوب من خارج الأراضى المصرية لينساب داخل مصر وهى عصور ما قبل اكتمال نهر النيل الحالى، فقد توالت مع الفترات المطيرة أن بعض وديان جبال البحر الأحمر كانت تمتلئ بالماء الجارى الذى كان يجرف رواسب وديانية ويرسبها فى المواقع الأكثر انخفاضا حول ما صار إليه مجرى النيل بعد ذلك.

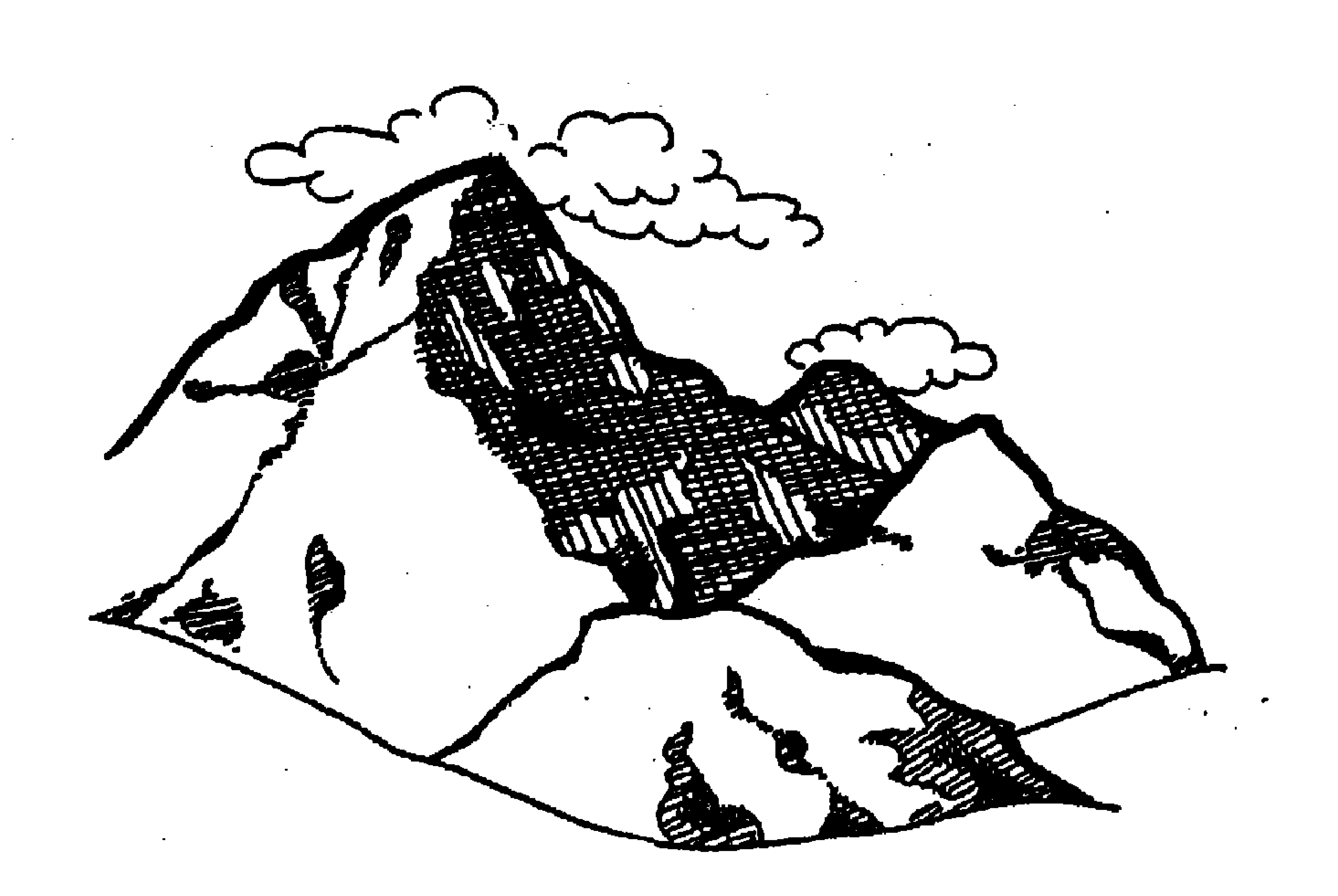
(18) وتوضح بعض المرئيات الفضائية الرادارية Radar Imaging أن بعض أودية الصحراء الغربية التى تطل على وادى النيل تقع على امتداد بعض الأودية التى تنبع فى الصحراء الشرقية وتمتد حتى وادى النيل وما يليه غربا. وتشير هذه الظاهرة إلى أنه كانت توجد أودية تنبع فى جبال البحر الأحمر وتجرى فى اتجاه الغرب داخل الصحراء الغربية، وذلك قبل نشأة مجرى نهر النيل، ولكن النيل حين جرى قطع هذا الاتصال.

(32) أما نشأة نهر النيل فيرويها لنا «رشدى سعيد» بالتفصيل فى كتابة عن «نهر النيل». ومن ضمن ما يرويه أن شكل النهر الذى نعرفه اليوم حديث التكوين اتخذه النهر بعد سلسلة من التغيرات. ففى الفترة التى امتدت بين 400-200 ألف عام لم يكن هناك وصل بين الوادى (الذى شغله الآن نهر النيل) وبين روافد الهضاب الأفريقية. وكانت توجد خلال الفترات المطيرة القديمة عدة أنهار محلية تحصل على مياهها من جبال البحر الأحمر وهضبة النوبة. وخلال مرحلة تالية بين 200-70 ألف عام قبل الآن، اتصلت مياه الأنهار المحلية فى مصر بمصادر من الهضبة الأفريقية طوال الفترات المطيرة. بعد ذلك انتظم اتصال مجرى النهر فى مصر بمصادره من خارج مصر فى الهضبتين الأثيوبية والأفريقية الوسطى. كما

انتظمت الأمطار فى الهضبة الأثيوبية وفى هضبة البحيرات فانتظم ما يصب فى روافد نهر النيل جنوب الحدود المصرية ونتج عنه انتظام فى إيراد النهر داخل الأراضى المصرية. وقد واكب هذا الانتظام ظهور الجفاف في الصحارى المصرية تدريجيا منذ حوالى 5500 عام قبل الآن.

الفصل الثانى

حدود السيادة المصرية



(3) انعقد في القاهرة في عام 1925 مؤتمر جغرافي عالمي قدمت فيه مصر مجموعة من الخرائط والبيانات الجغرافية المختلفة. وأعطت الحكومة المصرية تقديراً لمساحة الأراضي المصرية اليابسة مليونا وعشرين ألف كيلو متر مربع. ثم أعقبت الحكومة ذلك بإعداد أطلس كامل قدم للمؤتمر العالمي الذي عقد في أدنبره (بريطانيا) عام 1928.

(41) وطبقا للقانون رقم 100 لسنة 1964 ولائحته التنفيذية وما تبعها من تعديلات فإن الأراضي الزراعية هي ما كانت داخل حد «الزمام» وهي الأراضي الواقعة حول نهر النيل في الصعيد وأراضي الدلتا. أما الأراضي الواقعة خارج حد الزمام بعد مسافة كيلو مترين فهي «الأراضي الصحراوية» ويسري عليها القانون 143 لسنة 1981. على هذا النحو ينقسم سطح اليابسة المصرية (حسب تقديرات عام 1928) إلى أربعة أقسام:

* وادي النيل (الصعيد) والدلتا 32 ألف كيلو متر مربع.
* الصحراء الغربية 710 ألف كيلو متر مربع.
* الصحراء الشرقية 222 ألف كيلو متر مربع.
* سيناء 56 ألف كيلو متر مربع.

فمساحة الصعيد والدلتا حسب تقديرات عام 1928 تمثل 3.137٪ من إجمالي مساحة الأراضي المصرية. ومنذ ذلك الوقت زادت رقعة زمام الأراضي الزراعية فزادت نسبة مساحة الصعيد والدلتا إلى حوالي 4٪ من إجمالي مساحة الأراضي المصرية.

(أ) ملامح عامة للصحارى المصرية:

الصحراء الغربية:

صحراء نجدية تتألف من مساحات واسعة من المرتفعات المستوية متوسطة إلى قليلة الارتفاع. ويتخلل هذا النجد منخفضات لها مناسيب تحت مستوى سطح البحر في بعض أجزائها. وهذه المنخفضات هي واحة سيوة، منخفض القطارة، منخفض وادى النطرون، منخفض الفيوم (بحيرة قارون)، الواحات البحرية، واحات الفرافرة، الواحات الداخلة، الواحات الخارجة، ويبلغ أقصى ارتفاع في الصحراء الغربية عند الحدود الجنوبية الغربية حيث يقوم جبل العوينات بارتفاع قمته 1907 مترا فوق مستوى سطح البحر. ومن الظواهر الجغرافية وجود سلاسل من الكثبان الرملية (الغرود) عظيمة الطول قليلة العرض تمتد متوازية في اتجاه شمال غرب - جنوب شرق. وتقع غالبية سلاسل الكثبان هذه إلى الغرب من مجموعة الواحات البحرية والفرافرة والداخلة.

الصحراء الشرقية:

تمتد بها سلاسل من الجبال بدءاً من غرب السويس إلى ما بعد حدود مصر الجنوبية. وتتركب الأجزاء الشمالية من هذه الجبال من صخور رسوبية، ثم يغلب على تركيب الجبال جنوبا (ابتداء من خط عرض 30 °28) صخور القاعدة من الصخور النارية والمتحولة. وتتجه وديان الصحراء الشرقية إما غربا لتصب في وادى النيل وإما شرقا لتصب في البحر الأحمر، فيما عدا وادى قنا الذى يتجه شمال - جنوب. وأعلى قمة لجبال البحر الأحمر هى قمة جبل الشايب (عند خط عرض °27 مقابلاً للغردقة) وارتفاعها 2184 متراً.

شبه جزيرة سيناء:

يتكون جزؤها الجنوبى المثلث الشكل (بين خليجى السويس والعقبة) من مجموعة من الجبال الوعرة التى تتركب من صخور القاعدة. وأعلى جبل هو جبل كاترين وقمته أمام شومر وارتفاعها 2641 متراً وهى فى الواقع أعلى قمة جبلية فى

الأراضى المصرية. ويلى صخور القاعدة شمالا صخور رسوبية هى مرتفعات العجمة ثم تليها مرتفعات هضبة التيه ثم تنبسط الأرض شمالاً حتى البحر المتوسط. ويبرز من هذا المنبسط جبل يلق (1090 مترا) وجبل هلال (890 مترا) وجبل المغارة (725 مترا). وأهم وديان سيناء هو وادى العريش الذى ينبع من هضبتى العجمة والتيه ويصب حول العريش.

(ب) ملامح عامة للجزر المصرية فى البحر الأحمر:

(35) تحت السيادة المصرية عدد من الجزر فى مياه البحر الأحمر وفى خليجى السويس والعقبة. وقد قررتها آمال شاور بسبعة وأربعين جزيرة توزيعها كالآتى:

- 19 جزيرة فى مضيق جوبال (مدخل خليج السويس).
- 10 جزر مقابل منطقة الغردقة.
- 17 جزيرة جنوب منطقة الغردقة حتى حدود مصر الجنوبية.
- جزيرة فرعون فى أقصى شمال خليج العقبة.

وفى مدخل خليج العقبة جزيرتان هما تيران وصنافير وهما تحت سيادة حكومة المملكة العربية السعودية، إلا أن هناك اتفاقا مع الحكومة المصرية للتعاون لحمايتهما. وهذه الجزر جميعها صحراوية ولا تبعد كثيراً عن الشواطئ المصرية، فيما عدا أربع جزر، وهى جزيرتا الأخوين وجزيرة أبو الكيزان وجزيرة الزبرجد، فكلها تبرز من المياه العميقة للبحر الأحمر.

(40) تقع جزيرتا الأخوين على خط عرض 19 °26 وخط طول 51 °34 وتبعدان حوالى ستين كيلو مترا شمال شرق القصير، وبهما فنار لهداية السفن. وتقع جزيرة أبو الكيزان على خط عرض 55 °24 وخط طول 52 °35، تبعد 90 كيلو مترا جنوب شرق جزيرتى الأخوين. وأول من وصف جزيرتى الأخوين هو

فراءاس عام 1856. ثم حدث أن أوفدت الحكومة المصرية الباخرة «مباحث» التابعة لها خلال عامى 34/ 1935 تجوب البحر الأحمر وخليج عدن لإجراء دراسات متنوعة، وكان «نصرى شكرى» ضمن الفريق البحثى وأجرى على الجزيرتين دراسة جيولوجية.

ومساحة جزيرة الزبرجد حوالى 4.5 كيلو متر مربع وتقع على بعد بضعة عشر كيلو مترا مقابل طرف رأس بناس. وأعلى قمة لجبل الجزيرة ارتفاعها 235 مترا وتظهر بها صخور فوق قاعدية. وقد نشر «مون» عنها بحثا عام 1922 ثم درست فى سنوات تالية دراسات أكثر تفصيلاً.

وتعتبر جزيرة «شدوان» أهم مجموعة جزر مضيق جوبال. وكان «ميتشل» أول من ارتاد الجزيرة عام 1887 ووصف جيولوجيتها، ثم وصفها بعد ذلك آخرون. ونشر عنها نصرى شكرى بحثا نتيجة زيارة لها أثناء رحلة الباخرة مباحث (عام 34/ 1935). وأعلى قمة لهذه الجزيرة ارتفاعها 606 مترا وتظهر بها صخور القاعدة وحولها الصخور الرسوبية.

(جـ) حدود مصر البرية شرقا وغربا وجنوبا:

الحدود الشرقية:

(55) فى عام 1841 أمر الباب العالى العثمانى برسم خريطة توضح الحدود بين مصر (الأيالة العثمانية تحت حكم محمد على باشا) من جهة، وأراضى الحجاز وفلسطين من جهة أخرى. ويتضح من تلك الخريطة أن المثلث الذى أطرافه رفح وطابا والسويس (من أراضى سيناء) يكون خارج سيطرة محمد على. وبعد الوجود البريطانى فى مصر منذ عام 1882 أثير موضوع الحدود، فاقترح الجانب العثمانى تعديل الحدود ليكون الخط الممتد بين العريش ورأس محمد هو خط الحدود الفاصل بحيث يكون الجزء الغربى تابعا للسيادة المصرية، ورفضت بريطانيا باسم مصر الاقتراح.

(12) وفى إبريل عام 1892 أعلن الصدر الأعظم للدولة العثمانية (جواد باشا) الموافقة على تعديل حدود مصر الشرقية بالخط الممتد من رفح إلى طابا.

(19) وفى مستهل عام 1906 أرسلت الدولة العثمانية خمسة آلاف جندى إلى العقبة لتأكيد أن طابا جزء من «سنجق» العقبة التابع لتركيا. ولما كانت مصر وقتئذ تحت الاحتلال البريطانى، لذا تحدث المعتمد البريطانى فى مصر باسم المصالح المصرية بأن طابا هى جزء من سيناء التى هى جزء من الباشوية المصرية التى اعترفت الدول فى معاهدة لندن عام 1840 بأنها تؤول لمحمد على وورثته.

(12) وفى يوم 3 مايو عام 1906 وجهت بريطانيا للباب العالى إنذاراً للجلاء الفورى عن طابا واستجاب الباب العالى مباشرة بالانسحاب الذى تم فى يوم 14 مايو عام 1906.

أعقب ذلك ترسيم خط الحدود وتوقيع اتفاقية بشأنها فى أول أكتوبر 1906. وقد نصت المادة الأولى على تحديد المسار كما بينته الخريطة المرفقة بالاتفاقية. ونصت المادة الثالثة على أن تقام أعمدة ثابتة على طول الخط الفاصل، من النقطة الأولى على ساحل البحر المتوسط إلى النقطة الأخيرة على ساحل خليج العقبة بحيث إن كل عامود يمكن منه رؤية العامود الذى يليه وذلك بحضور مندوبين عن الفريقين، وعدد الأعمدة واحد وتسعون عاموداً. وبمقتضى تصريح 28 فبراير عام 1922 فإن خط الحدود بين مصر (دولة مستقلة) وبين بريطانيا (دولة منتدبة على فلسطين)، أصبح خط حدود مصر الشرقية. وفى 27 سبتمبر عام 1931 تبادلت مصلحتا المساحة فى مصر وفى فلسطين بيانات ما اتفق عليه لإحداثيات العلامات على الخرائط.

(55) وفى 24 فبراير عام 1949 بعد توقيع مصر الهدنة مع إسرائيل، استمر احتفاظ مصر بخط الحدود (كما هو منذ عام 1906) مضافا إليها شريط غزة الذى ترك تحت الحكم المصرى. ثم الاعتداء الثلاثى عام 1956 وقامت إسرائيل باحتلال سيناء فى الفترة من 29 أكتوبر عام 1956 حتى 22 يناير 1957 وعادت سيناء لمصر

فيما عدا شريط غزة. (12) وكان من ضمن ما اتفق عليه وجود قوات للأمم المتحدة بعمق خمسة كيلو مترات على امتداد خط الحدود.

ودخل مرسى «أم الرشراس» (إيلات) التاريخ فى النزاع بين مصر ودولة إسرائيل. ويسمى هذا المرسى «أم الرشراش» أو «المرشرش» أو «أم رشرش». وهو مرسى صغير فى موقع حدودى متاخم لطابا. وكان يقيم به 350 فرداً من جنود وضباط الشرطة المصرية (فهى أرض مصرية) حتى يوم 10 مارس 1949 عندما هاجمتها إحدى وحدات العصابات العسكرية الصهيونية وقتلت من فيها واحتلتها فى عملية أطلق عليها اسم «عملية عوفدا». وقد حدثت تلك المذبحة بعد توقيع اتفاقية الهدنة بين مصر وإسرائيل فى 24 فبراير عام 1949 وكان وقوع مرسى أم الرشراش فى يد إسرائيل كارثة استراتيجية بعيدة الأثر فى التوازن بالمنطقة. فهى لوقوعها على خليج العقبة قد أتاحت لإسرائيل وجوداً فى الخليج وبالتالى فى البحر الأحمر. كما أنها رأس حربة أو «إسفين» مع صحراء النقب فصلت الأراضى العربية شرقها عن غربها. وقد استفادت إسرائيل فائدة عظمى من هذا الميناء وطورته إلى ميناء إيلات الحالى.

وقد أثار «جمال عبد الناصر» موضوع تبعية هذا الميناء فى خطابه يوم 22 مايو 1967 حين أعلن أن خليج العقبة مياه إقليمية مصرية. واتبع ذلك طلب الجمهورية العربية المتحدة فى 27 مايو 1967 دعوة مجلس الأمن إلى جلسة طارئة لبحث سياسة إسرائيل العدوانية وضمها مرسى «أم الرشراش» إليها بغير حق. وتحدى «جمال عبد الناصر» بإغلاق الممر الملاحى فى خليج العقبة، فقامت الحرب مع إسرائيل فى 5 يونيه عام 1967.

وفى أواخر القرن العشرين تجددت المساعي المصرية لإثارة موضوع أحقية السيادة المصرية على أم الرشراش عبر القنوات التفاوضية الدبلوماسية، إلا أن الخارجية المصرية حسمت الموضوع فى عام 2006 بأن صرحت بأنها خارج الحدود المصرية.

ونتيجة لحرب عام 1967 وقعت شبه جزيرة سيناء بأكملها فى قبضة قوات الاحتلال الإسرائيلية واستمرت حتى توقيع معاهدة السلام فى 26 مارس 1979 تنفيذاً لاتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام 1978، وبمقتضى بنود هذه المعاهدة أصبح وجود قوات مسلحة مصرية فى سيناء يقابلها قوات مسلحة إسرائيلية على الشريط الحدودى داخل إسرائيل على النحو التالى، فى المناطق الثلاث (أ)، (ب)، (جـ) (24).

* المنطقة (أ) تشغل الثلث الغربى من شبه جزيرة سيناء، توجد بها قوات مصرية بكل أسلحتها من دبابات ومدافع وصواريخ فى عدد قوامه اثنين وعشرين ألف جندى.

* المنطقة (ب) تشغل الثلث الأوسط من شبه جزيرة سيناء، توجد بها قوات الحدود المصرية بأسلحتها الخفيفة قوامها أربعة آلاف جندى.

* المنطقة (جـ) تشغل الثلث الشرقى من شبه جزيرة سيناء، توجد بها قوات الشرطة المدنية المصرية بأسلحتها وكذلك قوات حفظ السلام الدولية MFO.

* شريط حدودى مقابل داخل إسرائيل يسمح فيه بوجود قوات إسرائيلية قوامها أربع كتائب مشاة بأسلحتها الخفيفة.

* أما قوة حفظ السلام والمراقبة الدولية MFO فهى قوة متعددة الجنسيات جرى تشكيلها لتحل محل قوات الأمم المتحدة وبدأت مهمتها فى 25 إبريل عام 1982 وهو نفس اليوم الذى أتمت فيه إسرائيل تسليم كافة أراضى سيناء لمصر. وتضم هذه القوات وعددها 2600 جندى جنسيات 12 دولة (استراليا، كولومبيا، كندا، فيجى، فرنسا، هولندا، المجر، إيطاليا، نيوزيلندا، النرويج، أورجواى، الولايات المتحدة).

(12) ويذكر أن إسرائيل تلكأت فى الانسحاب من موقع طابا وأزالت العلامة الحدودية رقم (91) ونشأ نزاع استمر عدة سنوات انتهى بالتحكيم الدولى

الذى أصدر حكمه فى 29 سبتمبر عام 1988 لصالح مصر وأن طابا داخل الحدود المصرية.

الحدود الغربية:

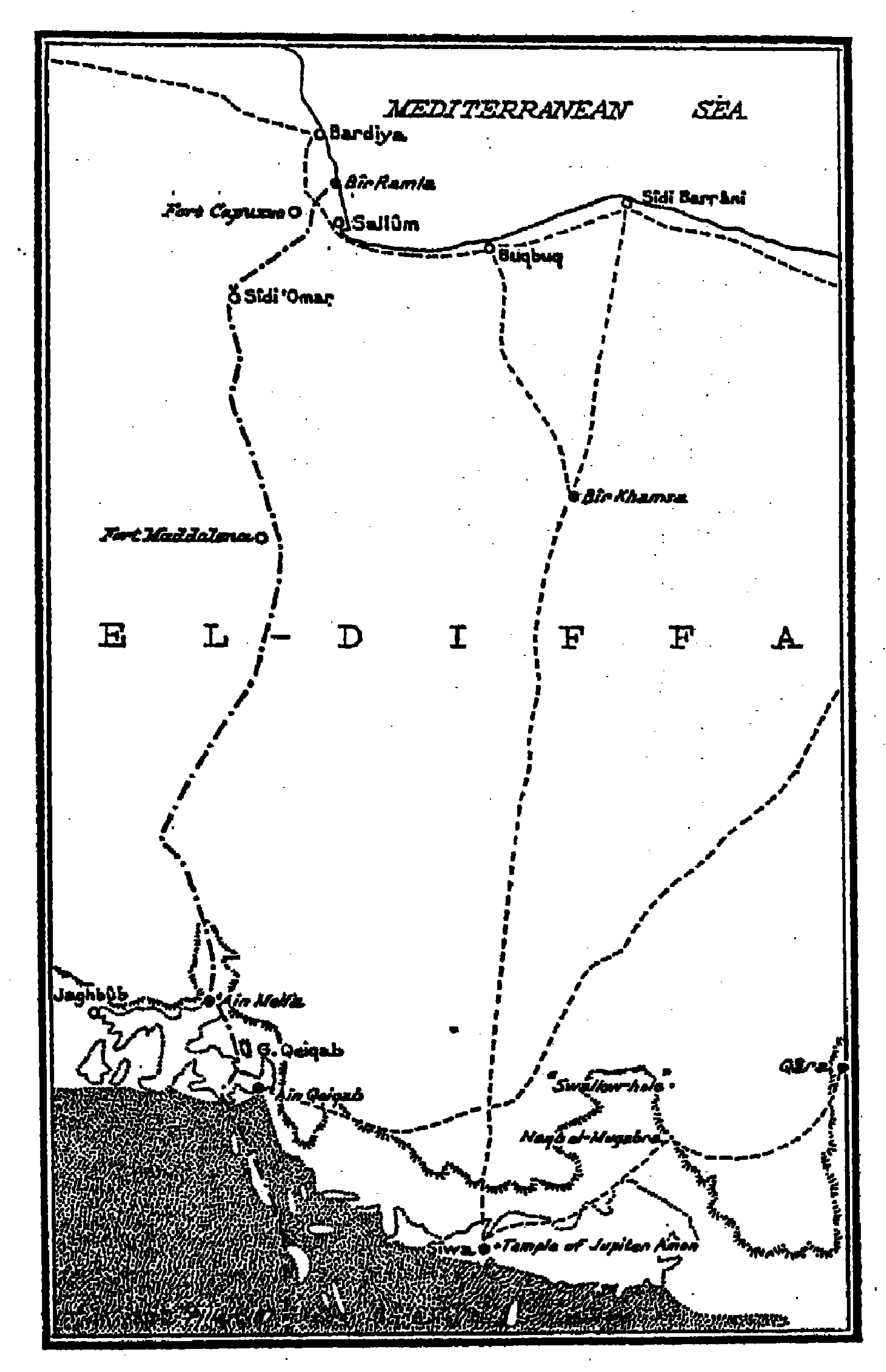
فى كتابه التسجيلى القيم «سرقة واحة مصرية» (إصدار أخبار اليوم 1980) أعطانا «محسن محمد» تحليلاً تفصيلياً لقضية الحدود الغربية لمصر. فقد كانت مصر وليبيا ولايتين تتبعان الحكم العثمانى إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى. وكانت بريطانيا قد فرضت احتلالا على مصر، أما ليبيا فلم تكن إيطاليا قد مدت يدها إليها، ومع ذلك فقد حرص المعتمد السامى البريطانى على مصر وكان سير إيفلنج بارينج(لورد كرومر) على ترسيم حدود مصر الغربية مع الأراضى الليبية، ففى عام 1905 بعث كرومر للأستانة يقترح وضع حدود بين الأراضى التركية فى ليبيا وبين الأراضى المصرية تبدأ من جنوب غرب السلوم وتضم واحة الجغبوب ضمن الأراضى المصرية، وفى عام 1907 بدأت الحكومة الإيطالية تبدى اهتماما بموضوع الحدود دون أن يكون لها أى مكان رسمى فى شئون ليبيا، ثم ظهرت أطماعها بعد ذلك. ففى 24 يوليو عام 1911 أعلنت الحكومة الإيطالية فى مجلس نوابها أن واحة الجغبوب تنتمى إلى ليبيا، وكان ذلك قبل بدء الغزو الإيطالى لليبيا بأربعة أشهر.

وفى 29 سبتمبر عام 1911 أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا وأرسلت قواتها لاحتلال ليبيا، وفى أكتوبر عام 1912 وقعت تركيا معاهدة صلح مع إيطاليا، إلا أن أهالى برقة وطرابلس أعلنوا الجهاد بقيادة العائلة السنوسية، وأنشأ السيد إدريس السنوسى حكومة ضمت واحات الكفرة وجغبوب وجالو وأوجيلة. وأثناء الحرب العالمية الأولى وقع المعتمد البريطانى فى مصر مع السيد إدريس السنوسى اتفاقا فى 14 إبريل عام 1917 وهو اتفاق «الزويتينة» يخول للسنوسى إدارة شئون جغبوب وكالة عن الحكومة المصرية.

وانتهت الحرب العالمية الأولى بالهدنة فى 11 نوفمبر عام 1918، وبادر الليبيون بإعلان قيام دولة لهم فى نفس الشهر واعترفت بها إيطاليا. وانتهى مؤتمر الصلح فى باريس فى 28 يونيو عام 1919. وكان من ضمن ما أعلن من صفقات، إقرار تعديل الحدود المصرية لصالح ليبيا التى تحتلها إيطاليا. هذا بينما كان الشعب الليبى ما زال يقاوم الاستعمار فى برقة. ولم تضيع إيطاليا وقتا فبدأت ترسل إلى وزير المستعمرات البريطانية وقتئذ «لورد ملنر» أول مذكراتها فى 17 نوفمبر عام 1919 باقتراح مجدد لرسم الحدود. واستمر تبادل المذكرات حتى عام 1920 حين أمكن من خلال تبادل المذكرات الاتفاق بين لورد ملنر وبين مندوب الحكومة الإيطالية السفير «شالويا» على وضع أسس ترسيم الحدود. وحتى ذلك الوقت لم تجرؤ القوات الإيطالية على دخول واحة جغبوب. واستمر أمر الاتفاق معلقا دون تنفيذ.

ثم حدثت تغيرات سياسية، ففى مصر أصدرت بريطانيا تصريح 28 فبراير عام 1922 بإعلان استقلال مصر وبذلك أصبحت أمور مصر من اختصاص حكومتها، وفى إيطاليا تولى موسولينى الحكم. وفى عام 1923 تمكنت جيوش إيطاليا من احتلال شمال برقة وهددت أجزاء من الصحراء جنوب برقة، وكلها مناطق حدودية مع مصر، ولكنها لم تدخل واحة جغبوب. ومع ظروف عدم الاستقرار اضطر إدريس السنوسى أن يهاجر إلى مصر عن طريق جغبوب فوصلها فى 13 يناير 1923 ثم وصل القاهرة فى 27 يناير 1923.

وحدث فى مصر أن اغتيل سردار الجيش المصرى «لى ستاك» فى نوفمبر 1924 أيام أن كان سعد زغلول رئيساً للوزراء، وقدمت الحكومة البريطانية إنذارا للحكومة المصرية عقب هذا الاغتيال ومطالب لم يقبلها سعد زغلول فاستقال وأسندت رئاسة الوزراء إلى أحمد زيور فى 24 نوفمبر 1924. وقام موسولينى باتصالات مع بريطانيا للضغط على حكومة زيور لإقرار اتفاق «ملنر - شالويا» الذى توصلا إليه عام 1920. وراوغ زيور بأن الأمر يقتضى العرض على البرلمان



ترسيم حدود مصر الغربية

(عن موراى)

المصرى، إلا أنه فى يوم 26 أكتوبر عام 1925 وصل للقاهرة وفد من الحكومة الإيطالية لاستعجال الانتهاء من موضوع الحدود واضطر زيور إلى أن يوقع مع مندوب الحكومة الإيطالية فى 6 ديسمبر 1925 على اتفاقية الحدود التى تنص على تنازل مصر عن جغبوب والأراضى المحيطة بها، إلا أن زيور تمسك بأن سريان هذه الاتفاقية لا يتم إلا بعد إقرار البرلمان المصرى..

وقد نصت تلك الاتفاقية على تحديد خط الحدود الذى يبتدئ من نقطة على شاطئ البحر المتوسط شمالى السلوم تبعد عشرة كيلومترات عن «بيكون بوينت» (غزلة القطارة)، ومنها يتجه فى مسارات متعرجة إلى أن يستمر جنوبا متبعا المدرجة °25 من خطوط الزوال شرق جرينيتش حتى يلتقى بالدرجة °22 من خطوط العرض شمال خط الاستواء. وبرغم أن هذا الاتفاق لم يكن قد عرض على البرلمان المصرى إلا أن القوات الإيطالية دخلت واحة جغبوب فى صباح يوم 6 فبراير 1926، وفاجأت مصر بالأمر الواقع. وفى 9 نوفمبر 1926 وقعت مصر وإيطاليا اتفاقا تكميليا لاتفاق 6 ديسمبر 1925 وقد وقعه عن الجانب المصرى رئيس الوزراء عبد الخالق ثروت. ثم عرضت الاتفاقية بملاحقها على البرلمانات المصرية المتلاحقة ولكن الأعضاء كانوا يرفضون الموافقة سبع سنوات متتالية. وفى جلسة مجلس النواب المصرى بتاريخ 13 يونيه 1932 وكانت برئاسة توفيق رفعت، عرضت الحكومة الاتفاقية فى شكل مشروع بقانون نال الموافقة بأغلبية 90 صوتا ضد اعتراض 4 أصوات وامتناع عضو واحد عن التصويت. ثم عرضت على مجلس الشيوخ فى جلسته بتاريخ 28 يونيه 1932 برئاسة يحيى إبراهيم ونالت موافقة 59 عضوا ضد اعتراض عضوين. ولم تكتفى سلطات الاحتلال الإيطالى بضم واحة جغبوب وما حولها، بالتواطؤ مع السلطة البريطانية صاحبة النفوذ فى مصر، فقد استولى الإيطاليون فى أوائل عام 1934 على جزء من واحة العوينات داخل حدود مصر هى «عين النور» بدعوى الإجراءات الأمنية. ثم تنازلت بريطانيا دون الرجوع للسلطات المصرية فى 20 يوليو 1934 عن النصف الغربى من هضبة

العوينات بما فى ذلك واحـات عين داوة وعين زويرة وآبار سارة. وبقـيت لمصر من العوينات كركورة مر ووادى طمل. وما زال هذا الترسيم سارياً حتى الآن.

(23) وجدير بالذكر أن رحلة أحـمد حسنين التى قام بها من ديسـمبر 1922 إلى يوليو 1923 قـاطعا الصـحراء من السلوم داخـل الأراضى المصرية والليـبيـة وأراضى «أفـريقيـا الاستـوائية الفـرنسيـة» وقتـئذ وهى تشـاد حاليـا ثم الأراضى السودانيـة، قد سجلهـا فى كتابه المعـروف «فى صحراء ليـبيا» وأرفق بهـا خريطة رسمهـا له جون بول مدير مـصلحة مساحـة الصحراء المصرية وطبـعتها مـصلحة المساحة المصرية. وقد بينت هذه الخـريطة أن الحدود المصرية تمتد مع خط طول °24 وليس °25، وبذلك فقد دخلت أركينو بالكامل والجزء الشمالى من جبال العوينات داخل الأراضى المصرية.

الحدود الجنوبية:

(39) فى عام 1820 دخل الجـيش المصـرى زمن مـحمـد على أرضـا من السـودان حول النيل وشرقه لتنضم السودان إلى مصر دولة واحدة. وفى عام 1821 ضـمت أراضى كردفـان وبقيـت أراضى دارفور لم تنضم إلا فى عـام 1874 زمن الخديوى إسـماعيل. وتبين الخـرائط المساحيـة التى رسمهـا مهندسو أركـان حرب الجيش المصرى فيما بين عامى 68/ 1878 عدم وجود أى ترسيم بين أراض مصرية وأراض سودانية. وفى يوليو 1882 احتلت القوات البريطانية مصر وبدأت عهدا من الاستعـمار. وظهر مبكرا التوجـه البريطانى لفصل الأراضى السودانيـة عن مصر، وكانت أولى الخطوات تـرسيم خط للحدود على اعـتبار أنهـما بلدان وليـسا بلدا واحدا. وكانت قد ظهرت الدعوة المهدية فى السودان بدءاً من عام 1881، وكانت فرصة للسياسـة البريطانية بأن تأمر قوات الاحتلال البريطانى لمصـر لتنفيذ مخططها لفصل السودان عن مصر. فتراخت فى أمر انتشار الدعوة المهدية إلى أن تمكنت من إسـقاط الخـرطوم، وهنا صدرت الأوامـر البريـطانية بإخـلاء السـودان من الجـيش المصرى فخـرج من السودان عام 1884. وطوال حوالى أربعة عشـر عاما أحكمت

فيه بريطانيا السيطرة على مقدرات الأمور فى مصر حتى قررت استرداد السودان بجيش مشترك بريطانى مصرى وهو ماتم عام 1898. وانتهى الأمر كما أرادت بريطانيا بتوقيع اتفاقية «وفاق السودان» فى 19 يناير عام 1899 وهى الاتفاقية التى نصت على حكم مشترك «Condo minion بريطانى / مصرى وأعطى للسودان اسم السودان المصرى - الإنجليزى» وجرى ترسيم الحدود على خط عرض °22، ووقع الاتفاقية عن بريطانيا اللورد كرومر وعن الحكومة المصرية بطرس غالى رئيس الوزراء.

مثلث حلايب: فى عام 1902 رأت نظارة (وزارة) الداخلية المصرية(بناء على نصيحة بريطانية) أن تيسر لأبناء قبيلتى العبابدة والبشارية وهما من قبائل «البجا» سكان جبال البحر الأحمر حرية التحرك بين أماكن مراعيهما شمال وجنوب خط عرض °22 حسما لما كان يحدث من نزاع بينهما، فحددت المساحة المسموح بها للبشارية للرعى المشترك مع العبابدة شمال هذا الخط بمثلث داخل حدود الأراضى المصرية قاعدته خط عرض °22 بدءاً من التقائه بالبحر الأحمر عند مرسى حلايب، وهو خط حدود مصر الدولية(وهو ما يعبر عنه فى الخرائط بالحدود السياسية) ورأس المثلث موقع شلاتين فى اتجاه جنوب غرب ليلتقى بخط عرض °22 وعرف هذا الخط «بالحدود الإدارية». ويعرف المثلث باسم «مثلث حلايب» على هذا الأساس أصدرت نظارة الداخلية المصرية عام 1902 منشوراً وزعته على القبائل الموجودة فى حلايب والمناطق المحيطة بها وتضمن المنشور الذى يقع فى 9 مواد قرارا بتحديد الآبار ومواقعها وتبعيتها للقبائل. جاء فى نص القرار: «إنه بالنسبة لتبع مديرية أسوان إلى نظارة الداخلية فقد اقتضى الحال وضع نظام مخصوص لعربان هذه المديرية لأن نظام العربان الصادر به القرار من هذه الوزارة بتاريخ 3 مايو عام 1895 لا ينطبق على أحوال عربان تلك المنطقة من المديرية. ولما كان من الضرورى لصالح الأشغال الإدارية تحديد قبائل عربان مصر والسودان بصفة نهائية. فلذلك قد حصل الاتفاق بين نظارتى الداخلية والحربية على تشكيل قومسيون لهذا

الغرض تحت رئاسة المدير وأعضاؤه ثلاثة مفـتشين أحدهم من الداخلية والثانى من حكومة السودان والثـالث من مصلحة خفر الســواحل ويحضر فيه مـشايخ العربان المقيمين بصحراء المديرية. وحيث إن هذا القومسيون قد اجتمع بتاريخ 31 مايو عام 1902 وأدى مأموريتـه وردت للنظارة صورة من قراره مـرفقة بخريطة مـرسوم بها المنطقـة والآبار المخصـصة لكل قـبيـلة. . . وحيث إنه قـد رؤى (للوزارة) النظارة موافقة ما يشتمل عليه القرار ولهذا. . . . يعتمد قرار القومسيون المشار إليه) توقيع (ناظر الداخلية). . تحريراً فى 3 شعبان 1320 (4 نوفمبر 1902).

وهكذا ظهر مثلث حلايب إداريا لتسهيل حرية الرعى بين العبابدة والبشارية. واستمرت الحكومة المصرية تمارس سـيادتها كاملة بلا انقطاع قبل ومن ذلك الوقت حتى الآن.

وبدأت الحكومة المصرية منذ عام 1915 تصدر تراخيص بحث تعدينى وعقود استـغلال تعـدينى بهذه المنطقـة. وعلى امتـداد السنوات منذ ذلك العـام أصدرت الحكومة المصرية 11 ترخيـصا بالكشف و49 ترخيـصا للبحث و عـقود استـغلال تعدينى وكلها داخل مثلث حلايب. فخط عرض °22 هو الخط الحدودى بين مصر وما كان يسمى «السودان المصرى الإنجليزى» قبل استقلال السودان. وفى 12 فبراير عام 1953 وقع رئيس وزراء مصـر محمـد نجيب وسيـر رالف ستيـفنسون سفـير بريطانيا فى مـصر اتفاقيـة بشأن إقامة الحكم الذاتى للسـودان. وفى أول يناير عام 1956 أعلنت السودان استقـلالها، فأصبح خط عرض °22 هو الخط الحدودى بين جمهورية مصـر وجمهورية السودان. وتغطى منطقة مثلث حلايب حاليـا محميتان هما محمية جبل علبة ومحمية وادى العلاقى.

(د) سيادة الدولة خارج الأراضى المصرية اليابسة:

(44) لا تقتصر سـيادة الدولة المصرية على أرضها اليابسـة فقط بل تمتد هذه السيادة على ما تطل عليه سواحلها من ميـاه البحرين المتوسط والأحمر، وقد كفل القانون رقم 86 لسنة 1956 سيادة الدولة على المياه الإقليمية حسب القوانين الدولية

المعمول بها وقتئذ عرضها ثلاثة أميال بحرية أى حوالى 55.5 كيلو مترا. وتنص المادة الثالثة من الباب الأول من القانون المصرى رقم 86 لسنة 1956 على أنه: «يعتبر من أموال الدولة ما يوجد من موارد معدنية بالمناجم والأراضى المصرية والمياه الإقليمية...». وفى عام 1958 عقد فى جنيف بسويسرا مؤتمر دولى لقانون البحار تحت مظلة الأمم المتحدة وأعلنت فى هذا المؤتمر اتفاقية الرفرف القارى التى تضمنت تعريفا بالرفرف القارى وتضمنت تحديدا لحقوق سيادة الدول فى الكشف عن الثروات الطبيعية الواقعة فيه، واستغلال تلك الثروات، وأصبحت الاتفاقية سارية بعد أن وقع عليها النصاب المطلوب من الدول الموافقة عليها. وقد تجاوبت مصر مع اتفاقية جنيف إذ صدر القرار الجمهورى رقم 1051 لسنة 1958 فى هذا الشأن ونشر فى الجريدة الرسمية فى 7 سبتمبر عام 1958 وجاء فى هذا القرار الجمهورى:

مادة أولى: تكون للجمهورية العربية المتحدة حقوق السيادة على قاع البحر وما تحته فى الامتداد القارى خارج المياه الإقليمية للجمهورية إلى حيث يصل العمق إلى 200 متر أو ما يجاوز هذا العمق إلى الخط الذى يمكن فى حدوده استغلال الموارد الطبيعية الموجودة فى القاع. وكذلك تكون للجمهورية العربية المتحدة حقوق السيادة على الامتداد القارى المماثل بالنسبة للجزر التابعة للجمهورية العربية. ولا يخل ذلك بوصف المياه التى تعلو هذه المناطق من حيث كونها أعالى البحار ولا بحرية الملاحة فيها وفى الفضاء الجوى الذى يعلوها.

مادة ثانية: للجمهورية العربية المتحدة دون غيرها الحق فى التحرى والتنقيب والاستغلال لجميع المواد الطبيعية المعدنية وغيرها من المواد غير الحية وكذلك الكائنات الحية من النوع المقيم التى توجد على قاع البحر أو تحت القاع فى المناطق المبينة فى المادة الأولى. ولها فى سبيل ذلك الحق فى إقامة المنشآت اللازمة لذلك وصيانتها وتشغيلها وأن تقيم حول هذه المنشآت لمسافة خمسمائة متر مناطق أمن تتخذ بها الإجراءات الكفيلة بحمايتها.

مادة ثالثة: لا يتوقف ثبوت الحق المشار فى المادتين السابقتين أو ممارسته على وضع اليد الفعلى أو الرمزى على هذه المناطق أو على حدوث تصريحات خاصة.

مادة رابعة: «لا يجوز لأى شخص طبيعى أو اعتبارى أجنبى أن يقوم باستغلال الموارد الطبيعية المبينة فى المادة الثانية أو التنقيب أو التحرى عنها أو القيام بأية أبحاث من أى نوع كان فى الامتدادات القارية إلا بقرار من رئيس الجمهورية».

(47) وفى العاشر من ديسمبر عام 1982 أبرمت اتفاقية معدلة لقانون البحار فى مدينة «مونيجوباى» بجمايكا تحت مظلة الأمم المتحدة وكان هذا المؤتمر هو الثالث بعد المؤتمر الثانى لعام 1958. (17) وقد جاء فى هذه الاتفاقية التعريفات التالية:

البحر الإقليمى هو منطقة تالية للإقليم البرى. وكانت اتفاقية عام 1958 خلوا من أى نص واضح، ففى اتفاقية عام 1982 نصت على إعطاء كل دولة الحق فى تحديد عرض بحرها الإقليمى بمسافة لا تتجاوز 12 ميلا بحريا (22.2 كيلو مترا) من خط الأساس التى يبدأ منها قياسه، والمنطقة الملاصقة أو المتاخمة أو المجاورة هى منطقة تالية للبحر الإقليمى، وتنص اتفاقية عام 1982 على أنها لا تتجاوز 24 ميلا بحريا (44.4 كيلومتر) من خط الأساس.

وحسب نص اتفاقية عام 1982 فإن المنطقة الاقتصادية الخالصة لا تتجاوز مائتى ميل بحرى (370 كيلومتر) من خط الأساس.

وتعطى الاتفاقية حقوقا سيادية فيما يتعلق باستكشاف واستغلال المواد الحية وغير الحية للمياه التى تعلو قاع البحر وباطن أرضه. بمعنى أن الدولة إن لم تقم باستكشافه أو استغلاله فلا يحق لأحد أن يقوم بهذه الأنشطة بدون موافقة صريحة منها.

وتمارس مصر حقوقها السيادية فى مياه البحرين المتوسط والأحمر، فتمتد السيادة المصرية فى البحر المتوسط على قاع البحر لمسافة 200 ميل بحرى

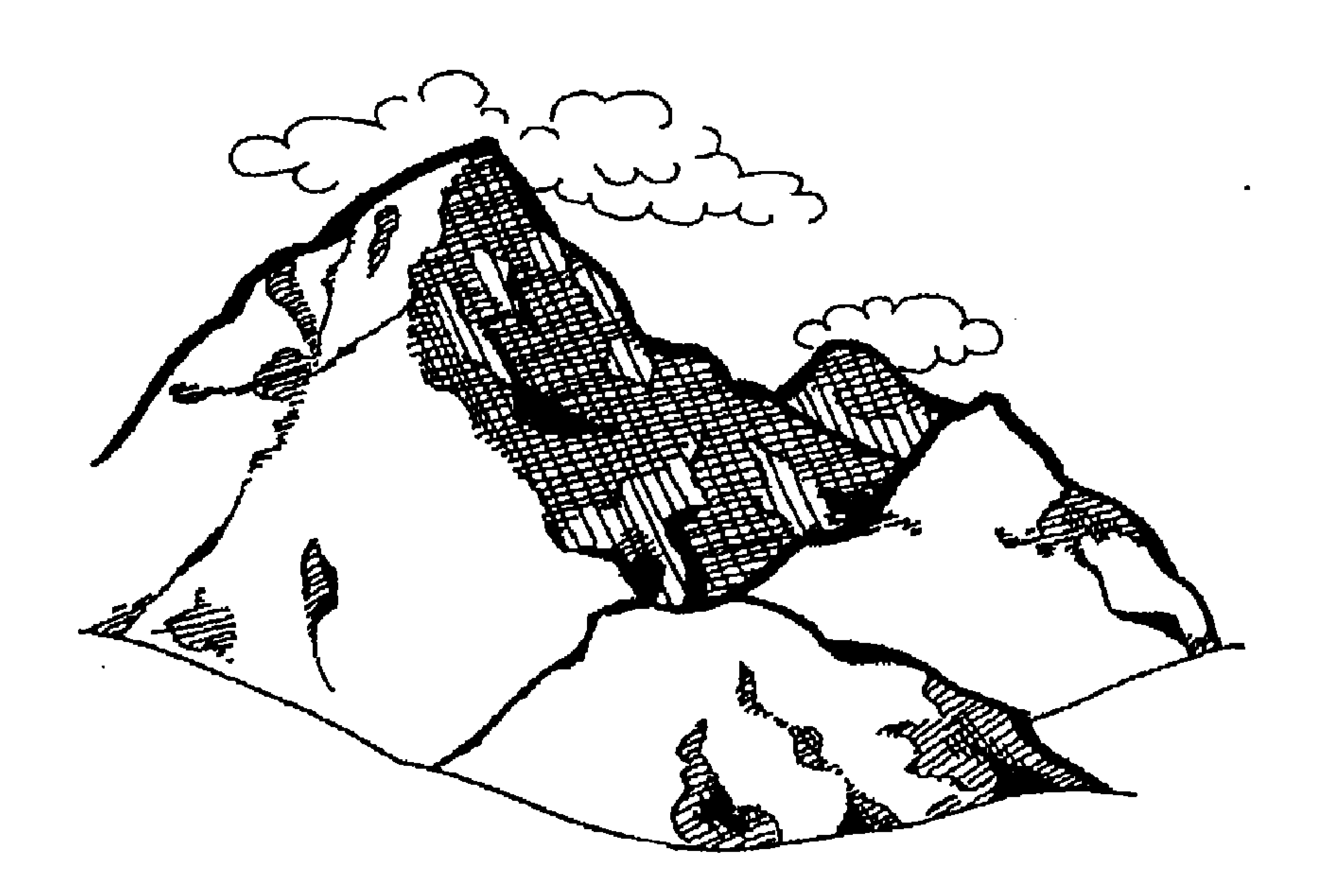
(370 كيلومتر) من الـشواطئ المصرية وهى المنطقة الاقتصاديـة ولا سيادة لها على قاع البحر المتوسط فـيما يتجاوز هذه المنطقة. وفى البحر الأحـمر تتقابل السواحل السعودية والسواحل المصرية، ويبلغ متوسط اتساع البحر الأحمر فى الجزء الشمالى منه حوالى 180 كيلو متر وهو الجزء الذى تقابل فـيه السواحل السعودية والمصرية. لذلك فإن حدود الـسيادة لكلتا الدولتين على قاع البحر الأحـمر هو خط منتصف لذلك البحر.

ولقد استـفادت مصر من امـتداد سيادتهـا على ما يقابل سواحلهـا من مياه البحر المتـوسط اقتصاديا بدرجـة كبيرة، فإن مـعظم مصادر الغاز الطبـيعى تقع فى الأعمـاق تحت قاع البحـر. وعلى سبيل المثـال فإن أحد الامتـيازات التى منحتـها الحكومة المصرية لإحـدى شركات البترول العـالمية (عام 2005) تقع على بعد 170 كيلو مترا مقابل شاطئ إدكو حيث عمق المياه يتراوح ما بين 1800 و3000 متر.

الفصل الثالث

تطور وسائل

الانتقال والنقل فى الصحراء



استطاع الإنسان المصرى أن يسلك وديان ومرتفعات الصحارى سيراً على الأقدام عدة قرون قبل التاريخ وحتى بداية فجر التاريخ. ولم تكن الوديان والمرتفعات بمثل الجفاف الذى نعهده الآن. فكانت حبات الأمطار الموسمية تتجمع مياهها فى أحواض، وكانت بعض الوديان تسيل مياهها أحيانا فى نهيرات صغيرة. تلك الظروف المناخية كانت تساعد مرتاد الصحراء على التزود بما يلزمه من ماء على مراحل متقاربة. وإذا لم يكن بمستطاعه حمل أمتعته فوق ظهره فقد كان يستعين بالحمار دابة لحمل الأثقال.

(42) ومع تقدم وتنوع أغراض ارتياد الصحارى فى الأزمنة الفرعونية ظهرت وسائل تنظيمية تعتمد على تعاون مجموعة من الرجال. ومن الأمثلة الكلاسيكية للتعاون فى نقل أحد الأحمال الثقيلة عبر الصحراء ما سجله نقش على مقبرة أحد حكام أقاليم الصعيد واسمه «دهوت حب»، الموجودة فى البرشة أمام بلدة الأشمونين قرب ملوى بالصعيد الأوسط. يبين هذا النقش كيفية نقل تمثال هائل من حجر الألبستر من محاجر حاتنوب زمن الملك سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة من الدولة الوسطى (1878-1843 ق.م). قدر ارتفاع التمثال بحوالى 6.6 متر وقدر وزنه بحوالى 60 طنا. ويمثل النقش هذا التمثال فوق زحافة يجرها 172 رجلا فى أربعة صفوف.

وفى زمن الرومان تقدمت كيفية النقل خطوة عظيمة فى الصحراء مثل نقل الأعمدة الأسطوانية الكبيرة من محجرى «مونز كلوديانوس» و«مونز بورفيريتس» بوسط الصحراء الشرقية. ويقع المحجران فى منطقة جبلية وعرة، ومن بين الأعمدة التى كانت معدة للنقل فى محجر مونز كلوديانوس عمود طوله 18 مترا وقطره حوالى 2.6 متر وقدر وزنه بحوالى 248 طنا. ولقد وصف الأثريون كيفية نقل الأعمدة بوضع العامود على زحافة تجرها الثيران، وكانت توضع تحت الزحافة بضع أسطوانات من جذوع الشجر تنزلق عليها الزحافة.

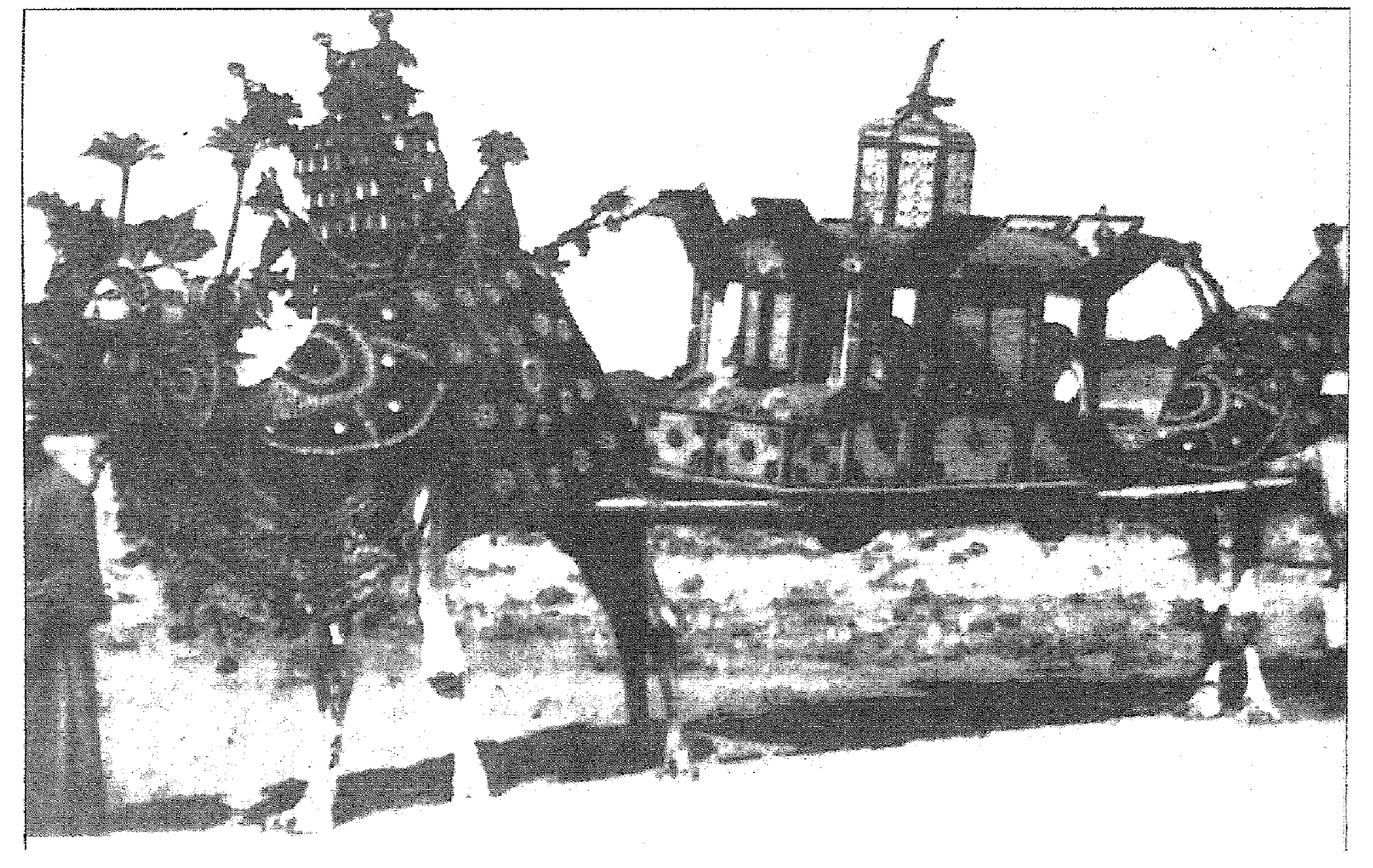
الحصان:

(106) كان أول ظهور الحصان فى مصر زمن الهكسوس منذ حوالى 1500 عام قبل الميلاد. واقتنى المصريون الحصان وتكاثر، واستخدموه فى العربة الحربية الخفيفة. والعربة الخفيفة الصغيرة يركبها فارس واحد ويجرها حصان واحد، يقودها الفارس واقفا ويلف قياد الحصان حول وسطه حتى يتفرغ لاستخدام السهام. والعربة الأكبر حجما يركبها فارسان ويجرها حصانان، أحد الفارسين يتولى زمام قيادة الحصانين بينما يتولى الفارس الآخر رمى السهام. واستمر استخدام الحصان فى جر العربات بأنواعها قرونا قبل أن يتحول الفارس المقاتل إلى راكب للجواد.

الجمل:

(70) لم يظهر الجمل فى أى نقش من نقوش آثار قدماء المصريين طوال الأسرات الثلاثين. ولم يظهر الجمل، وهو النوع ذو السنام الواحد، فى مصر إلا بعد الغزو الفارسى سنة 525 قبل الميلاد. وسرعان ما تأقلم على ظروف البيئة المصرية وتكاثر وشاع استخدامه فى قطع المسافات الصحراوية بين النيل والبحر الأحمر وفى كافة أنحاء سيناء. ثم يمضى قرنان من الزمان حتى يشيع استخدامه فى الصحراء الغربية.

(93) والجمل بحق هو سفينة الصحراء يتحمل قسوتها. وها هو الجمل حتى اليوم يثبت جدارته ولا يمكن الاستغناء عنه فى بعض الأحوال، فهو يتسلق مواضع وعرة لا تستطيع السيارة أن تصل إليها. ويمكن لجمل الركوب السير بسرعة 13-16 كيلو متر فى الساعة (8-10 أميال فى الساعة) ولمدة أقصاها 18 ساعة فى يوم واحد بجهد شديد. ويمكن لسنام الجمل أن يعوضه نقص الغذاء أحيانا، كما أن باستطاعته حسب تكوين جسم الجمل أن يحصل على بعض الماء تلقائيا من عملية أكسدة جزء من الشحم المختزن فى السنام. ويقال أنه يمكن للجمل أن يبقى بدون شرب الماء مدة 17 يوما اعتمادا على ما تحتويه نباتات المراعى التى يتغذى عليها من



أحد وسائل الركوب في مصر {التختروان} عام 1889

ماء فى تركيبها. وفى هذه الحالة يفقد مدخراته من الماء فى خلايا جسمه فيصيبه الهزال بنسبة 25٪ من وزنه. ويقال إنه فى استطاعة الجمل بعد طول العطش أن يشرب فى دقائق معدودة ما يصل إلى 25 جالون من الماء (100 لتر) فيعوض ما فقده ويدخر قدرا.

(111) وفى مذكرات رجل المساحة «موراى» عن ارتياده منطقة علبة بجنوب الصحراء الشرقية عام 1926، أنه توقف عند نبع يقال له «أم بشتيت» فشربت الجمال لأول مرة بعد صيام عن الماء مدة 128 يوما لعدم وجود مصدر مائى طوال تلك الفترة. إذ أنه مما ساعدها على عدم الشرب وفرة المرعى الذى استمدت منه الجمال جزءا من احتياجها للماء.

وخلال القرنين التاسع عشر والعشرين الماضيين كان الجمل هو العنصر الهام لنجاح مستكشفى الصحارى المصرية وراسمى خرائطها ولرجال حراسة الحدود والسواحل.

(11) ويذكر أنه عقب إنشاء المساحة الجيولوجية المصرية عام 1896 اهتم أول رئيس لها «كابتن ليونز» بتدبيج صيغة موحدة لعقود تأجير الجمال، استمر العمل بها عشرات السنين. وكان مضمون العقد: (عقد إيجار الجمال: فى تاريخه أدناه وبموجب هذه الشروط قد حصل الاتفاق بين كل من: . . . . . بالنيابة عن المساحة المصرية(طرف أول) وبين. . . . . (طرف ثان) على أن يورد الطرف الثانى للطرف الأول الجمال والجمالة وخلافه اللازمة للحملة المعدة للاشتغال بأعمال. . . . فى جهة. . . . . . ومن الشروط:

- تحديد عدد جمال الهجين (للركوب) وأجر اليومية.
- تحديد عدد جمال (الحمولة) وأجر اليومية.
- تحديد عدد الجمالة بحيث لا يقل عن نصف عدد الجمال.
- استحضار ما يلزم من «القرب» لنقل المياه اللازمة للرجال والجمال.

- تعيين شيخ للحملة يكون مسئولا عنها ويكون على معرفة بالطرق والمسالك التى تسير فيها الحملة، يعاون «خبراء» لهم معرفة تامة بالجهة التى تشتغل فيها الحملة أن ينصبوا الخيام ويحملوها على الجمال ويجمعوا الحطب ويحضروا مياه الشرب).

(123) وقد كان نقل الماء على ظهور الجمال منذ القدم فى قرب من الجلد، وما زالت هذه الطريقة معروفة للآن فى بعض أنحاء الصحارى المصرية. وكان الرحالة الألمانى «رولفس» أول من أعد أوعية من الحديد لملئها بالماء وحملها على الجمال فى رحلته بالصحراء الغربية (1873/1874)، فقام بتصنيع عدد من الأوعية الحديدية مربعة الشكل سعة كل واحدة خمسين لترا من الماء ووزن الواحدة فارغة 25 رطلا، ويمكن تحميل اثنين منها على ظهر الجمل واحدة من كل جانب.

(23) وخلال العقد الأول من القرن العشرين شاع اتباع هذه الطريقة لحمل الماء فى خزان (فنطاس من الصلب الرقيق) مستطيل الشكل له علاقتان لإمكان تعليق الواحد منها على كل جانب من ظهر الجمل. وقد ذكر الرحالة المصرى «أحمد حسنين» فى رحلته التى قام بها خلال 22/ 1923 أن زاده من الماء كان يحمله فى قافلته موزعا على 25 قربة من جلد الماعز و 8 فناطيس من الصفيح سعة الواحد ملء ثلاث قرب، وكانت حمولة الجمل الواحد أربعة فناطيس، اثنين من كل جانب.

(43) وفى العقد الأول من القرن العشرين كان الإيجار اليومى للجمل 8-12 قرشا حسب استخدامه للركوب أو للحمل. وجمال الصحراء أكثر تحملا عن جمال وادى النيل لمشاق السفر ولكنها نظراً لنحافتها فهى أقل قدرة على حمل الأثقال. وتستطيع جمال النقل أن يحمل الواحد منها حدا أقصى مقداره 3.5 قنطار (حوالى 350 رطلا) فقسم إلى 175 رطلا فوق كل من جانب ظهر الجمل. ويمكن أحيانا أن يتعاون أربع جمال فى حمل وزن يصل إلى 1200 رطل دفعة واحدة، فتحمل البضاعة على محفة ويكون كل واحد من الجمال الأربع حاملا لركن من

هذه المحفة. وفى حالات خاصة يمكن أن تستخدم الجمال كدواب جر عربات ذات عجلات كبيرة القطر متسعة الحافة حتى لا تغرز فى الرمال. وبهذه الوسيلة قد يمكن نقل أثقال تصل إلى خمسة أطنان فى الدفعة الواحدة. وفى هذه الحالة يصل إيجار الجمل إلى 15 قرشا فى اليوم.

وقد رسمت فى أوائل القرن العشرين خرائط لأجزاء من الصحارى الشرقية مبينا عليها المسافات مقدرة بمعدل سير الجمل بين وادى النيل وبعض المواقع على ساحل البحر الأحمر. ومن إحدى هذه الخرائط يتبين أن السرعة تختلف ما بين سرعة هجين الركوب وسرعة الجمل وعلى ظهره أحمال. كذلك تختلف السرعة ما بين الوديان السهلة المسالك وبين المرتفعات الوعرة. واعتماداً على بيانات هذه الخريطة التى أصدرتها مصلحة المناجم فى يناير عام 1907 فإن سرعات الجمال قد قدرت بما يتراوح بين المعدلات التالية:

* من أسوان إلى حلايب (عيذاب) (المسافة 435 كيلو متر): فى 10-8 أيام بمعدل 43.5-54.4 كيلو متر فى اليوم.

* من أسوان إلى رأس بناس (المسافة 259 كيلو متر): فى 6-4 أيام بمعدل 43.2 - 64.8 كيلو متر فى اليوم.

* من قنا إلى القصير (المسافة 152 كيلو متر): فى 3-2 أيام بمعدل 50.7 - 76 كيلو متر فى اليوم.

* من قنا إلى منجم أم الروس على البحر الأحمر (المسافة 205 كيلومتر) فى 5 أيام بمعدل 41 كيلو متر فى اليوم.

* من القاهرة إلى جمسة (المسافة 339 كيلومتر): فى 8-6 أيام بمعدل 42.4 - 56.5 كيلو متر فى اليوم.

السيارة:

(43) جاءت مرحلة استخدام السيارات مبكرة مع أوائل القرن العشرين. فقد بدأت مصلحة المناجم المصرية فى الشهرين الأخيرين من عام 1905 تجاربها

لاستخدام السيارة لارتياد الصحراء الشرقية بدلا من الجمال فى أعمال التفتيش. فتكون مصر من أوائل الدول التى استخدمت السيارات لارتياد الصحارى.

جربت سيارة قوتها 6 حصان طراز عام 1905 تسير على ثلاث عجلات إنتاج شركة إنجليزية Messrs Singer&Co. Of Coventry- England وأمكن لهذه السيارة أن تقطع 145 ميلا (232 كيلومترا) في يوم واحد من أيام الصيف. وحتى العام التالى عام 1906 كانت نفس السيارة قد قطعت من المسافات الصحراوية ما بلغ 2280 ميلا (3648 كيلومتر) دون إشكالات تذكر. وعلى أثر نجاح هذه التجربة، اشتريت سيارة أخرى أكبر من سابقتها قوتها 9 حصان وتسير على ثلاث عجلات أيضا وكان أداؤها لا يقل نجاحا عن سابقتها، وكان متوسط سرعة هذه السيارة 25-28 ميلا فى الساعة (40-45 كيلو متر فى الساعة).

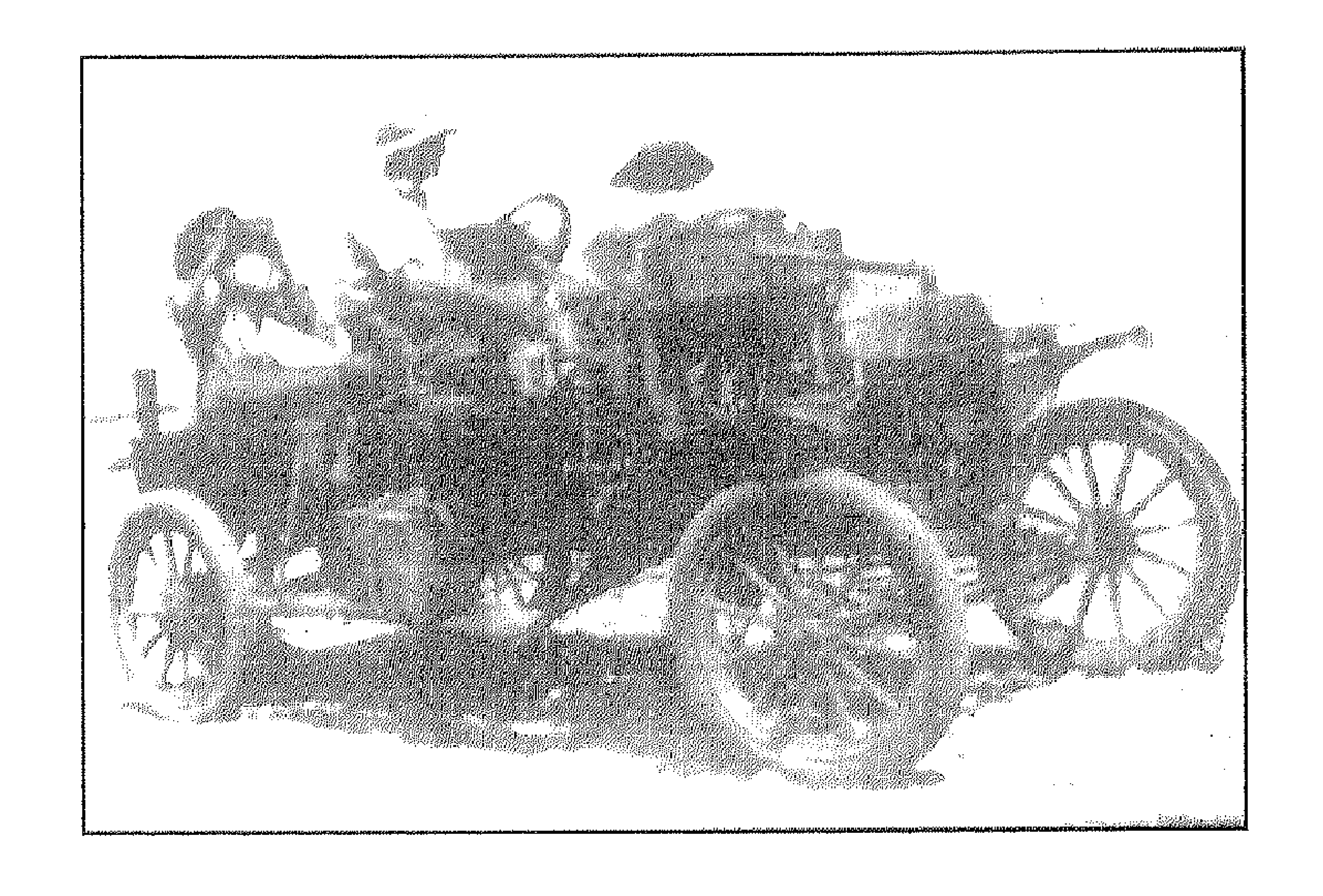
(123) ولم تعد السيارات ذات الثلاث عجلات تجد من يشتريها بعد أن أنتجت المصانع سيارات ذات أربع عجلات. وأقبلت مصر على شراء ذلك النوع الجديد من السيارات وزودت به الجهات التى ترتاد الصحراء ومنها مصلحة مساحة الصحراء وفيها وحدات من الجيش المصرى وخاصة الوحدات التابعة لسلاح الحدود. وعند قيام الحرب العالمية الأولى كان لدى سلاح الحدود وحدة تستخدم السيارات الخفيفة طراز فورد (Tourier) "T" دخلت واحة سيوة سيارة لأول مرة، (95) فأثبتت إمكان اقتحام الغرود الرملية التى تشتهر بها الصحراء الغربية. (96) وفى عام 1918 استعمل جون بول سيارات من طراز فورد"T" فسار ومعه مرافقين من الداخلة حتى الحافة الجنوبية الشرقية من بحر الرمال العظيم واكتشفوا موقع «أبو بلاص». (111) واستخدمت مصلحة المساحة نفس النوع من السيارات واستمرت تستخدمه حتى عام 1930 ثم تحول الاختبار إلى أنواع أكثر تقدما ومنها السيارة فورد» "V8". (93) وعلى صعيد صناعة السيارات عالميا كان هنرى فورد فى أمريكا قد بدأ إنتاج سيارته موديل "T" انتاجا بالجملة فأصبحت فى متناول عامة الناس وأصبحت الأوسع انتشارا فى العالم منذ العشرينيات.





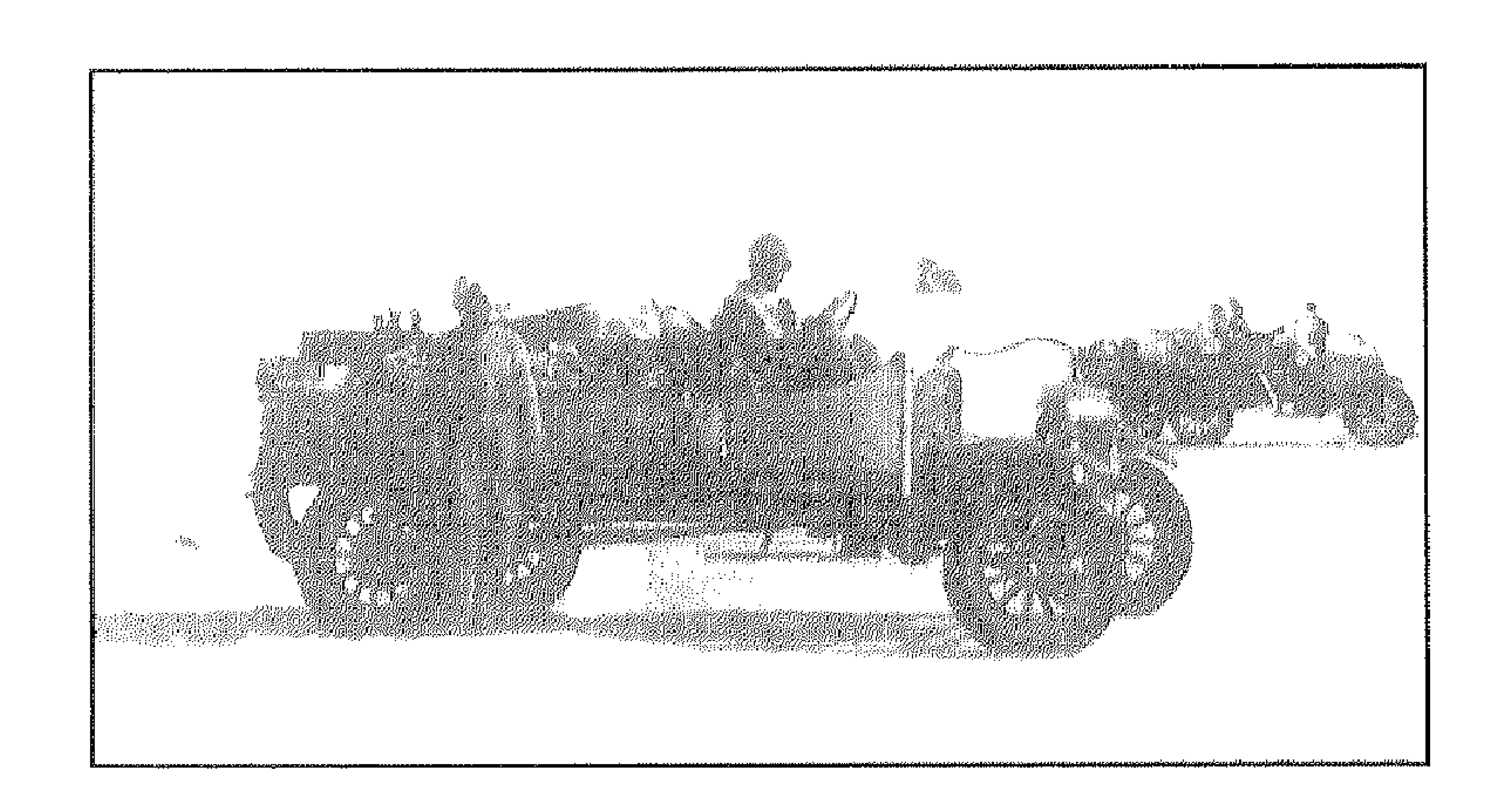


رولز رويس 1916



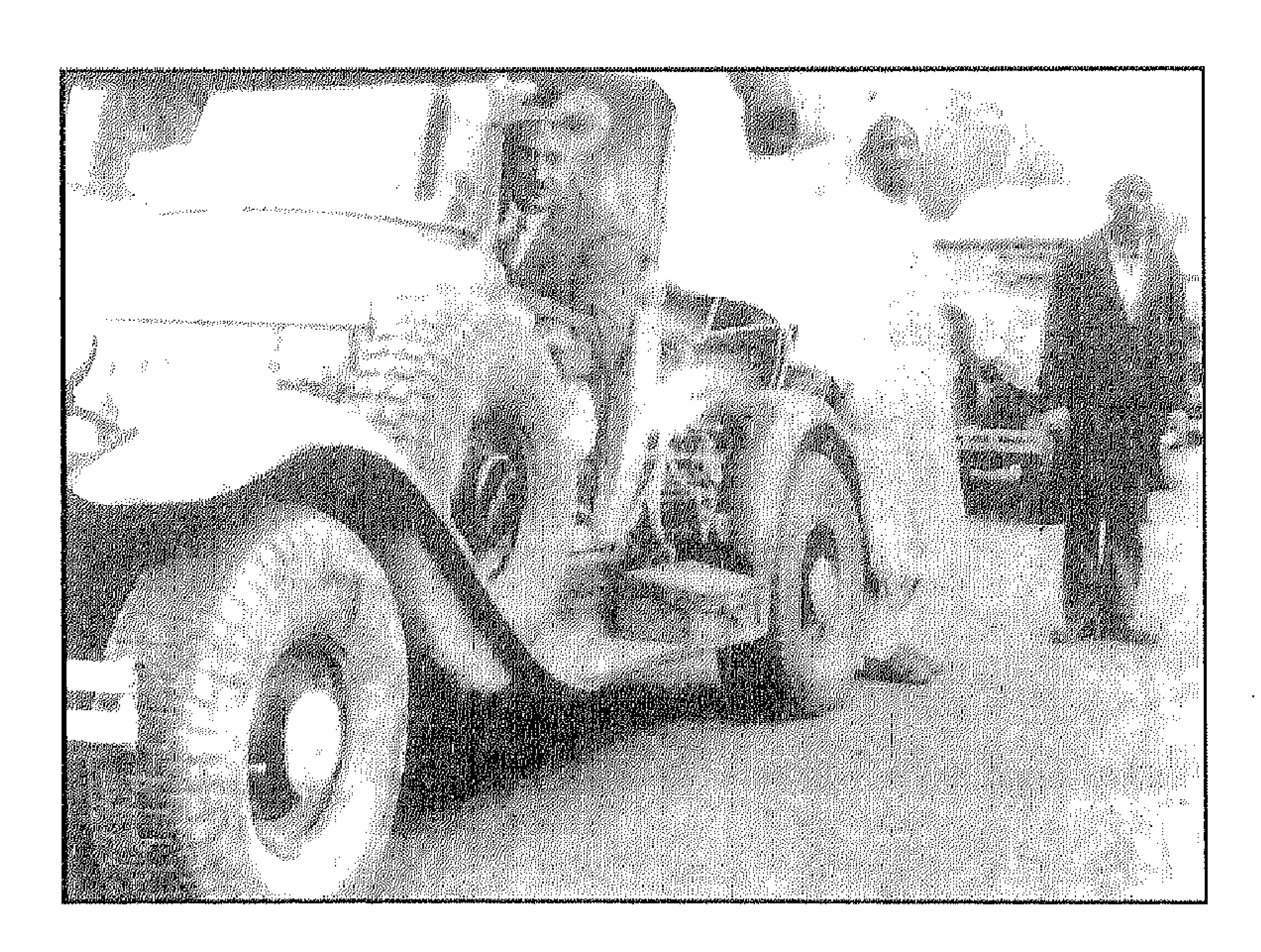
فورد T

1916



فورد TT

1926



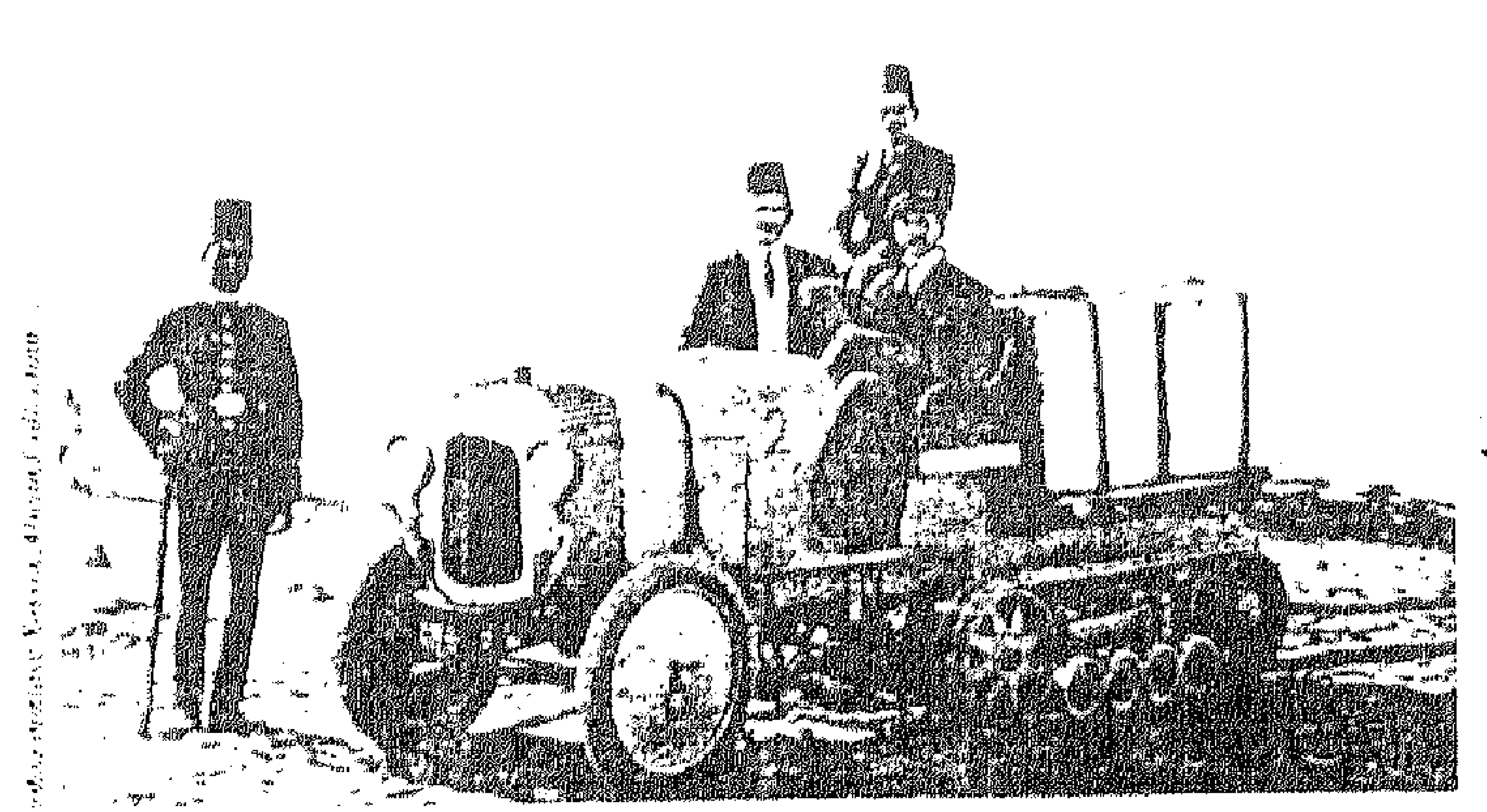
فورد A 1936

(کاوتش منفوخ)



الأمير كمال الدين حسين

(1932 - 1875)

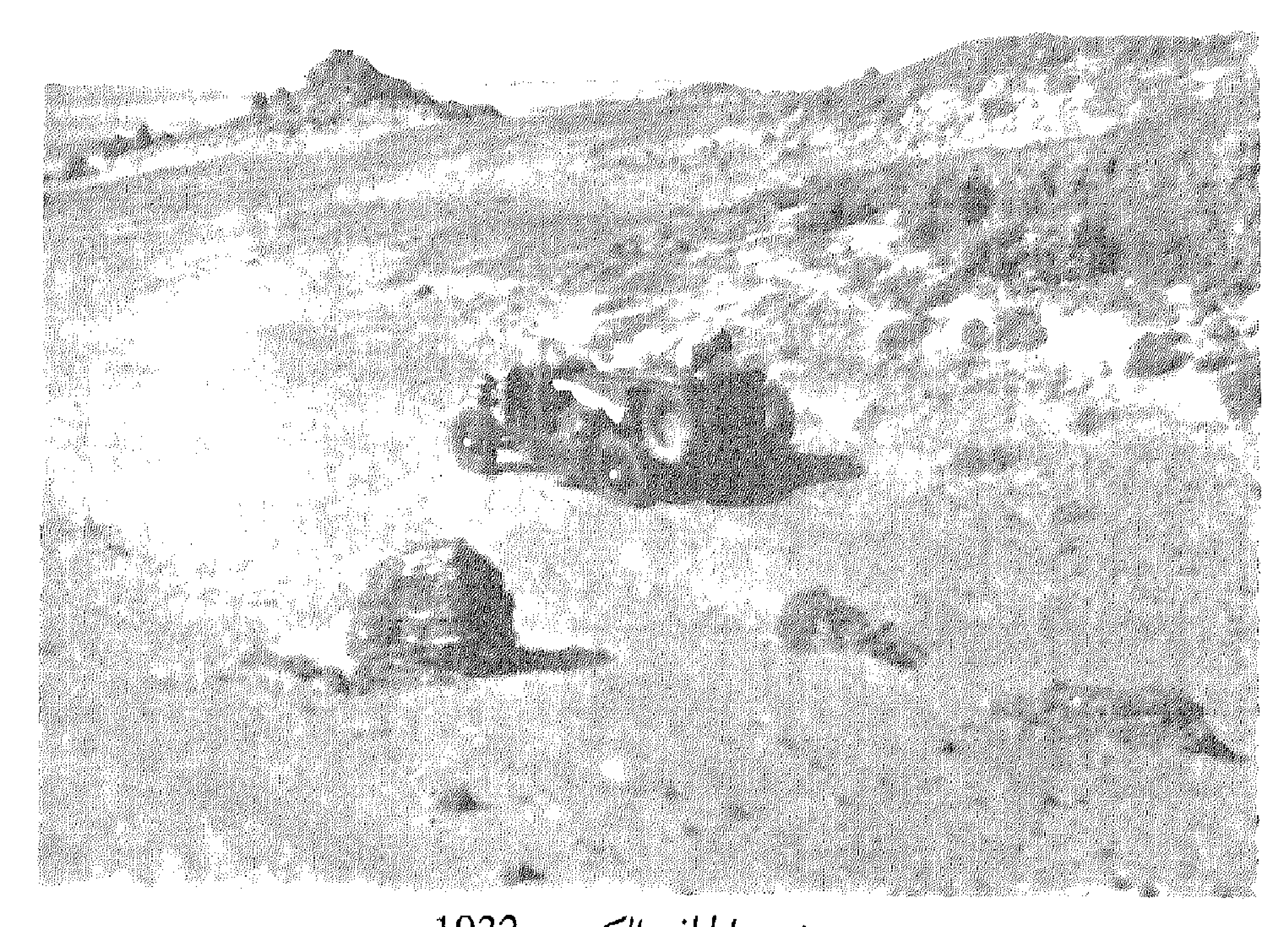


سيارة الأمير (ستروين طراز

عام 1923)

استبدل العجلتين الخلفيتين

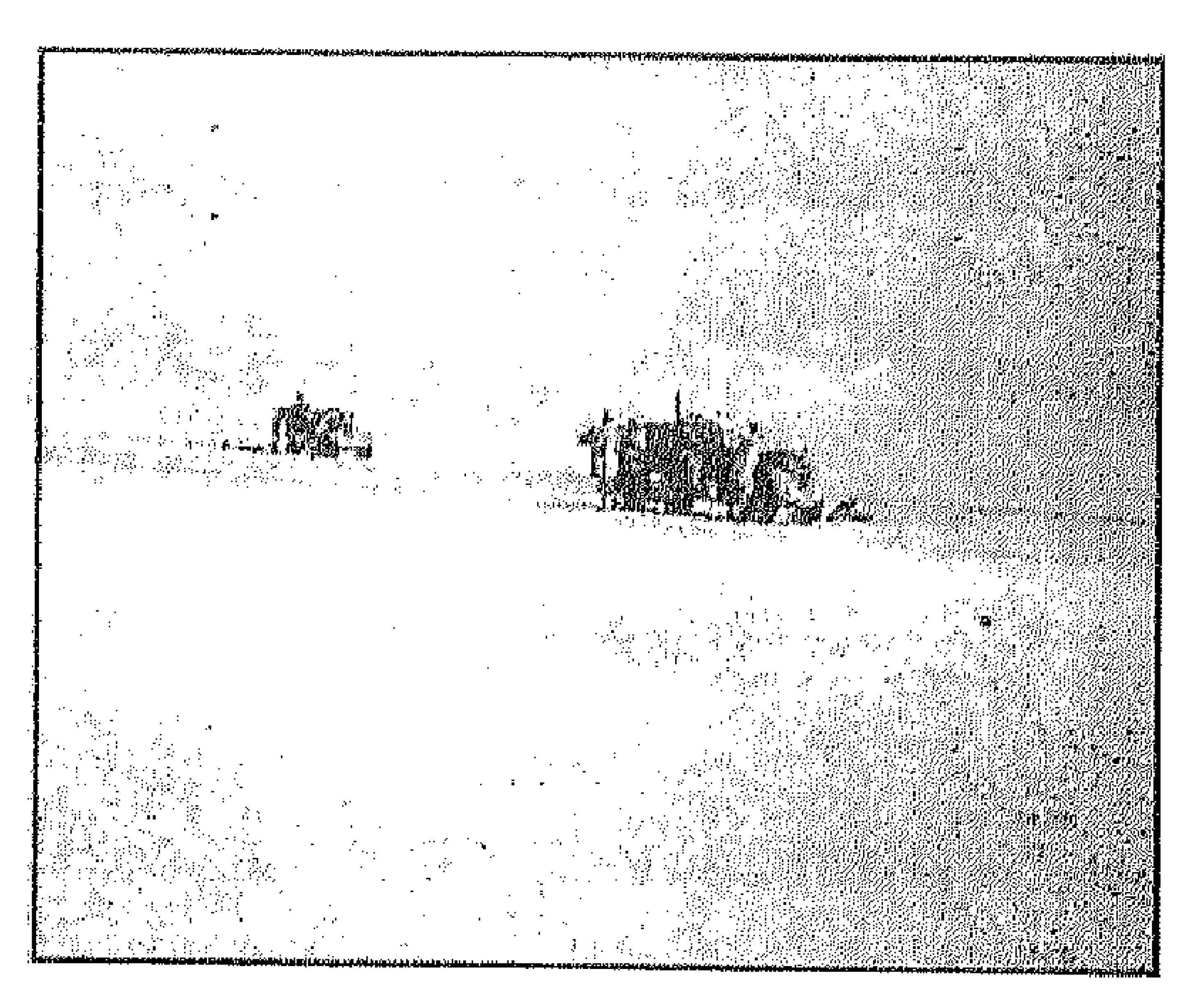
بحصيرتين من مطاط

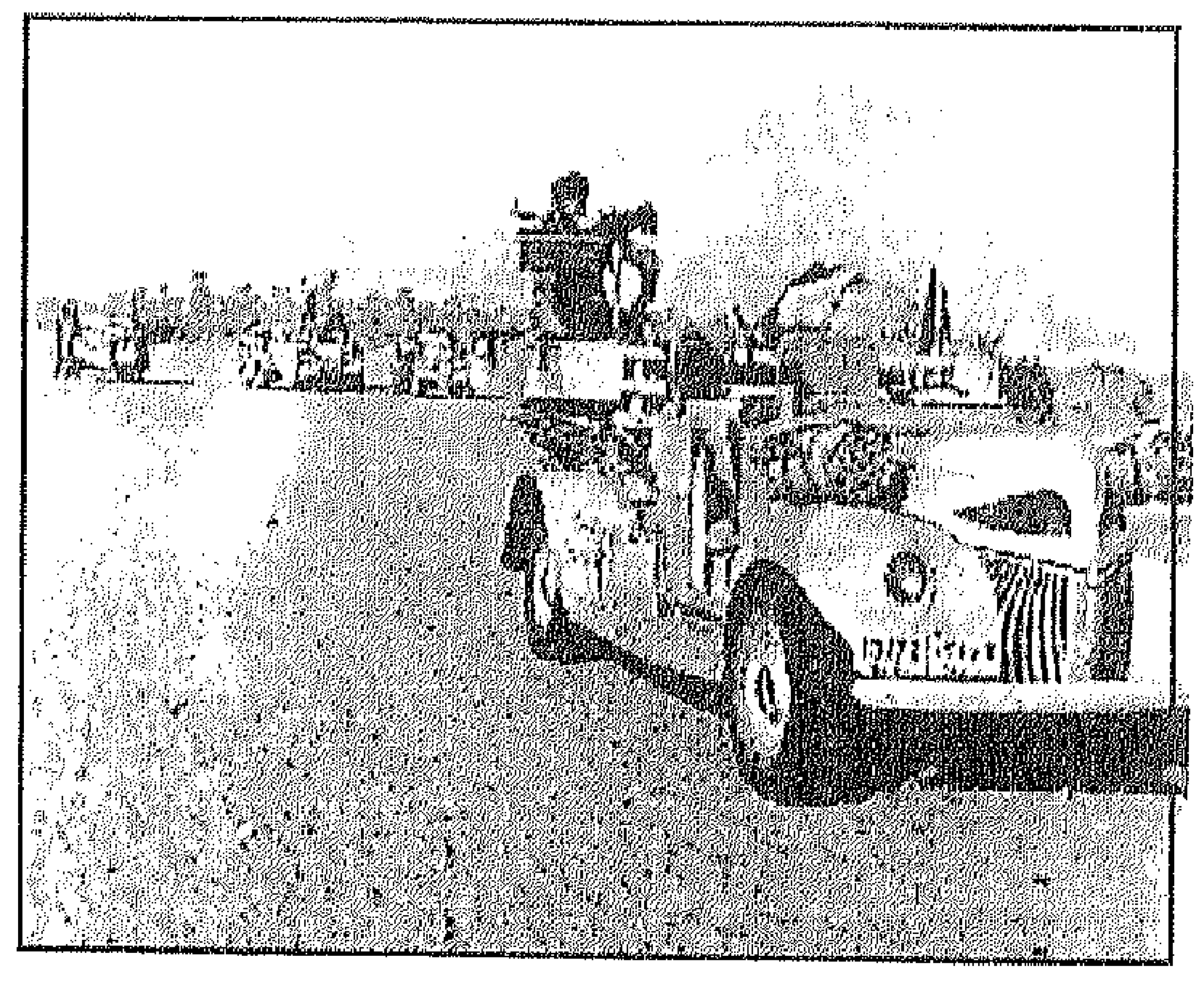


جنوب الجلف الكبير - 1932

Major R.A. Bagnold + Kenneth Stewart Sandford جولة

بالسيارة من الخارجة إلى منطقة العوينات إلى ليبيا إلى تشاد إلى شمال السودان إلى حلفا





شيفروليه 1940 استعملها الجيش المصرى

(74) وأول رحلة للأمير كمال الدين حسين بالسيارات إلى جنوب الصحراء الغربية كانت فى ربيع عام 1923 وكان بصحبته جون بول. وكانت حملة هذه الرحلة مكونة من ست سيارات Box Ford ذات النقلتين وكانت تابعة لسلاح الحدود، وكان معهم أيضا ثلاث سيارات صنع «ستروين» الفرنسية ملكا للأمير. وجرى تحوير سيارات ستروين باستبدال العجلات الخلفية بجنزيرين من المطاط ليلائم السير على الرمال لتقليل احتمالات الغرز. وكان قد أرسلها الأمير قبل بدء الرحلة إلى الداخلة لتخزين قدر كاف من الوقود للسيارات وتخزين مختلف المؤن ولاختبار قدرة السيارات على ظروف الصحراء.

(96) وفى عام 1924 زار الأمير ومعه جون بول موقع «جبل المطر: ريجينفيلد» بالسيارات ذات العجلات الضيقة. وفى عام 1926 اشترت مصلحة المساحة ثلاث سيارات فورد "T" لاستخدام ثلاثة من مهندسى مساحة الصحراء، هم «ووليول» و«موراى» و«كلايتون» وكانت عربات ذات نقالتين. وفى عام 1925 أصبح ضابط الحدود ميجور جارفس Jarvis مأموراً على سيناء وأتاح استخدام سيارات فورد فى أنحاء جبال سيناء. وفى الفترة 27/ 1929 كان الجيولوجى بيدنل وبصحبته زوجته يقوم بتخريط جيولوجى لجنوب الصحراء الغربية وأشرف على حفر بئر «صحارى» وبئر «مساحة» وكانت معه أربع سيارات فورد "T". وفى عام 1929 دخلت مصر سيارة فورد جديدة طراز "A" وكانت مزودة بأربع نقلات للسرعة، وكان هذا تقدما كبيرا فى تسهيل اختراق الكثبان الرملية.

وكانت جريدة الأهرام القاهرية قد قامت بتغطية صحفية لمعرض سيارات أقيم فى مصر عام 1927، وكان أول معرض من نوعه فى مصر والشرق الأوسط. ومن إعلانات ذلك المعرض، إعلان عن بيع أتومبيلات «بيجو» طراز 1927 قوة خمسة خيل وأربع مقاعد بسعر 135 جنيها، وإعلان آخر عن سيارة أحد عشر حصانًا وسبعة مقاعد بسعر 245 جنيها.

وحتى عام 1930 كانت عجلات السيارات مزودة بإطارات ضيقة عرضها ست بوصات (15 ستتميتر) ثم أمكن تطويرها عام 1933 إلى إطارات عرض تسع

بوصات (22.9 سنتيمتر) فسهلت بدرجة كبيرة اجتياز الكثبان الرملية. وخلال مارس وإبريل عام 1932 قام الرحالة الهنغارى «ألماس» ومعه آخرون باختراق هضبة الجلف الكبير من جانبه الشرقى إلى جانبه الغربى بالسيارة. وفى نفس ذلك العام قام كلايتون باجتياز بحر الرمال العظيم من أقصى الشرق عند خط عرض 27° إلى أقصى الغرب عبر الحدود الليبية، وأتبع ذلك برحلة أخرى بالسيارة من الشمال عند خط عرض 24° فى اتجاه الجنوب فى خط مستقيم تقريبا بين امتدادات الغرود الرملية المتوازية، وأمكنه فى مسيرته هذه اكتشاف أماكن «الزجاج الليبى» فى 29 ديسمبر 1932. وتقدمت صناعة السيارات وأصبحت الإطارات تنفخ بضغط الهواء بدل الإطارات المصمطة فازدادت قدرة السيارات على الحركة وخاصة فى الصحارى، وتضاعفت قدرات المحركات فأضفت قوة فى السرعة وفى التغلب على العقبات الصحراوية. وخلال الحرب العالمية الثانية ظهرت السيارة التى يتم تبريدها على الجاف بدل التبريد بالمياه مما جعلها تتحدى ندرة الماء بالصحراء. وتحفل الصحارى المصرية حالياً وخاصة الصحراء الغربية بسباقات السيارات ومنها «رالى الفراعنة» تتبارى فيه قدرات الأنواع المختلفة الصنع فى تحمل المشاق ويتبارى السائقون فى إثبات مهاراتهم.

الطائرة:

(74) فى عام 1931 قام ألماس مع سير روبرت كلايتون الذى امتلك طائرة خاصة صغيرة ومعهما باتريك كلايتون والطيار الحربى بيندريل بالطيران فوق بحر الرمال وهضبة الجلف، وكان ألماس نفسه طيارا. (100) وفى عام 1932 طار ألماس فوق الجلف الكبير فى طائرة صغيرة تحمل راكبين فقط من طراز GYPSY IMOTH وهذه نماذج لسماح السلطات المصرية بامتلاك طائرات خاصة والسماح بطيرانها فوق الأراضى الصحراوية بغرض الاستكشاف.

(30) وكانت مصر قد اهتمت بإنشاء سلاح جوى فى وحدات الجيش المصرى أيام وزارة سعد زغلول فى العشرينيات من القرن العشرين حين طلب وزير

البترول لا يغنى عن الجمل
(سفينة الصحراء)



النسر المصرى محمد صدقى
قاد طائرته الخاصة بمفرده من برلين إلى القاهرة
استقباله في 3 فبراير 1930

الحربيـة والبحـرية من وزير المالية فـتح اعتمـاد بمبلغ 150 ألف جنيـه لإنشاء هذا السلاح. وأدرج فى ميـزانية عام 1927 مبلغ أربعة آلاف جنيه لنفـقات بعثة طيران للتدريب، ولم تنفذ فى تلك الميزانية ولا فى الميزانية التالية. وفى ميزانية عام 1929 أدرج نفس المبلغ وبذلك أمكن فى 26 إبريل 1929 أن يلتـحق ثلاث من الضبـاط المصريين بمـدرسة الطيران البـريطانى فى أبو صوير بالـشرقيـة. بعد ذلك اشـترت الحكومة فى وزارة إسماعيل صدقى خمس طائرات تعليم وصلت مصر فى 2 يونيه 1932 وكونت السـرب الأول فى سلاح الطيـران المصرى وهو سرب التـعليم، ثم اشتـرت الحكومة طائرتين وصلتا فى نفس العـام وكونتا السرب الثـانى وهو سرب المواصلات. ثم اشتـرت عشر طائرات وصلت فى 7 ديسمبر 1933 وكونت سرب الخدمة العسكرية. وقد وصل مع هذه الطائرات عشر طيارين مصريين بعد إكمالهم التدريب فى معاهد الطيران فى بريطانيـا. وكانت هناك خطة مصرية لزيادة السلاح إلى 55 طائرة ولكن الظروف حالت وقتئذ دون أن يتحقق.

وفى الثلاثينيات من القـرن العشرين أقبل عدد من الشبـاب المصرى للتأهيل للطيران المدنى بل إن سـيدة مصرية كـانت تسابق الرجال فى هذا المضـمار فكانت «لطفية النادى» أول طيارة مصرية مؤهلة[1]، وجدير بالذكر أن المهندس / محمود الهوارى الذى كان مديرا لمنجم الذهب الحكومى بالسكرى، كان أحد هواة الطيران المؤهلين وامتلك طائرة صغـيرة من مخلفات طائرات التـدريب التى بقيت بالمخازن عقب انتهاء الحرب العالمية الثانيـة، وكان الهوارى يقود طائرته بنفسه ويهبط بها فى مواجهة الاستراحة الحكومية بمرسى علم «البنجالو».

وتكونت شركة مصـر للطيران واتسعت دائرة نشاطها حـتى صارت العملاق الذى نعرفه اليـوم. وافتتحت الحكومة عـددا من المطارات بجانب المطارين الدوليين الرئيسـيين فى القاهرة والإسكندريـة، فى الأقصر وأسـوان وفى أنحاء الصـحارى

(١) وقبلها كان الطيار الجسور محمد صدقى الذى قاد طائرته الصغيرة ذات المقعدين من برلين للقاهرة، وقوبل عند وصوله القاهرة فى 3 فبراير 1930 بكل الإكرام والترحيب.

المصرية فى العريش ومرسى مطروح وشرم الشيخ والغردقة والبحرية والخارجة وغيرها من مهابط للطائرات. وظهرت شركات أهلية للطيران كما تكونت شركة للخدمات البترولية تمتلك عددا من الطائرات تساهم فى نقل العاملين فى قطاع البترول بأنحاء الصحارى المصرية ولها مطاراتها.

(76) وقد شجعت الحكومة إنشاء مطارات باستثمارات القطاع الخاص واستصدرت لذلك القانون رقم 3 لعام 1997. وكانت باكورة الاستفادة من هذا القانون إقامة مطار مرسى علم الصحراوى الذى أنشأته مجموعة الخرافى الكويتية بنظام BOOT وافتتح فى نوفمبر 2003. ويقع المطار شمال مدينة مرسى علم الساحلية بمسافة 70 كيلو مترا ويخدم النشاط السياحى.

السكك الحديدية:

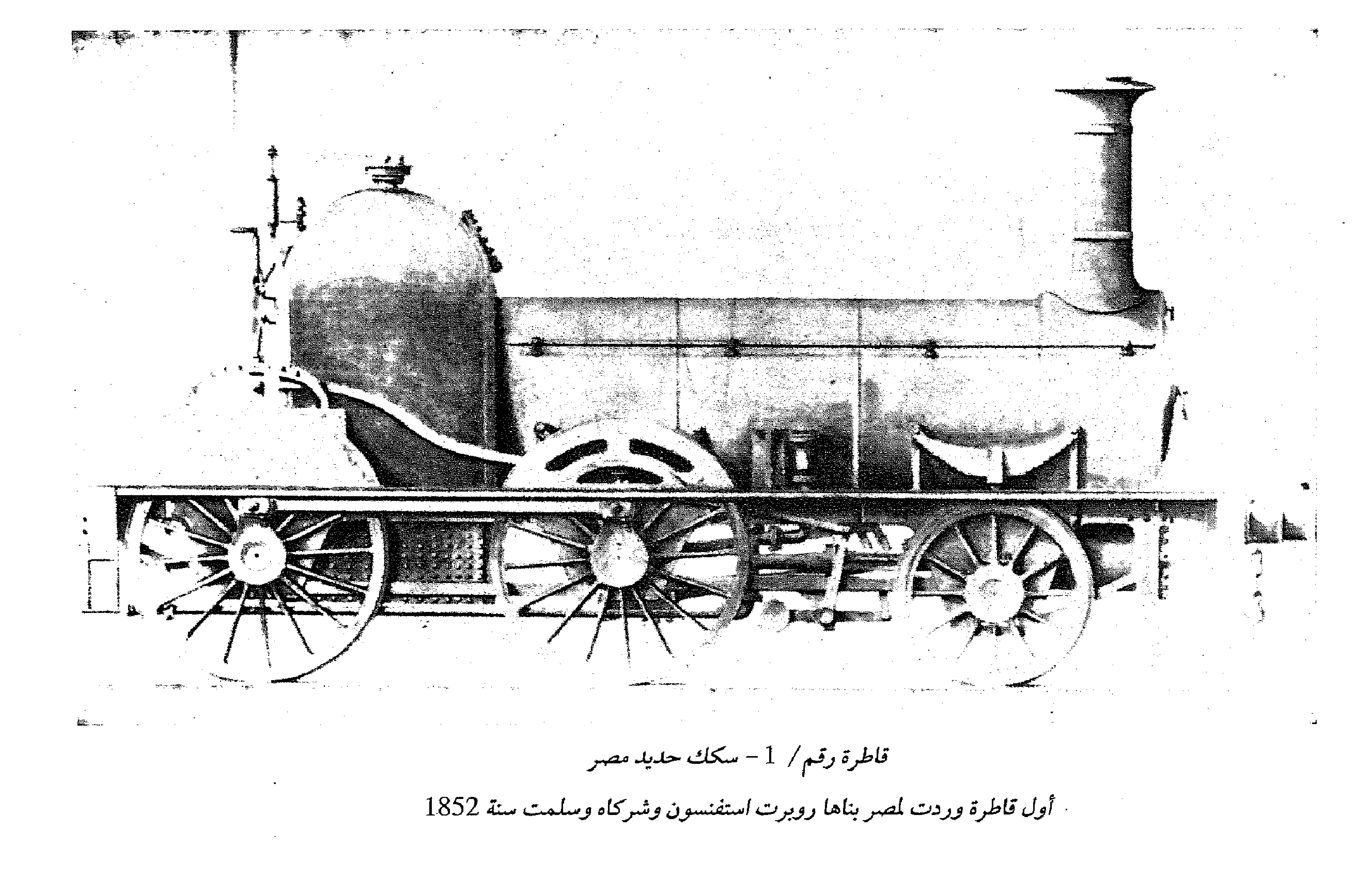
مدت بعض خطوط السكك الحديدية فى الأراضى الصحراوية [illegible]نها كما يلى:

* الخط الذى أقامته إحدى الشركات الاستثمارية فى أوائل القرن العشرين من الواحات الخارجة، ثم انتزع بعد تصفية تلك الشركة.

* الخط الذى أقيم من قنا إلى سفاجا أثناء الحرب العالمية الثانية لحساب المجهود الحربى، ثم نزع عقب انتهاء الحرب.

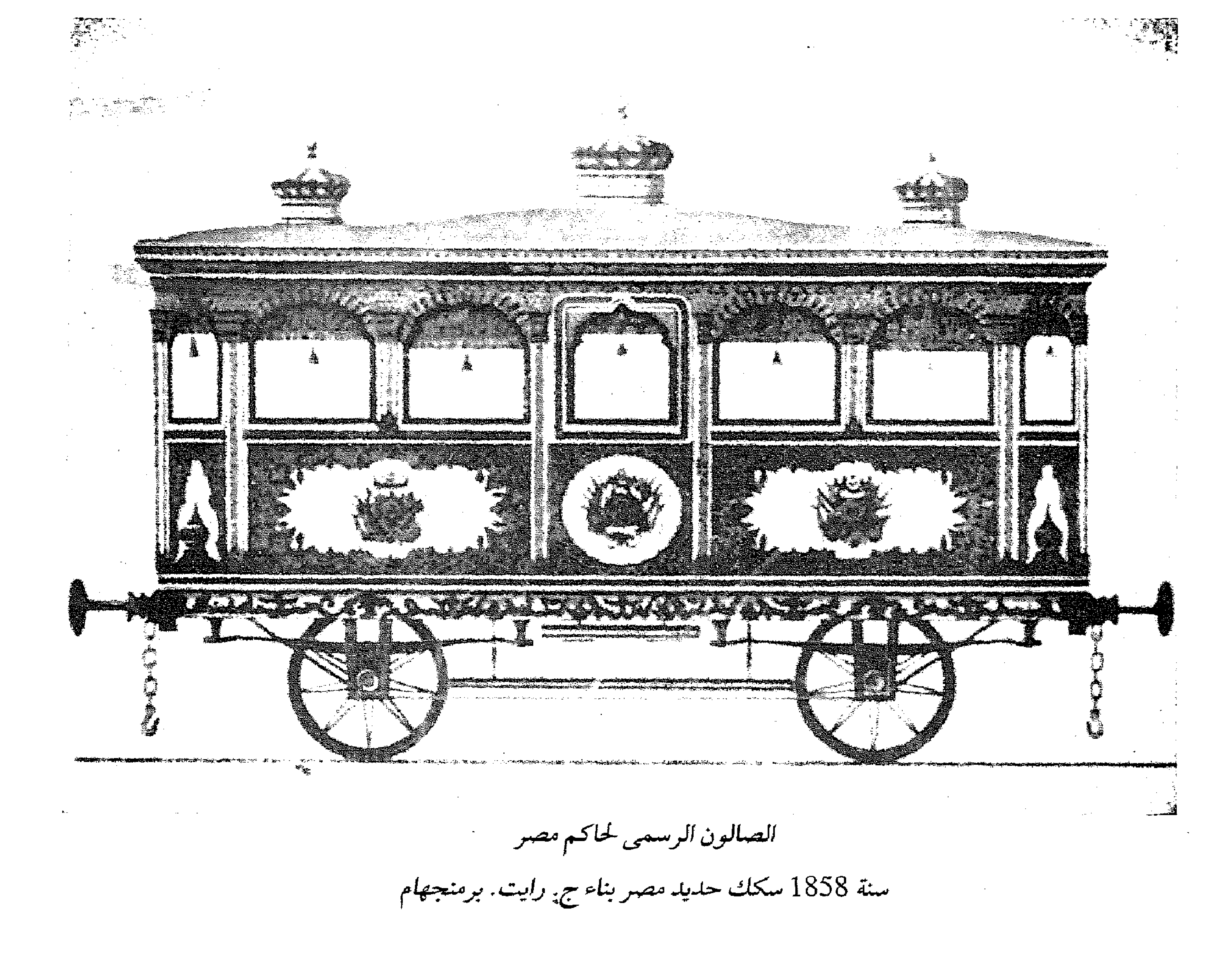
* الخط الذى يمتد من مناجم حديد البحرية إلى مصانع الحديد بحلوان عبر كوبرى المرازيق.

* الخط الذى امتد من هضبة أبوطرطور (بين الخارجة والداخلة) إلى نجع حمادى ويعبر النيل ويمتد إلى سفاجا، ولم يستعمل ومازال قائما، وله امتداد من الخارجة حتى واحة باريس بطول 45 كيلومتر.



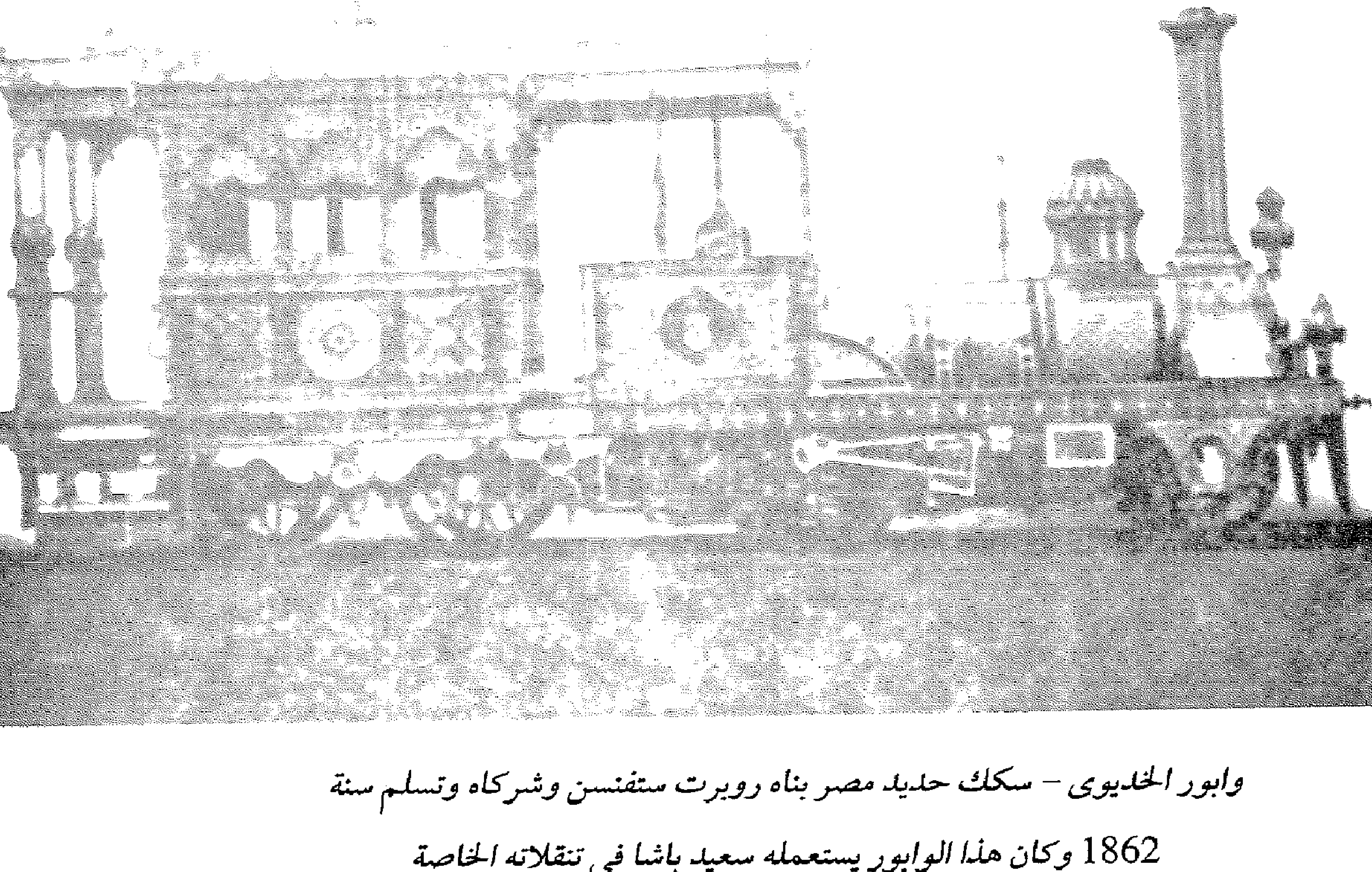
قاطرة رقم/ 1 - سكك حديد مصر

أول قاطرة وردت لمصر بناها روبرت استفنسون وشركاه وسلمت سنة 1852

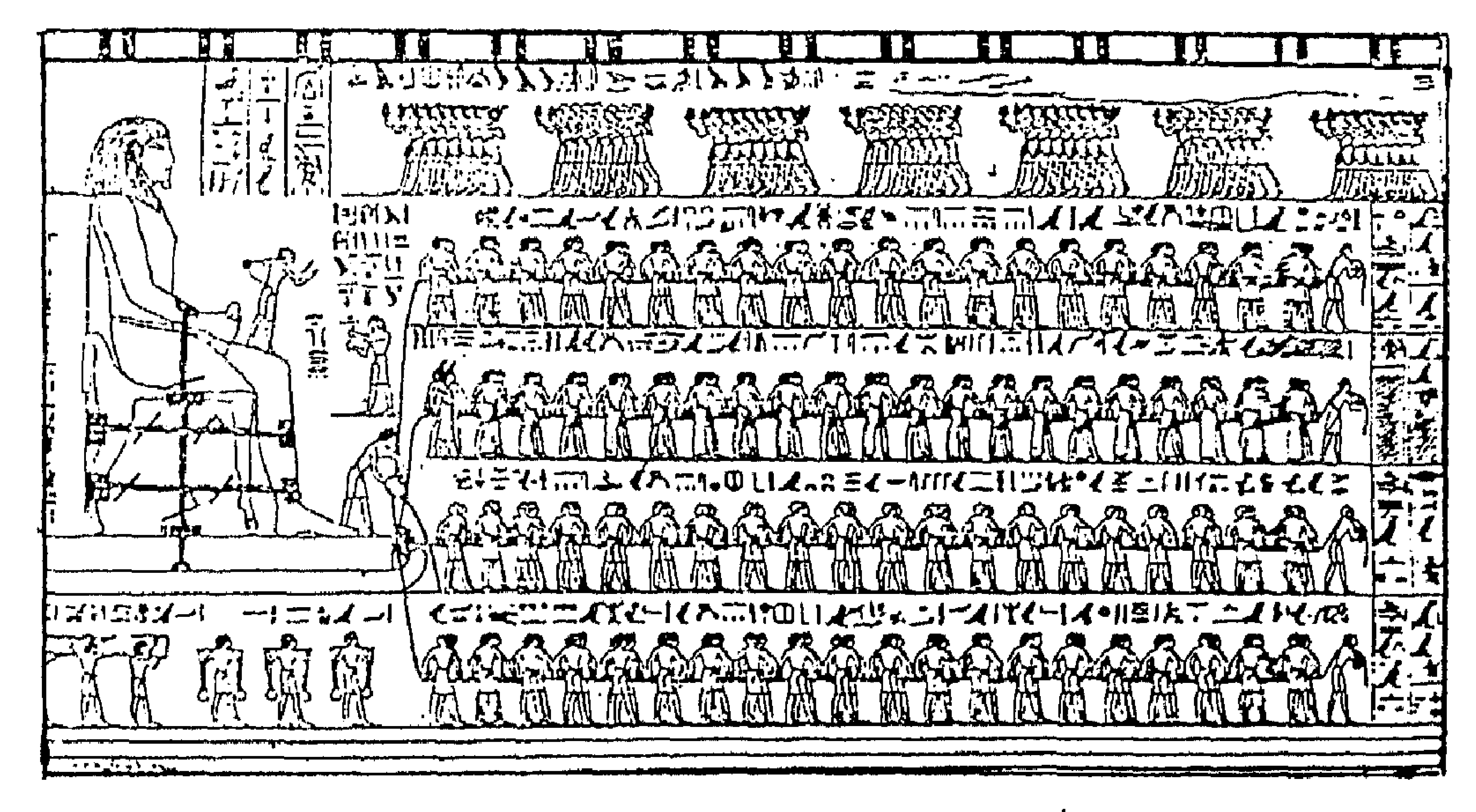


الصالون الرسمى لحاكم مصر

سنة 1858 سكك حديد مصر بناء ج. رايت. برمنجهام

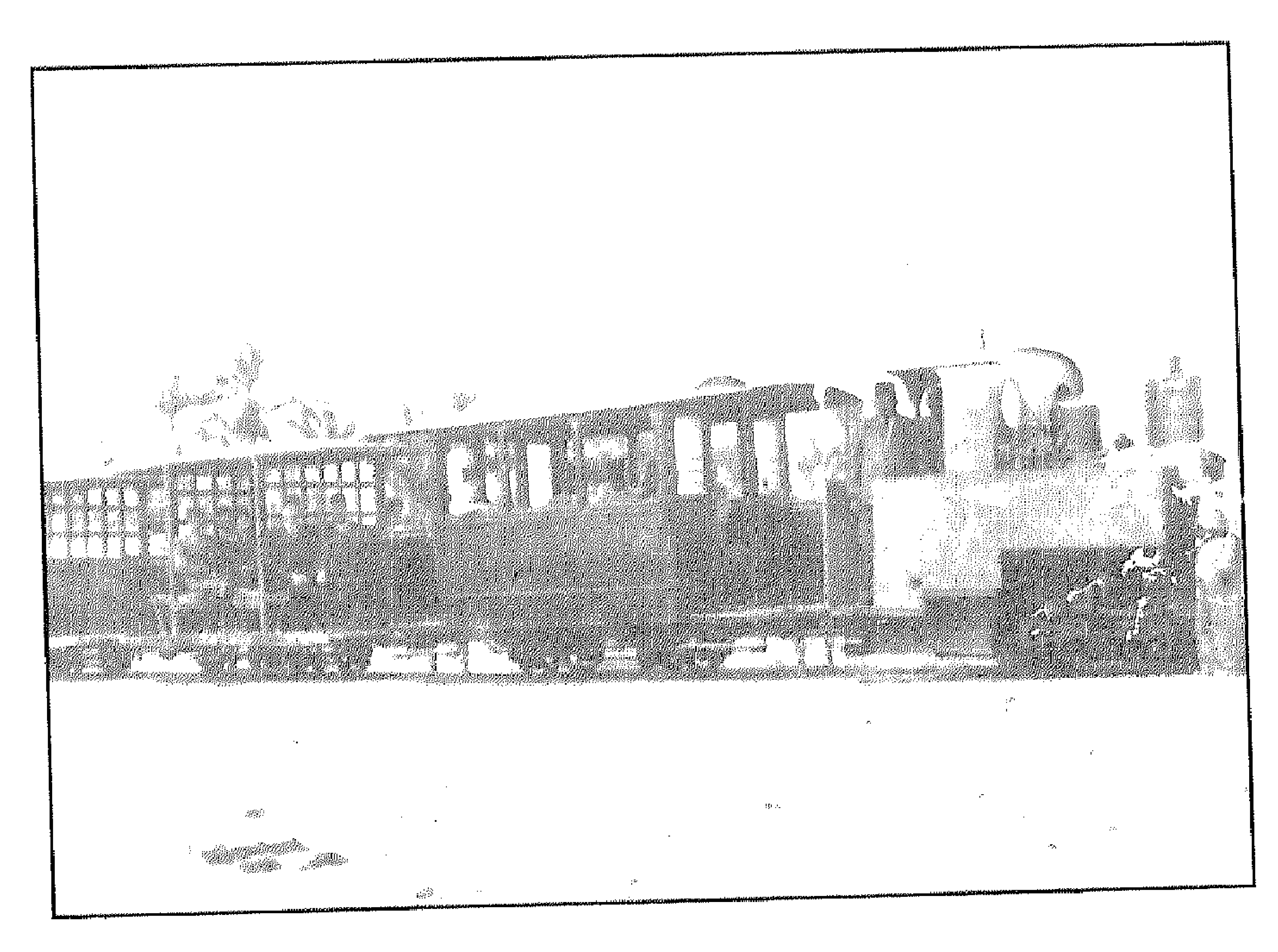


وابور الخديوى – سكك حديد مصر بناه روبرت ستفنسن وشركاه وتسلم سنة 1862 وكان هذا الوابور يستعمله سعيد باشا في تنقلاته الخاصة

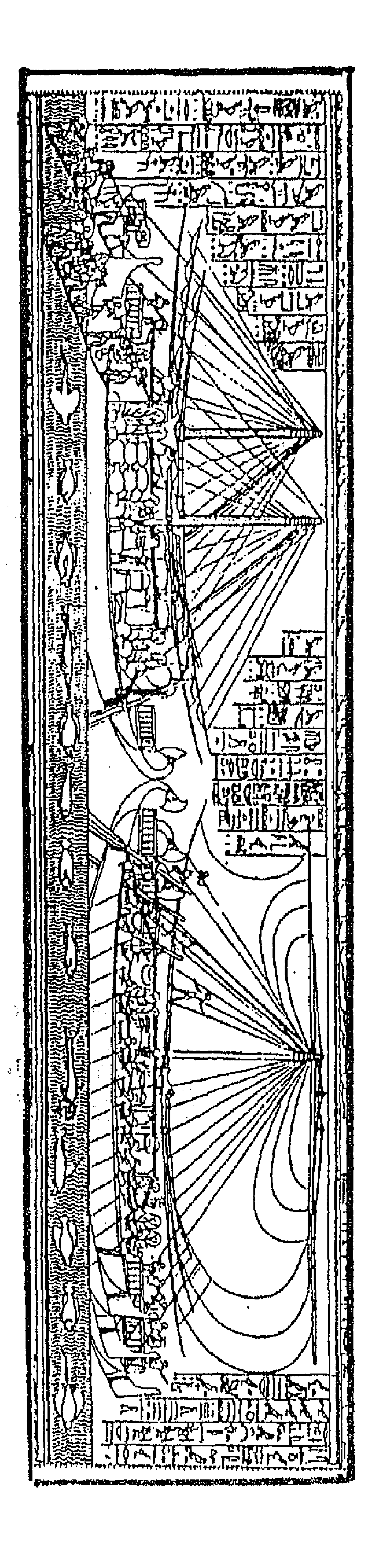


نقل تمثال كبير الحجم. من مقبرة تحوتي - حوتب في البرشا

(Newberry, El Bersheh, Part 1, Ptate 15 نقلا عن)



قطار ركاب أوائل القرن العشرين

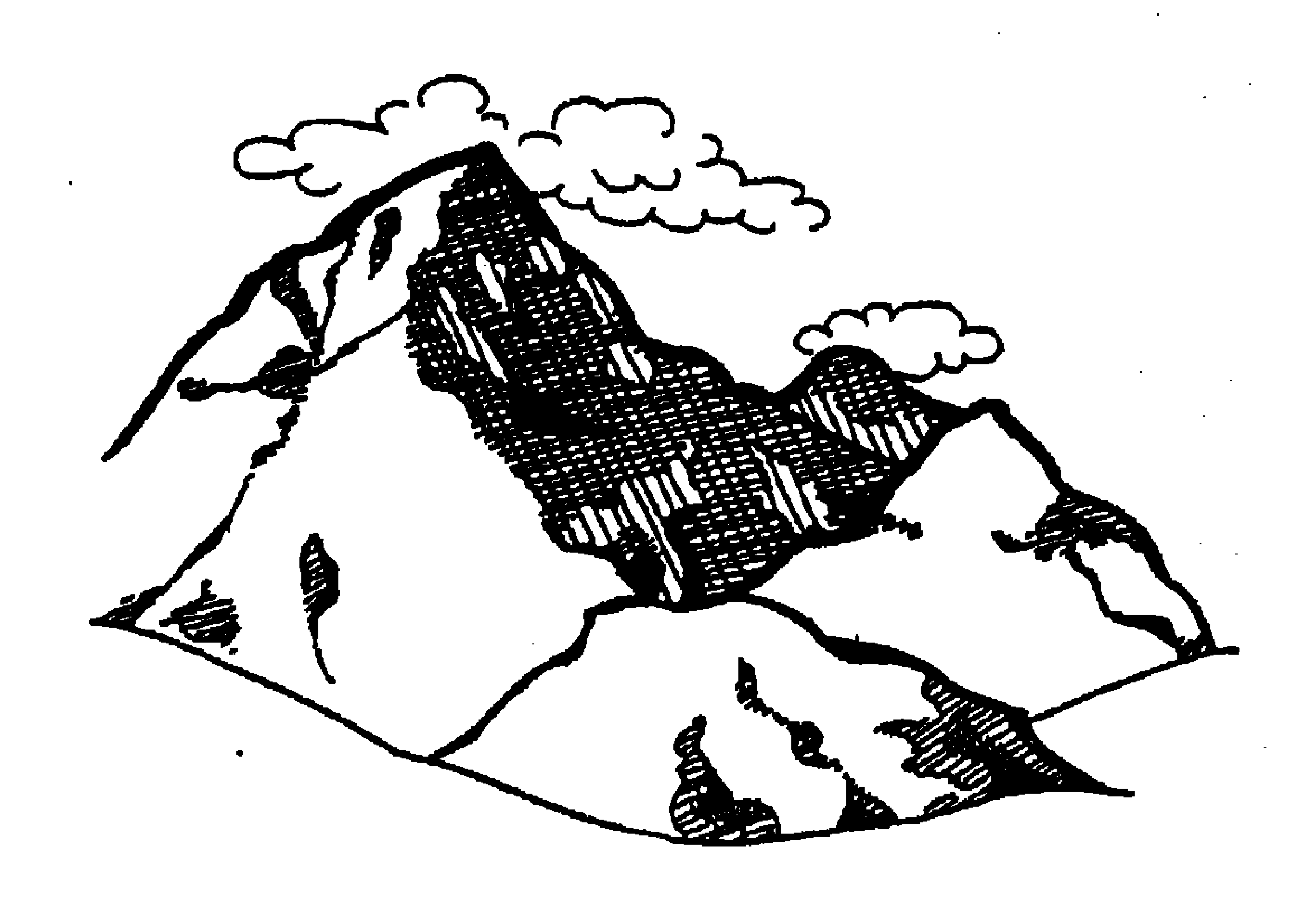


جزء من منظر السفن

الرسوم على جدار معبد الملكة حتشبسوت في الدير البحري

الفصل الرابع

الاستدلال على الموقع
والاتجاه ورسم الخرائط الصحراوية



قص الأثر والخرائط القديمة:

حرص الإنسان منذ القدم على إيجاد الوسائل التى تسانده على الاستدلال على موقعه، وعلى الاستدلال على ما يقصده من أماكن بتحديد اتجاهه وتحديد مسالكه. فهو يتعرف على أشكال ما يحيط به من مرتفعات ومنخفضات ووديان ويختزن هذه المعرفة فى ذاكرته ويورثها جيلا بعد جيل. ونشأ علم بدائى هو علم «قصّ الأثر» يتعرف به الإنسان على ما تركه من سبقه السير فى أحد المسالك من انطباع الأقدام والحوافر على سطح الأرض ومن مخلفات آدمية أو حيوانية. وعلى مدى التاريخ وحتى الآن برع أفراد من الناس على تتبع الأثر. وفى سورة الكهف ذكر لما قام به موسى عليه السلام من قصّ الأثر: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف].

وتدرج البشر فى مدارج العلم فتعرفوا على فصول السنة والأوقات ولاحظوا دورات الليل والنهار ودورات القمر بدرا ومحاقا ودورة الأرض حول الشمس. وفى هذا الشأن عثر الأثريون على «مزولة» حجرية فى منطقة النبطة فى صحراء مصر الغربية.

(6) واحتاج الإنسان إلى مزيد من الدقة فعرف كيف يحدد شماله وجنوبه. ذكر العالم العربى «البيرونى» أن من ضمن الوسائل البدائية التى عرفها الإنسان مبكرا لتحديد اتجاه الشمال والجنوب مراقبة ظل عصا فى وضع عمودى، حتى يكون الظل أقصر ما يكون، فيكون اتجاهه هو الشمال ويقابله الجنوب. وهكذا كان قد تجلى هذا التطبيق فى ضبط اتجاه أضلاع أهرام الجيزة مع الاتجاهات الأربع. (42) وقد عنى العلماء المصريون فى الأزمان الفرعونية أن يسجلوا المعلومات التى تتجمع لديهم نتيجة ارتيادهم الصحراء الشرقية لأغراض التعدين أو للوصول إلى ساحل البحر الأحمر. ولا بد أنه كان يوجد نظام أرشيفى حفظ كافة تلك المعلومات حتى يلجأ إليه من كان ينوى اختراق الصحراء فيفيد بما احتوت من

معلومات ثم يضيف عند عودته المزيد مما اكتسب من الجديد من المعلومات. وقد عثر على مجموعة من أوراق البردى مرسوما عليها خريطة لجزء من وادى الحمامات مما هو حول بئر الفواخير من معالم جغرافية وجيولوجية (وهى فى منتصف الطريق بين قنا والقصير). وسميت هذه الخريطة «بردية تورين» لوجودها حاليا فى متحف مدينة تورين بإيطاليا. وكان قد عثر على هذه البرديات خلال القرن التاسع عشر فى البر الغربى للأقصر، واعتبر علماء المصريات هذه الخريطة من أوائل ما استطاعت البشرية إنجازه منذ 1150 عاما قبل الميلاد.

(16) وممن برز قديما من راسمى الخرائط «كلوديوس بطليموس» الخرائطى المصرى الذى كان من علماء الإسكندرية فى منتصف القرن الثانى الميلادى. وهو الذى ألف كتاب «الجغرافيا» وأرفق به خرائط وقوائم لمواقع حوالى ثمانية آلاف مكان، فحدد موقع كل مكان بما تعارف عليه العلماء الجغرافيين وقتئذ من خطوط الطول والعرض.

(93) وازدهرت النهضة العلمية بعد ظهور الإسلام واستمرت عدة قرون وقد استلزمت حتمية أن يتجه المسلم فى صلاته إلى الكعبة، أن تكون لديه معارف جغرافية تساعده فى تحديد الاتجاه، وقد حرص بعض علماء المسلمين الأوائل على وضع جداول «الحزاج» وفيها تحديد لموقع الأماكن والأنحاء بين البلد والآخر.

استخدام الأجهزة المساحية:

فى القرن السادس الميلادى اخترعت البشرية جهازا أسموه «الإسطرلاب Astrolabe» فى شكل بدائى ثم شاع استخدامه فى العالم الإسلامى خلال القرون الوسطى. (6) وقد تعرض البيرونى لوصف اسطرلاب وكيف أنه يستعمل لقياس درجات ميل الشمس والنجوم.

(16) ثم اخترعت البوصلة Compas التى تحدد الشمال المغناطيسى. ومن الشائع أن الملاحين الصينيين هم أول من استعمل البوصلة. نقلها العرب عنهم فى القرن الخامس أو السادس الهجرى (القرن الـ 11 أو 12 الميلادى). والبوصلة عبارة

عن إبرة ممغنطة من الحديد لها طرفـان تتحرك أفقيا بحرية فـوق قرص دائرى مقسم إلى 360 درجـة، ويتـجـه أحـد طرفى البـوصلة عـن طريق الإبرة إلى الشـمـال المغناطيـسى وليس إلى الشـمـال الجغـرافى المرتبط بالقطبين الشـمـالى والجنوبى. ولتصبح قراءة الاتجـاه من الشمال المغناطيسى إلى الشمال الجـغرافي يلزم إضافة أو طرح جـزء من الدرجة حـسب المكان والزمان. وتشـير المراجع إلـى أن استـخدام البوصلة بـدأ فى أوروبا حوالى 1190 ميـلادية واستـخدمـها الملاحون الـعرب فى المحيط الهندى حوالى عام 1220 واستخدمها ملاحو شمال أوروبا حوالى 1250.

وتوالت بعد ذلك اختراعات الأجهزة البصرية المزودة بالعدسات والمرايا لرسم الخرائط المساحية. فاختـرع لرسم الخرائط جهاز تيودوليت Thiodolite الذى يقيس المسافات ويقيس الزوايا الأفقية والرأسـية. ولرسم الخرائط لابد من إقامة نقط ثابتة تسمى «نقـط المثلثات» تقام على شـكل «رجم» ثابت على قمم المرتفـعات، وهى محددة الموقـع بكل الدقة الممكنة (بخطوط الطول والعرض) ومحـددة الارتفاع عن سطح البـحر. وتكون شـبكة نقط المثلثات هى الأسـاس لمهندس المسـاحة لتوقـيع المعالم الطبيعية على الخرائط بمختلف مقاييـسها. ومن الأجهزة التى شاع استعمالها منذ أوائل القرن العشـرين جهاز الأليداد Alidade للرسم التفصـيلى. وكان هناك أيضا جهاز لقياس المسافات Range Finder.

(111) وللدلالة على التطور المسـتمر لجـهاز الثيـودوليت فقد ذكـر مهندس مساحة الصحارى موراى أنه فى إبريل عام 1922 تسلق جبل الشايب فى الصحراء الشرقيـة لبناء نقطة مثلثات مساحيـة على القمة يرصد منها بالثـيودوليت الذى كان معـه، وكان وزن هذا الثـيودوليت 70 رطلا وكان عـبئا على الـعامل (الجنزرجى) الذى كان يـحمله. وفى مـايو عام 1943 (أى بعد 21 عامـا) تسلق موراى نفس الجبل ووصل إلى نفس القمة وكان معه ثيودوليت متطور وزنه 12 رطلا فقط.

(23) ومما يذكر أن الرحالة المصـرى «أحمد حسنين» حينما قـام برحلته عام 1923 فى الصحراء الليبية كانت معه بوصلة دقـيقة وباروميتر لقياس الضغط الجوى

وعدد من الترمومترات وست ساعات لضبط الوقت، واستطاع بهذه الأجهزة التحقق بدقة من موضع واحتى أركينو والعوينات.

(43) ولقد كانت أولى نقط المثلثات التى أنشئت فى صحارى مصر لضبط المواقع على خطوط طول وخطوط عرض دقيقة تلك التى قام بها بعض علماء الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801) برئاسة الكولونيل جاكوتان Jacotan من المهندسين الجغرافيين الذين جاؤوا مع الحملة. وكانت نقط المثلثات التى أنشأها مقسمة إلى مجموعتين، المجموعة الأولى من الدلتا إلى أسوان والمجموعة الثانية من الدلتا إلى فلسطين (الشام) وبذلك أمكن رسم 47 خريطة مساحية منها 42 خريطة للأراضى المصرية وخمس خرائط للإقليم الشامى. وقد قدمت مجموعة الخرائط هذه لنابليون بونابرت فى أكتوبر 1903 فأمر بطبعها على نفقة الحكومة الفرنسية. ونظراً لأن الفضل فى إخراج الخريطة المجمعة لكل هذه الخرائط يرجع للكولونيل جاكوتان لذلك نسبت إليه وسميت «خريطة جاكوتان».

(67) وفى عام 1868 جرت أول عمليات المسح الطبوغرافى الصحراوى القائم على استخدام الأجهزة الحديثة فى جزء من صحراء سيناء. فى ذلك العام قامت مجموعة من رجال مصلحة المساحة البريطانية برئاسة المهندس بالمر ومعه المهندس ويلسون، تمولها هبات من بعض الجهات المعنية بالتاريخ الدينى، قامت برسم خرائط للمسارات التى يحتمل أن يكون موسى عليه السلام قد اتخذها بعد عبوره إلى سيناء. وقد رسمت تلك المجموعة من المهندسين منطقة تبلغ حوالى واحد من سبعة من مجموع مساحة سيناء.

وفى عام 1960 حصرت نقط المثلثات فى كافة شبه جزيرة سيناء فتبين أن عددها يربو على ألف وخمسمائة نقطة، وهذا يبين كثافة توزيع نقط المثلثات الصحراوية اللازمة لكى يتمكن مهندسو رسم الخرائط من أداء عملهم.

(88) وفى الخمسينيات من القرن العشرين استحدث جهازان لقياس المسافات، أحد الجهازين Tellurometer يعتمد على قياس سرعة انتقال الموجات

الإليكترو - ماغناطيسية بين نقطتين، أمـا الجهاز الثانى فهو Geodometer ويعتمد على قياس سرعة حركة الموجه الصوتية بين نقطتين.

خرائط الصور الجوية والفضائية:

(67) ظهر التصـوير الجوى مبكراً مع اختراع الطائـرة، فأمكن تصوير سطح الأرض من طائرات تطير على ارتـفاعات منخفـضة، وقد بدأت أولى تجـاربها فى مصر خلال الحرب الـعالمية الأولى فى سيناء اشترك فيهـا بعض الخبراء الإنجليز من مـصلحة المسـاحـة المصرية مع بـعض ضبـاط السـلاح الجوى وسـلاح المهندسين البريطانيين. وتبين أنه يوفر 20-40 ٪ من الوقت ويعطى نتائج أكثر دقة. وتطورت أساليب التـصوير واسـتخدام الأفـلام الملونة واستخـدام العدسـات ذات الكفاءات العالية كما تطورت أساليب وأجهزة تحويل مجموعات الصور إلى خرائط كنتورية.

(123) ثم جاء عصر صور الفضاء التى تبعث بها المركبات الفضائية. وكانت أول صور فضائيـة لأجزاء من مصر أرسلتها مـركبة الفضاء «جيـمينى». وفى عام 1972 بدأ تلقى صور من مركبة الفضاء «لاند سات» ومنها أمكن إنشاء خرائط ربع مليونية. وأرسلـت المركبة «أبوللو 9» صورا أظهرت بوضوح طبـيعة سطح جنوب الصحراء الغربية مما جعل العالم المصرى فاروق الباز يقوم عام 1978 ويصحبته 16 عالما دوليا بالتجـول ما بين الخارجة والجلف الكبير وجـبل العوينات لمضاهاة صور الفضاء بواقع الطبيعة الأرضية حـيث تبين التشابه بين معالم سطح جنوب الصحراء الغربية فـى مصر مع طبيعـة سطح كوكب المريخ Mars. وأطلقت «لاند سات 7» عام 1997 ومنها أمكن تغطية مصر كلها بنحو 60 لوحة.

(18) وظهـر التصـوير الرادارى الفضـائى Radar imaging الذى قامت به مركبة الفـضاء المكوكية «كولومبيـا» فى نوفمبر 1981 وما تلاها من مركبات كندية وأمريكيـة. وقد كشف هذا الـنوع من التصوير عن الأشكال المدفـونة تحت الغطاء الرملى الصحراوى لشبكات مجارى نهرية قديمة فى جنوب الصحراء الغربية.

(17) ومنذ أوائل الثمانينيات من القـرن العشرين حدث تطور هائل فى إنتاج الخرائط وظهرت الخرائـط الرقمية Digital maps وهى الخرائط التى يتم تسـجيلها إليكترونيا وإظهارها وتداولها على شاشات الحواسب الآلية ويتم إنتاجها على أربعة نوعيات:

- الخرائط الصماء (النقطية) raster maps على الحاسب الآلى.
- الخرائط الخطية vector maps وفيها تسجيل المعالم فى طبقات.
- الخرائط الثلاثية الأبعاد 3 D maps.
- الخرائط المصورة ortho images maps.

(96) وآخـر المستـحـدثات فى الأجهـزة هو Global positioning system "GPS" وهو جهـاز تحديد الموقع ويمكن أن يحمله عـابر الصحراء فى جيـبه إذ لا يزيد حجمه عن حجم البوصلة العـادية. ويقوم هذا الجهاز بتحديد الموقع بخطوط الطول والعرض ويحدد ارتفاع نقطة معينة، وذلك باسـتخدامه البيانات التى يتلقاها من ثلاث محطات فـضائية Satellites. ويمكن للجهاز إذا أعطيـته إحداثيات نقطة تريد أن تقصـدها أن يعطيك طول المسافة بينك وبـين هذا الموقع ويعطيك إرشادات للتوجه إليه.

القمر الصناعى المصرى:

(61) وأخيراً أطلقت مصـر قمرا صناعيا فى أول مشـروع للفضاء المصرى. وقد بدأت فكرة مـشروع الفضـاء المصرى فى بداية التـسعينيـات، وفى عام 1997 تشكل المجلس المصرى لبحـوث الفضاء. ووضع المجلس بعد دراسات متـخصصة برنامجًـا لإطلاق مصر ثلاثة أقمـار صناعية على ثلاث مراحل حـتى عام 2017. ويتم فى هذه المراحل الثلاثة الإنجازات التالية:

- تصنيع القمـر الأول فى المرحلة الأولى ويتم التصنيع فى الخارج بمشـاركة علماء وفنيين مصريين.

– تصنيع القمر الثانى وينطلق عام 2012 فى المرحلة الثانية التى تتم فى مصر بمشاركة فنية مشتركة مصرية وأجنبية.

– تصنيع القمر الثالث وينطلق عام 2017 فى المرحلة الثالثة التى تتم فى مصر بجهود فنية مصرية منفردة.

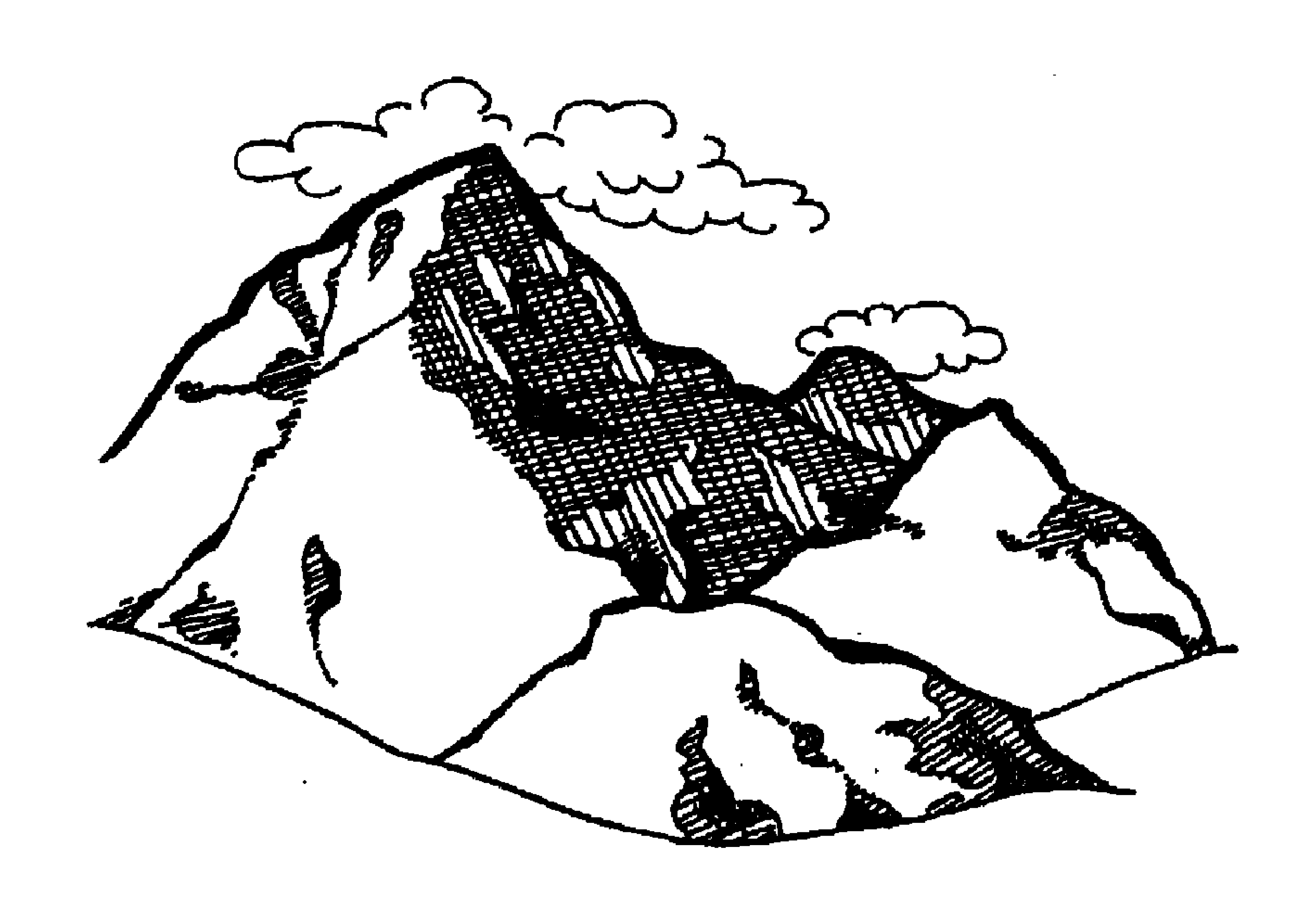
وقد تحقق تصنيع القمر الأول فى أوكرانيا وهو «مصر سات» وتدرب عدد من المصريين على عملية التصنيع حسب اتفاق جرى توقيعه عام 2001.

وفى الساعة الثامنة و46 دقيقة صباح 17 إبريل عام 2007 انطلق هذا القمر مع أقمار أخرى لعدد من الدول فى صاروخ أطلق من مطار «يكنور» الفضائى بدولة كازاكستان. ويتخذ القمر المصرى مداره على ارتفاع 668 كيلو متر من سطح الأرض ووزنه 167 كيلو جرام. وهو من نوع قمر «الاستشعار» ويقوم بتصوير مصر كلها مرتين يوميا بدقة حوالى 8 أمتار وهى دقة ملائمة لكثير من المتطلبات، كما أنه يمر كل 57 يوما فى نفس مداره السابق فوق نفس المكان. وهكذا يعطى صوراً تفصيلية للأرض المصرية ويبين أى تغييرات تحدث على السطح على مدى عمر تشغيل القمر وهو حوالى خمس سنوات. وتتلقى محطة متخصصة مقامة فى أسوان كل الإشارات والمعلومات التى يرسلها القمر. وسوف يزود القمر الثانى الذى يتم إطلاقه قبل انتهاء العمر الافتراضى للقمر الأول بجهاز يرسل أشعة رادراية للاستشعار عما تحت سطح الأرض. وإن ما يعطيه القمر الصناعى المصرى من خرائط دقيقة ومعلومات إنما هى ركيزة أساسية لوضع برامج تفصيلية لتنمية الصحارى المصرية. ولعل مجلس بحوث الفضاء أن يتطور إلى إنشاء وكالة فضائية مصرية.

والجهة المسئولة عن هذه الأنشطة هى «الهيئة القومية للاستشعار من البعد وعلوم الفضاء NARSS» وكان نشاط الاستشعار من البعد وعلوم الفضاء، قد بدأ فى مصر عام 1971 من خلال مشروع مشترك بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا مع خبرة أمريكية، ثم تطور إلى إنشاء مركز للاستشعار من البعد تابعاً للأكاديمية عام 1972. وفى عام 1991 أنشئت الهيئة القومية للاستشعار من البعد وعلوم الفضاء هيئة عامة تتبع وزارة الدولة للبحث العلمى.

الفصل الخامس

رواد الصحراء الغربية



الأرض والتاريخ:

(74) تشغل الصحراء الغربية جزءا كبيرا من مساحة الأراضى المصرية وهى همزة الوصل مع الأراضى الليبية والأراضى السودانية. وللصحراء الغربية طبيعة طبوغرافية تميزها عن سائر الصحارى المصرية.

تبدأ التضاريس من أقصى هذه الصحراء بارتفاع يزيد عن الألف متر فوق مستوى سطح البحر عند جبل العوينات وسليمة والجلف الكبير، وتضم صخورها أعمارا سحيقة تتراوح ما بين 560-230 مليون عام. ومع التقدم إلى الشمال تختفى تلك الصخور تحت بسطة هائلة من الغرود الرملية، وهى كثبان رملية ذات امتدادات كبيرة متوازية ويعرف جانب منها ببحر الرمال العظيم (الأعظم).

(116) يمتد هذا البحر من الكثبان من منخفض سيوة حتى مشارف هضبة الجلف الكبير لمسافة حوالى 500 كيلو متر. ويواصل هذا البحر تغطيته لجزء من شرق ليبيا باسم «العرق الكبير» وبذلك فإنه يحتل من مصر وليبيا مساحة نحو 200 ألف كيلو متر مربع، وهو رابع بحار الرمال مساحة فى الصحراء العربية الكبرى، بعد «الربع الخالى» فى جنوب الجزيرة العربية، و «العرق الشرقى» و«العرق الغربى» فى الصحراء الجزائرية، ومن أهم غرود بحر الرمال العظيم فى مصر غرد «أبو المحاريق» وهو غرد طولى (سيف) يبدأ من منخفض البحرية حتى منخفض الخارجة لمسافة حوالى 350 كيلو متر ويستمر داخل منخفض الخارجة ويستمر جنوبا.

ومع التقدم شمال بحر الرمال تبدأ هضبة معظمها من الصخور الجيرية التى ترجع فى عمرها إلى عصر الأيوسين من الحقب الثلاثى أى أنها أصغر فى العمر الجيولوجى وينحدر سطحها مع الاتجاه شمالا من ارتفاع 450 مترا إلى ارتفاع 220 مترا ثم يتوالى الانخفاض فى الهضبة المطلة على البحر المتوسط وهى المعروفة باسم

«الدفة Diffa» وتوزع فى أرجاء الصحراء الغربية مجموعة من المنخفضات تشمل الواحات الخمس سيوة والبحرية والفرافرة والخارجة والداخلة كما تشمل منخفضات القطارة ووداى النطرون وبحيرة قارون ومنخفض توشكى (توشكه).

هذا عن طبيعة الأرض أما عن التاريخ فقد شهدت الصحراء الغربية أحداثا سجلها التاريخ. ومما سجله التاريخ القديم عثور رواد الصحارى فى العصور الفرعونية على «حجر الديوريت» (ديوريت خفرع)، وعثورهم على «الزجاج الليبى» كذلك سجل التاريخ أسطورة جيش قمبيز الذى اختفى بين الرمال، كما سجل التاريخ زيارة الإسكندر المقدونى لواحة سيوة.

ومن سجلّ التاريخ الحديث ارتباط السنوسية بالصحراء الغربية وخاصة قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى. وسجل التاريخ أيضا أحداثا فاصلة جرت أثناء الحرب العالمية الثانية كانت أبرزها معركة العلمين.

(123) وقد كانت لطرق القوافل التى اخترقت الصحراء الغربية أهمية قصوى بين القرنين الحادى عشر والرابع عشر الميلادى، ثم انخفضت الأهمية بدءا من القرن السادس عشر حتى فقدت أهميتها منذ القرن التاسع عشر.

وممن ارتادوا الصحراء الغربية من الرحالة الأوائل هيرودوت (425-485 ق.م) وسترابو (63 ق.م حتى 24 ميلادية) ومن رحالة القرون الوسطى ابن حوقل (920-990م) وأبو عبيد البكرى والشريف الإدريسى (1110-1166) وأبو عبد الله بن بطوطة (1304-1369).

(أ) الصلات الحدودية الغربية والجنوبية:

الحدود الغربية:

(10) تشير إحدى الدراسات إلى أن البدايات الأولى للصلات المصرية الليبية سابقة للعصور الفرعونية. وأن الوجود الليبى بالصحراء الغربية المصرية كان ذا أهمية خاصة لدرجة أن الكتابة الهيروغليفية فى عصر مبكر اتخذت من شكل الجندى الليبى أحد رموزها.

(123) لقد كان الطريق الساحلى مسارا للهجرات الليبية فى أواخر الدولة الفرعونية الحديثة إلى أن ولى أمور مصر حكام من ليبيا فى الفترة المتأخرة من نهاية العصور الفرعونية.

وبعد الفتح الإسلامى لمصر، كانت مسيرة نشر الدعوة الإسلامية تتجه غربا عن طريق الساحل الشمالى. ثم جاء غزو الدولة الفاطمية لمصر عن هذا الطريق الساحلى. فبعد محاولات لم تنجح أعوام 913، 914، 918 ميلادية، تمكن جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله من اجتياز الساحل الشمالى إلى الدلتا ثم دخل الفسطاط فى يوم 7 يوليو عام 969 ميلادية. ثم كانت محاولة الغزو السنوسى خلال الحرب العالمية الأولى، ثم محاولة الغزو الإيطالى الألمانى خلال الحرب العالمية الثانية. كانت كل هذه الغزوات تأتى من الجزء الشمالى من حدود مصر الغربية.

والتبادل التجارى بين مصر وليبيا كان وما زال مركزاً على هذا الجزء من الحدود المشتركة (111). ويذكر أن قبيلة «الشهيبات» التى ينتمى إليها إدريس السنوسى هى التى أعطت لشمال الصحراء الغربية فى مصر اسم «الدفة» ومما يسجله التاريخ أن كتشنر حينما كان هو المسئول البريطانى فى مصر كان له رأى فى أن تضم مصر مدينة طبرق إلى أرضها ولكن وزارة الخارجية البريطانية لم توافق على هذا الرأى فتوقف، وكان ذلك قبل احتلال ليبيا من الجيش الإيطالى. وبعد احتلال إيطاليا لليبيا رؤى رسم الحدود بين مصر وليبيا بعد أن احتلت القوات الإيطالية جغبوب وبقيت واحة سيوة داخل الحدود المصرية. وجرى ترسيم الحدود عام 1927 وإقامة «رجوم» من أكوام الأحجار موزعة على طول المسافة الحدودية من السلوم شمالاً فى اتجاه الجنوب فى خط متعرج إلى حافة بحر الرمال ومن هناك جنوبا بالتزام خط طول 25° حتى حدود السودان. وقامت بهذا الترسيم لجنة مشتركة من مهندس المساحة باتريك كلايتون عن الحكومة المصرية ومهندس المساحة

الإيطالى تبننت كامبو. وفى 4 ديسمبر 1937 رؤى أن تقام بدل الرجوم قواعد أسمنتية ثابتة، ونفذتها لجنة مشتركة مصرية إيطالية.

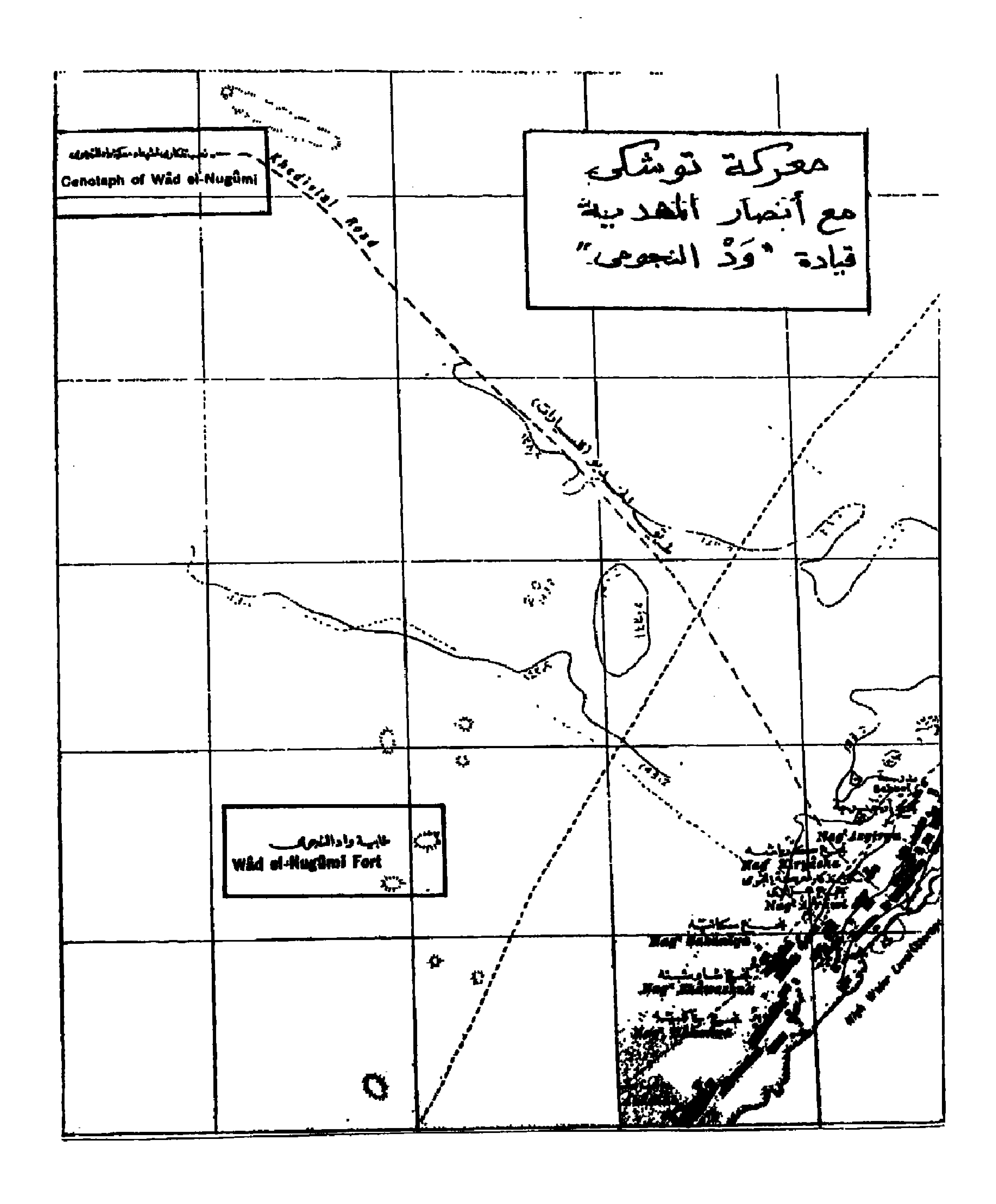
الحدود الجنوبية:

(123) أهم ما يربط الصلات الحدودية الجنوبية للصحراء الغربية مع السودان طريق الأربعين. ويمتد مسار طريق الأربعين أو «درب الأربعين» من أقصى موقع له جنوبا عند بلدة «القبة» غرب الفاشر عاصمة دارفور، ويتجه شمالا ويتفرع إلى دربين يلتقيان عند بئر النطرون. ثم يمتد الطريق شمالا إلى واحتى «لاجية» و«سليمة» ويلتقى الدرب مع درب آخر قادم من دنقلة ويسمى درب الجلابة، ويستمر الدرب شمالا فيدخل الأراضى المصرية ويمر ببئر الشب ثم بئر كسيبة ثم بئر أبو الحصين ثم بئر المر ويصل إلى واحة باريس ومنها يتجه إلى الخارجة وينتهى عند أسيوط. ويتجه بعض من تجار الجمال بجمالهم من بئر الشب نحو النيل عند بلدة دراو شمال أسوان وهى أهم أسواق الجمال فى الصعيد.

فى عام 1793 صحب الرحالة براون W.G.Browne قافلة سارت فى درب الأربعين من مصر إلى دارفور، وأعطانا بيانا بالسلع التى كانت محملة على جمال القافلة للمتاجرة فيها، ومنها: قماش من القطن المصرى الأزرق اللون، ملايات للنساء صناعة مصرية، مرايا صغيرة، صابون، سجاجيد صغيرة، غوايش وخلاخيل من الفضة ومن النحاس، خواتم بها عقيق، قطع من القصدير، كحل، بن، أسلاك من الحديد ومن النحاس، أسلحة بيضاء وأسلحة نارية، وفى عام 1796 صحب الرحالة براون قافلة تجارية متجهة فى درب الأربعين من الجنوب إلى الأراضى المصرية وأعطى بيانا بما كانت تحمله من بضائع ومنها عدد من العبيد ذكورا ونساء، جمال للبيع فى مصر، عاج، قرون وحيد القرن، ريش نعام، صمغ، تمر هندى (عرديب)، بعض حلقات من نحاس غير مصنعة. وكانت قوافل درب الأربعين وسيلة النقل الأساسية لتجارة العبيد، إلى أن أصبحت تجارة محرمة عالميا فتوقفت. وما زال درب الأربعين حتى الآن هو طريق استيراد الجمال من

السودان واستيراد النظرون والشب، أما بقية السلع المتبادلة بين مصر والسودان فقد تحولت إلى وسائل النقل الأخرى. وقد طرأت على الحدود المصرية السودانية أحداث خلال القرن التاسع عشر نتيجة ظهور الدعوة المهدية فى السودان. ففى عام 1881 بعد بدء الوجود المصرى فى السودان بستين عاما قام الإمام محمد أحمد المهدى بدعوته التحررية الإصلاحية، وسقطت الخرطوم فى أيدى المهدية فى 26 يناير عام 1885 وأعقبها وفاة الإمام المهدى فى 22 يونيه من نفس عام 1885 وتولى عبد الله التعايشى مسئولية حكم السودان مع خروج الجيش المصرى من السودان. ويذكر التاريخ ويسجل بأحرف من نور ما قام به رجال المهدية من حماية شرق السودان من الاعتداء الأثيوبى وحماية جنوب السودان من الأطماع الفرنسية والبلجيكية.

(28) ويظهر أن المهدية اتجهت، حسب رأى بعض المؤرخين، إلى محاولة المساهمة فى تحرير مصر من الاحتلال البريطانى. ففى عام 1889 تقدمت قوات من رجال المهدية (الأنصار) داخل الأراضى المصرية على طريق الأربعين ووصلت عام 1893 إلى واحة باريس وقيل إنها تجاوزتها إلى واحتى الداخلة والخارجة. وكانت قوات الأنصار بقيادة «عبد الرحمن ود النجومى»، وفى عام 1896 تحركت قوات مصرية إنجليزية بحذاء النيل لاستعادة السودان واستولت على الخرطوم فى 4 سبتمبر 1898، وقد كانت المعركة التى دارت فى موقع توشكى فاصلة فى إرجاع قوات الأنصار إلى داخل الحدود السودانية. ويذكر التاريخ أن أحد أبناء النجومى التحق بالجيش المصرى وهو عبد الله النجومى ووصل إلى رتبة اللواء، وكان فى وقت من الأوقات ضمن قادة الحرس الملكى المصرى.



معركة توشكى مع أنصار المهدية قيادة «وَدْ النجومى»

(ب) منخفضات الصحراء الغربية:

منخفض توشكى (توشكه):

يقع هذا المنخفض إلى الشمال الغربى من بداية المفيض قرب توشكى وفى قدرة هذا المنخفض أن يستوعب من مياه بحيرة السد ما يتجاوز ارتفاع 181 مترا من سطح مياه البحيرة فلا يتجاوز حد الخطر.

منخفض الخارجة والداخلة:

(123) لا يفصل منخفض الخارجة عن منخفض الداخلة إلا تضاريس قليلة الارتفاع. وقد كانت واحتا الخارجة والداخلة على مدى التاريخ موطنا دائما ومحطة تجارية هامة تربط ما بين وادى النيل وصحارى وسط أفريقيا. وتؤكد الآثار على أن تبعية الخارجة والداخلة للسلطة المصرية فى وادى النيل ترجع إلى زمن الأسرة السادسة من الدولة الفرعونية القديمة. وقد بقيت من الآثار معابد ومساكن وقلاع ومقابر تبين مستوى اقتصاديا مرموقا وخاصة خلال الحكم الرومانى. ومن المعابد الجميلة التى يرتدها السائحون معبد «هيبيس» بالخارجة وحينما حل عام 390 ميلادية كانت الخارجة والداخلة تعتنق المسيحية إلا أن الواحتين كانتا أحيانا منفى لبعض الدعاة من المسيحين، كما لم يعرف متى دخل الإسلام الواحتين. وكانت الفترة المملوكية (1250-1517م) فترة ازدهار تجارى للواحتين لوقوعهما على الطريق الصحراوى الذى يربطهما مع دول غرب أفريقيا. وفى العصر التركى كان يحكمهما «كاشف» من قبل الحكومة المركزية، وكان الأمن مستتبا بحيث أمكن للرحالة الأجانب ارتيادهما وارتياد ما حولهما من صحارى. ومن قدامى من ارتادوها من أجانب:

بونسيه عام 1869، براون عام 1797، كايو عام 1818، إدمون ستون عام 1819، فريدريك موللر عام 1824، كابتن ليونز عام 93/1894، بينيل عام 1898، ويندلوك، وآرثرجونز عام 1908، هاردنج عام 1909.

وعلى رأس علماء الآثار المصريين كان لأحمد فخرى الإسهام البارز فى دراساته المستفيضة عن واحتى الخارجة والداخلة.

منخفض البحرية والفرافرة:

(94) لم يثبت وجود آثار فى البحرية ترجع لأى من الدولتين الفرعونيتين القديمة والوسطى. ويبدأ ذكر البحرية فى عهد تحتمس الثالث (من الأسرة الـ 18 من الدولة الحديثة) ضمن الواحات التابعة للسلطة الفرعونية فى طيبة. وقد تمتعت البحرية بازدهار خلال الأسرات 19، 20، 21 من الدولة الحديثة. إلا أن مصر تعرضت لهجمات ليبية عن طريق الواحات زمن «ميرنبيتاح» ابن رمسيس الثانى واستمر زمن رمسيس الثالث حين قويت شوكة العائلات الليبية المقيمة بالواحات وزاد تأثيرها على الحكم فى مصر مع ضعف بين حكام طيبة، مما أدى إلى تمكن أحد زعماء القبائل الليبية من تولى الحكم فى مصر بدءاً من الأسرة 22 تحت اسم «شيشنق الأول».

وخلال الحكم الرومانى لمصر شهدت الواحات البحرية عناية خاصة فى مجال الزراعة، وحفرت قنوات مقتطعة داخل الصخور على عمق بضعة أمتار من سطح الأرض لتوصيل الماء من بعض العيون إلى حقول الزراعة، وحفرت لهذه القنوات فتحات علوية للتهوية. وبعض عيون واحات البحرية ذات مياه ساخنة.

ومن الرحالة الأجانب الذين ارتادوها خلال القرن التاسع عشر: «بلزونى» فى مايو 1815، «كايو» فى يناير وفبراير 1820، «ويلكونسون» عام 1825، «اشيرسون» عام 1874 ضمن بعثة رولفس، «بول» و«بيدنل» عام 1897 حين قاما بتخريط المنطقة مساحيا وجيولوجيا، وكان يصحب بول المساح «فوت» ويصحب بيدنل المساح جورينج، وخلال الحرب العالمية الأولى بدأ مد خط سكة حديدية من البهنسا (محافظة المنيا) فى اتجاه البحرية مخترقا الصحراء وتوقف عند كثبان غرد «أبو محرك».

(15) وكانت الفترة بين عامى 1915-1934 مرحلة اكتشافات العالم الألماني «إرنست سترومر» في أنحاء البحرية حين توصل إلى العثور على بقايا من حفريات الحيوانات الفقارية المنقرضة ومنهـا الديناصورات ثم توالت بعده الاكتشافات. وفى بداية القرن الواحد والعشرين اكتشفت أجزاء من حفرية ديناصور عملاق يعتبر ثانى أكبر ديناصـور يعثر عليه فى العـالم حتى الآن. وبناء على ما عثـر عليه من أجزاء هيكل ديناصور البحرية فقد قدر طوله بحوالى 44 مترا ووزنه بحوالى 80 طناً.

وقد زادت أهميـة الواحات البحرية مـؤخراً تعدينيا وسـياحيا. أمـا الأهمية التعدينية فترجع لاستغلال ما بها من خـام الحديد. أما الأهمية السياحية فقد زادت مع العثـور على المومياوات الذهبيـة على الحافة الغربيـة لواحة الباويطى (عـاصمة البحرية). وقد اكتشف عدد من هذه المومياوات (106 مومياء) فى مساحة 50×50 مترا. ويتوقع علـماء الآثار وجود حوالى 60 ألف مومياء. وليـس كل ما اكتشف من المومياوات مذهبـة فإن عددها لا يتجاوز 5٪ من المجموع، وهي مـحفوظة فى متحف آثار مدينة الباويطى.

(123) وتفصل منخـفض البحرية عن منخفض الفـرافرة هضبة مـستوية من الأحجار الجيرية البيضاء وتتمتع بجمال يجذب إليها السائحين بما يتناثر فى أرجائها من القلاع الطبيعـية الناصعة البياض من هذه الصخـور الجيرية، مما أعطى لها اسم «الصحراء البيـضاء ومنخفض الفرافرة متـسع المساحة يمتد 90 كيلو مترا من الشرق للغـرب وحوالى 200 كـيلو متـرا من الجنوب للشمـال. ويقال إن الإسـلام دخل الفرافرة من الشمال الأفريقى وليس من وادى النيل.

وأول ما جـاء ذكر الفرافـرة كان فى «كتـاب البلدان» للرحالة اليعـقوبى فى القرن التاسع الميلادى. (94) وقد ذكر رولفس فى مذكراته نقلا عن أهالى الفرافرة أن سبب التسمية هو أن أحد عيون الواحة يفور ماؤها بفقاعات غازية «تفرفر» على السطح. ومن معالم الواحة قلعة الفرافرة (القـصر) وهو مبنى متهدم أبعاده حوالى 55 × 55 متر متـر وارتفاعه 10 أمتار. وقـد نشرت للعالم الأثرى المصـرى أحمد

فخرى دراساته عن البحرية وعن الفرافرة عام 1983 . ويذكر أحمد فخرى أنه لما زار الفرافرة عام 1938 لم تكن بها أى وسيلة اتصال تليفونى أو تلغرافى ولم يكن بها جهاز راديو واحد. وكان البريد يصلها عن طريق مرسال يرسلة عمدة الفرافرة إلى البحرية بالجمل فى رحلة تستغرق أربعة أيام ذهابا وإيابا. ولقد امتدت يد التعمير إلى الفرافرة بطيئة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وهى حاليا مزار سياحى بها فنادق وتسهيلات معيشية وترفيهية، وبها مشروعات استزراع، ويربطها طريق أسفلتى بالبحرية وبالداخلة.

منخفض الفيوم:

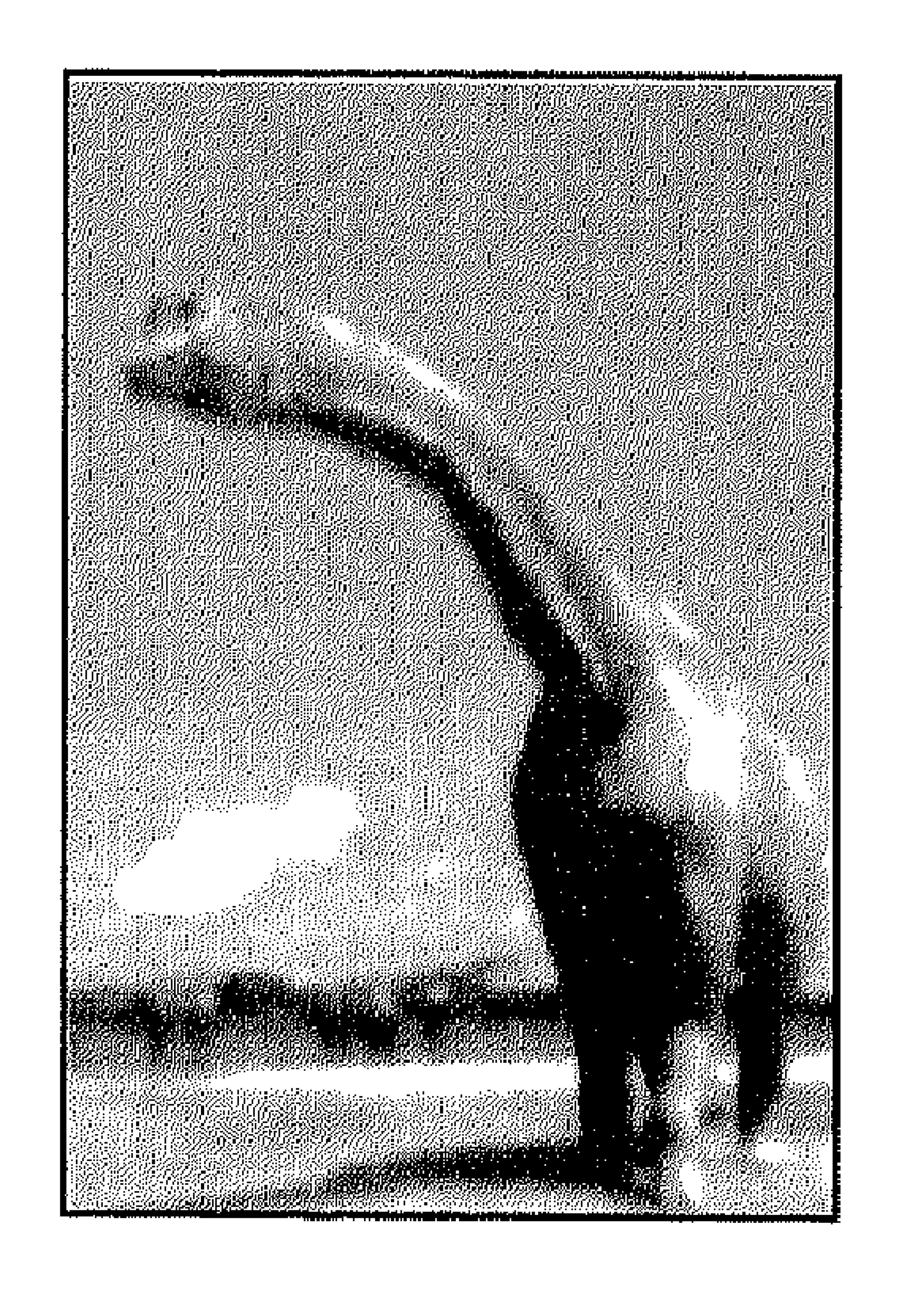
(123) يبلغ منسوب قاع هذا المنخفض بضع عشرات من الأمتار تحت منسوب سطح البحر ويشغل جزءًا منه - وهو الأكثر انخفاضًا - بحيرة تعرف باسم «بحيرة قارون»، وعلى مدى التاريخ كان هذا المنخفض يستخدم لتخزين الفائض من مياه النيل عقب الفيضانات العالية عن طريق فتحة «الهوارة» التى تفتح وتغلق حسب القرارات، إما للتخزين أو للإفاضة إلى مجرى النيل، لذلك فقد ظلت مياه البحيرة عذبة حتى نهاية القرن التاسع عشر. وقد ذكر عالم الجيولوجيا «شوينفورث» عام 1879 أن ماءها سائغ للشرب. (44) إلا أن تنظيم مياه الرى والصرف فى منطقة الفيوم غيرت طبيعة مياه البحيرة. فبدلا من أن تكون مستودعا احتياطيا للمياه العذبة أصبحت وظيفتها الوحيدة استقبال مياه الصرف الزراعى المحملة بالأملاح الذائبة، فازدادت ملوحة مياه البحيرة تدريجيا إلى أن أصبحت مستودعا لماء شديد الملوحة مما سيرد ذكره تفصيلا فيما بعد.

وبحيرة قارون ليست لها علاقة بقارون وكنوزه، وكما يقول أحد رجال الآثار فإن المنخفض قديما كانت تشغله عدة «ألسنة» من الماء وكان كل لسان من الماء داخل الصحراء يسمى «القرن»، وعندما كثرت هذه الألسنة أو «القرون» وتجمعت أصبحت تمثل بحيرة سميت «قرون» (جمع قرن) وزيدت الألف بعد القاف فأصبحت «قارون». ومن الآثار حول البحيرة «قصر قارون» أو «قصر الصاغة»



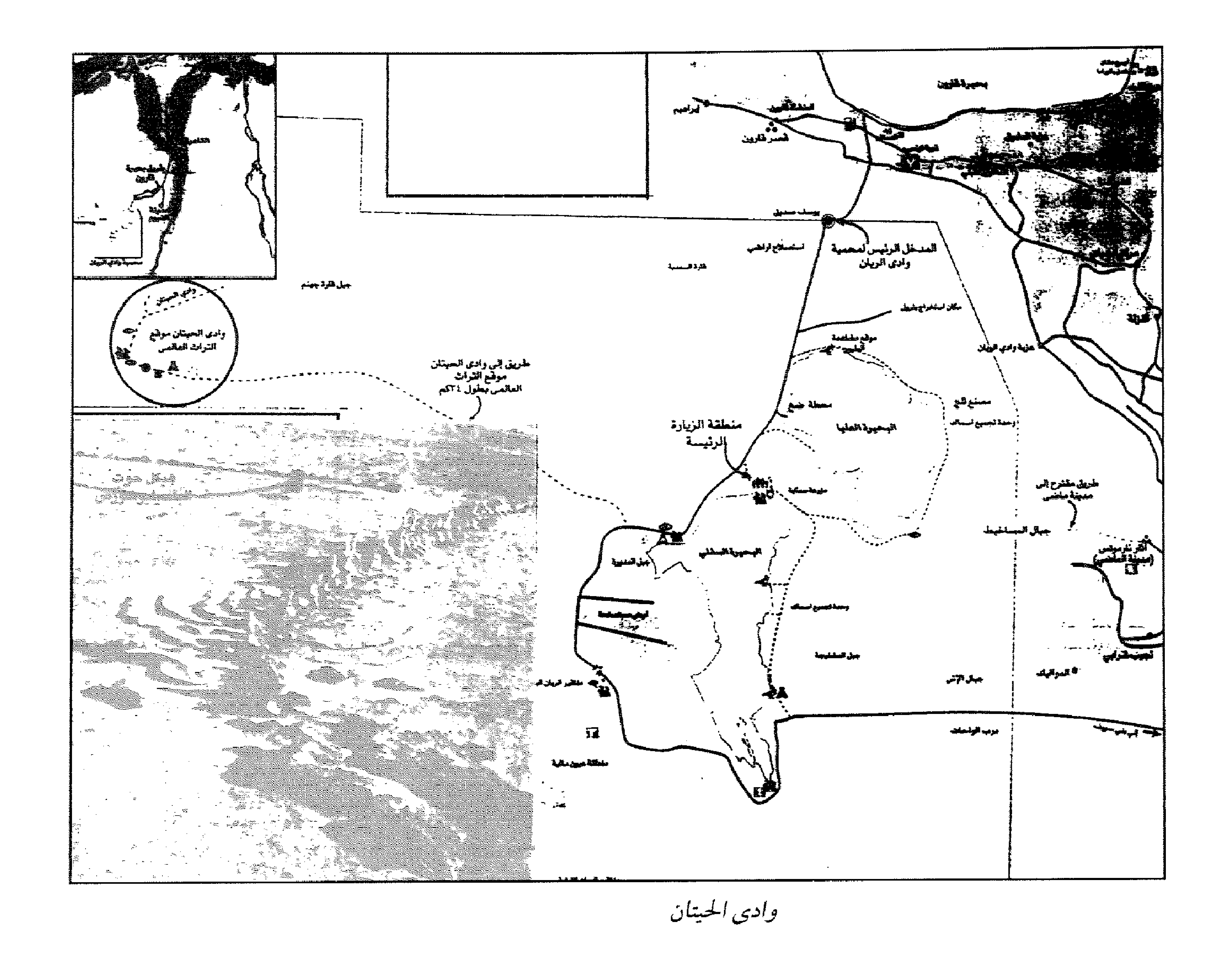


- عاش فى الفيوم فى عصر الأوليجوسين (الحقب الثلاث).
- يشبه وحيد القرن ويتميز بزوجين من قرون عظمية.
- هيكله ثقيل وأطرافه تشبه أطراف الفيل.



ديناصور الواحات البحرية «باياليتايتان» العملاق

- عاش قبل 94 مليون سنة.
- يتسم بطول العنق والذيل وهو من ذوات الأربع.
- ظهره مكسو بدروع عظمية مسننّة.
- يصل طوله إلى 30 مترا ووزنه إلى 70 طنا.



وادي الحيتان

الذى يقع على بعد كيلو متر واحد إلى الشمال من نهاية الطرف الغربى للبحيرة. وهذا القصر، حسب وصف عالم الآثار المصرى عبد الحليم نور الدين، عبارة عن بقايا معبد لمدينة اندثرت هى «ديونيوس» وكانت قد تأسست فى القرن الثالث قبل الميلاد وازدهرت بعد ذلك فى العصر الرومانى.

(117) ومن أوائل العلماء الذين اهتموا بدراسة حفريات الحيوانات الثديية المنقرضة بمنطقة الفيوم العالم الألمانى جورج شوينفورث فى القرن التاسع عشر فقد جمع عددا مما عثر عليه من حفريات الحيتان من جزيرة القرن وسط بحيرة قارون ثم جمع عددا آخر من التكوينات الصخرية حول قصر الصاغة شمال البحيرة. وفى عام 1898 قام «أندروز» بدراسة على بعض ثدييات الفيوم ونشرها عام 1906. بعد ذلك قام الألمانيان سترومر وفراءاس بدراسات على ثدييات الفيوم وقاما بتدريب أحد الهواه واسمه «مارك جراف» على كيفية جمع الحفريات بالطرق السليمة. واتخذ مارك جراف بلدة سنورس سكنا له وظل يجمع الحفريات لجهات علمية أوروبية وأمريكية حتى وفاته عام 1916، وفى عام 1947 قام «ويندل فيليبس من جامعة بيركلى الأمريكية» بجمع عدد من الحفريات. وفى عام 1961 بدأ نشاط «إلوين سيمون» من جامعة ديوك الأمريكية بدراسة ثدييات الفيوم على مدى 35 عاما، منها سبعة أعوام بين عامى 1961-1968 ثم 28 عاما بين عامى 1977-2005. وقد تتلمذ عليه باهر الخشاب ثم يسرى عطيه ثم عدد من العلماء المصريين.

(15) ويقول الجيولوجيون إن منطقة الفيوم كانت منطقة غابات شبه استوائية، فى زمن جيولوجى معين وكانت تقع على حافة بحر قديم هو بحر «التيتش». فكانت الفيوم منطقة مصبات أنهار وعاشت بين هذه المصبات وبين البحر «عرائس البحر» التى حفظت الحفريات عظامها. ولقد كانت أولى العينات التى جمعت لأجزاء من حفريات الحيتان عام 1879، وقد تأكد مؤخرا أن حالة من الانتحار الجماعى أصابت مجموعة كبيرة من الحيتان وصل عدد هياكلها المتحفرة

فى موضع واحد 406 وحدة حفرية وهو ما عثـر عليه حتى الآن. لذا سميت هذه البقعة «وادى الحيتان» ويـقع إلى الجنوب الغربى للبحيرة على بعد 12 كيلو متر من شمال غـرب جبل «جارة جهنم». وتضم حفـريات حيتان ذات أحجام كـبيرة بلغ طول إحداها 21 متـرا. كما عثـر فى صخور قـصر الصاغة شـمال البحـيرة على حفريات لثعابين كبيرة الحجم طول الواحـدة حوالى تسعة أمتار. وعثر على درقات السلاحف البرية ذات الأحجام الكبيرة. ومن الثدييات عثر على حفريات نوع يشبه وحيد القرن طول الواحد 3–4 أمتار. كذلك عثر على حفريات عظام حيوان قريب الشبـه بالفيل. وعثـر على أجزاء من هياكـل ديناصورات آكلة اللحوم. وعـثر فى صخـور جبل قطرانى شمالى البـحيرة على حـفريات عظام لكائنات أقرب شبـها بالقرود. ويحفل المتحف الجيولوجى بالقاهرة بمجموعات من كل هذه الحفريات.

منخفض وادى النطرون:

(45) أطلق على وادى النطرون عـدة تسـميـات عبـر التـاريخ. ففى اللغـة المصرية القـديمة «سخت – حـمات» وفى اليونانيـة واللاتينية «سكيـتيس» يقـابلها بالعربية «اسقيط»، وفى القبطية «شيهت».

(107) وقد استـخدم المصريون القدماء مـادة النطرون (كربونات الصوديوم) فى أغراض مـتعددة منها التـحنيط وقصر الألوان فى صـباغة أنسجـة الكتان وفى صناعة الزجاج وفى طقوس دينية، وقد أكد «لوكاس» فى كتابه عن استخدام قدماء المصريين للمواد «أن المصـريين استخدموا النطرون للتـحنيط بدءا من الأسرة الرابعة من الدولة القديمة وربما قـبل ذلك». وأهم مصادر النـطرون بجانب وادى النطرون توجد جهة «حرارة» (البرنوجى) فى محـافظة البحيرة وهى المعروفة بمنطقة الطرانة، ويوجد أيضا جهة الكاب بالصعيد.

(42) ويقع وادى النطرون إلى الغـرب من منتصف الطريق الصـحراوى بين القاهرة والإسكندرية، وهو أصغر المنخفضات فى الصحراء الغربية طوله حوالى 33 كيلو مترا ومستـوى سطح مياه بحيراته حوالى 23 مترا تحت منسوب سطح البحر.

ويوجد بالمنخفض أساسا ست بحيرات ملحية وقد يزيد عددها إلى 12 وأحيانا 16 بحيرة عندما كان يرتفع منسوب المياه الأرضية التى تتسرب إلى أرضية المنخفض بتأثير مياه الفيضان قبل إقامة السد العالى. ومياه هذه البحيرات لا تزيد أعماقها عن بضعة أمتار وتحتوى على أملاح ذائبة من كربونات وكبريتات وكلوريد الصوديوم بتركيز عالٍ قد يصل إلى درجة ما فوق التشبع فى بعض أوقات السنة فتترسب طبقة من هذه الأملاح، وهى ما يمكن استخراجها من هذه البحيرات وأهمها «خضرا» و«البيضة» و«الزجم» و«حمرا» و«أبو جبارة» و«روزينا» و«أم ريشة» و«الفاسدة». وقد ظل استخراج النطرون من بحيرات هذا المنخفض طوال آلاف السنين وما زال حتى الآن، لأن تكوين الأملاح متجدد باستمرار. وقد ظل استغلال هذا النطرون حكرا للدولة معظم أزمنة التاريخ. ذكر مؤرخو القرون الوسطى الإسلامية وادى النطرون. ووصفه الإدريسى (المتوفى 1165م) فى كتابه «نزهة المشتاق» وذكر وفرة إنتاجه وأن النطرون كان يصدر إلى بعض أنحاء بلاد البحر المتوسط. وذكره ابن مماتى (المتوفى 1209م) فى كتابه «قوانين الدولة» وأن تكلفة استخراج القنطار من النطرون كانت درهمين وأنه كان يباع فى مصر(القاهرة) والإسكندرية بسعر القنطار سبعين درهما وكان معدل الإنتاج السنوى فى زمانه حوالى 30 ألف قنطار يستهلك جزء منه محليا فى صناعة تبييض النسيج وصناعة الصابون ويصدر الباقى.

وقال القلقشندى (المتوفى 1418م) فى كتابه «صبح الأعشى» أنه لا يعلم فى الدنيا بقعة صغيرة يستغل منها النطرون مثلما يستغل من هذه المنطقة فإنها مائة فدان يغل نحو ألف قنطار فى السنة وكانت الدولة تحتكر إنتاجه. ويضم المنخفض أربعة أديرة عامرة برهبانها وهى مزار للقاصدين.

منخفض واحة سيوة:

(95) من الوثائق الأثرية يتأكد أن سيوة كانت تابعة لمصر منذ زمن رمسيس الثالث من الأسرة الـ 19 من الدولة الفرعونية الحديثة. واشتهرت دينيا بمعبدها الذى كان يزار للاستشارة والتبرك، ومن أشهر زائريه القدامى الإسكندر المقدونى.

ولعل المسيحية قد دخلتها خلال القرن الرابع الميلادى، كذلك لم يتأكد وصول الإسلام إليها أثناء مسيرة موسى بن نصير فى الشمال الأفريقى عام 708 ميلادية.

عرفها تجار شمال أفريقيا وتجار غرب أفريقيا وعرفها الحجاج فى طريق ذهابهم وعودتهم. وزارها الرحالة العربى «الوزان» الذى اشتهر باسم الأسد الأفريقى فى الربع الأول من القرن السادس عشر(توفى عام 1526م) ونظراً لتبعية سيوة للحكم المصرى فقد دانت بالولاء للخليفة العثمانى منذ عام 1517 بعد انضمام مصر للإمبراطورية العثمانية.

(123) كان أول من زار سيوة من الرحالة الأوروبيين «براون» فى فبراير 1792 ثم تلاه الألمانى هورنيمان عام 1798. وفى عام 1819 رأى والى مصر محمد على قبل أن يفتح السودان أن يؤمن حدود مصر الغربية فأرسل تجريدات من الجيش المصرى للواحات ومنها واحة سيوة. فكلف مدير مديرية البحيرة على الشماشرجى بمهمة الوجود فى سيوة فسار من طرانات البحيرة إلى سيوة وكان بصحبته بعض الأجانب منهم «دروفيتى» وكان قنصلا لفرنسا، وأيضا «دى بلفوند» وكان مهندسا فى خدمة محمد على، والطبيب الإيطالى «ريتشى»، والصيدلى الإيطالى «فريديانى» وفى نفس العام زارها «كايو» ثم زارها فى العام التالى الألمانى «مينوتولى» وإليه يرجع الفضل فى رسم أجزاء من المعابد التى دمر بعضها بعد ذلك. وفى عام 1824 زار الواحة «باتشو»، وفى عام 1843 أقام السنوسيون أول زاوية فى سيوة ولعلها أول ما بنى السنوسيون من زوايا فى صحراء مصر الغربية، وفى عام 1847 زارها البريطانى «بايلى سانت جون» ثم تلاه «هاميلتون» عام 1852 وزارها رولفس مرتين عامى 1869 و 1874. (95) وزار سيوة البريطانى «جينجز براولى» فى عام 1896 زيارة إدارية عن الحكومة المصرية لتنظيم الشئون المالية هناك. ويراملى هو الذى قضى 40 عاما فى خدمة سلاح الحدود بالجيش المصرى، وهو الذى أنشأ قرية برج العرب على الساحل الشمالى وعاش فيها بعد تقاعده وامتد به الأجل حتى عام 1956 حينما اضطر لمغادرتها.

ولم يزر سيوة أحد من حكام مصر بعد الإسكندر المقدونى، إلى أن زارها الخديوى عباس حلمى الثانى عام 1904. وكانت قافلته مكونة من 228 جملا و22 حصانا ومن الحراسة كان 28 فارسا على ظهور الخيل. واستغرقت الرحلة من مرسى مطروح إلى الواحة سبعة أيام، ثم زارها مرة ثانية عام 1907، وهو الذى أمر ببناء الجامع الكبير.

(123) وخلال الحرب العالمية الأولى احتل السنوسيون سيوة فى أول أبريل عام 1916 وفى نفس العام احتلوا الفرافرة والداخلة والخارجة، وبقى السنوسيون فى سيوة حتى فبراير عام 1917. (95) بعد ذلك كانت زيارة الملك أحمد فؤاد الأول عام 1928 وكانت زيارة بالسيارات من القاهرة للإسكندرية لمرسى مطروح ثم عبر الصحراء إلى سيوة فوصلها فى 15 أكتوبر وغادرها إلى ميناء السلوم حيث استقل اليخت الملكى المحروسة.

وخلال الحرب العالمية الثانية غادرت القوة العسكرية المصرية سيوة حسب التعليمات فى 30 يونيو عام 1942 تاركة الواحة لمصيرها وبدأ احتلال الجيش الإيطالى للواحة فى 20 يوليو 1942، وفى 21 سبتمبر من نفس العام زارها روميل لبضع ساعات واجتمع ببعض المشايخ وبعد انتهاء معركة العلمين غادر الجيش الإيطالى سيوة فى 8 نوفمبر 1942 بعد أن بقى بها ثلاثة أشهر و 18 يوما.

وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية زار الواحة الملك فاروق الأول وبصحبته بعض أصدقائه زيارة غير رسمية، غادر القاهرة بالسيارات فى 4 يناير 1945 ولم يتخذ الطريق الساحلى بل اتجه إلى البحرية ومنها إلى سيوة حيث بقى بها ليلة واحدة ورجع من نفس الطريق.

ومن أشهر من بحث ونشر عن سيوة عالم الآثار أحمد فخرى الذى ذكر فى كتابه أن أهل سيوة من «جنس البربر» سكان شمال أفريقيا وأن لغتهم الأصلية مشتقة منها. كما ذكر أن الواحة عرفت باسم «سنترية» حتى زمن المقريزى الذى ذكرها بهذا الاسم فى القرن الخامس عشر. ومنذ القرن السابع عشر أهمل هذا الاسم وعرفت الواحة باسم سيوة نقلا عن تسمية أهلها لها.

منخفض القطارة:

(101) فى عام 1925 أعطى جون بول جهازا لقيـاس الارتفاعات البارومترية لأحد ضباط الجيش البريطانى لتسجيـل بعض القراءات خلال مرور فصيلته بالمنطقة الواقـعة شـمال الصـحراء الغـربية غـرب الإسكندرية. وأعطت القـراءات وجود منخفض لم يـكن مسجـلا من قبل. (111) وأثار الموضوع جـون بول الذى بادر بإرسال مهندس المساحة «وولبول» لرسم خريطة مـساحية عامة للمنطقة التى يوجد بها هذا المنخفض.(1) وتبين أن حافـة المنخفض تبعـد عن ساحل البحـر المتوسط حوالى 60 كيلو متـرا فى أقرب مسافة بينهـما وبحوالى 210 كيلو متـرا عند أبعد نقطة بينهما. ويـفصل المنخفض عن ساحل البحـر هضبة يتراوح ارتفاعـها ما بين 150-250 متـرا. ومساحة المنخـفض عند منسوب الصفـر المساوى لمنسوب البـحر حوالى 20 ألف كيلو متـر مربع. وأعمق نقطة بالمنخفـض منسوبها 145 مترا تحت مسـتوى سطح البـحر. ولعل سـبب تسمـية هذا المنخـفض بالقطارة هو مـا ذكره العربان من وجود نبع صغير «يُقطّر» ماؤه فى الركن الشمالى من المنخفض وهو ماء غير عذب.

(111) وطافت بذهن جون بول فكرة الاسـتفادة من هذا المنخفض بتـوصيل مياه البـحر إلى حافتـه لينحدر من خلال توربينات لتوليـد الكهرباء. ونقل الفكرة لرؤسائه فى مصلحة المســاحة الذين اهتموا بالموضوع وتقرر إرسال حملـة مساحية لرسم خـريطة كنتورية بكثـير من التـفصيـل. وفى عام 1927 عهـد إلى ثلاثة من مهندسى المســاحة وهم «وولبول» وكلايـتون» و«موراى» القيـام بالمهمة واسـتمرت أعـمالهـا أربع سنوات.(79) وفى عام 1931 نقل جـون بول الكم الكبـيـر من المعلومات إلى وكيل وزارة الأشـغال (حسين سرى وقتـئـذ)، الذى أعد بمعونة بيت خبرة مشروعـا مبدئيا لتوليد الكهرباء من المنخفض. وقدرت تكلفـة المشروع مبدئيا وقتئذ بمبلغ يتـراوح بين عشرين وثلاثين مليون جنيه استـرلينى (كان الجنيه المصرى يسـاوى الاستـرلينى). وحين قدم حـسين سرى أول تقـرير فنى عن المشـروع عام

1931 حالت الظروف الاقتصادية الصعبة التى سادت العالم وقتها، وسادت مصر أيضا دون وضع المشروع موضع التنفيذ. واستمر التأجيل 43 عاما إلى عام 1974 كما سيأتى شرحه لاحقا.

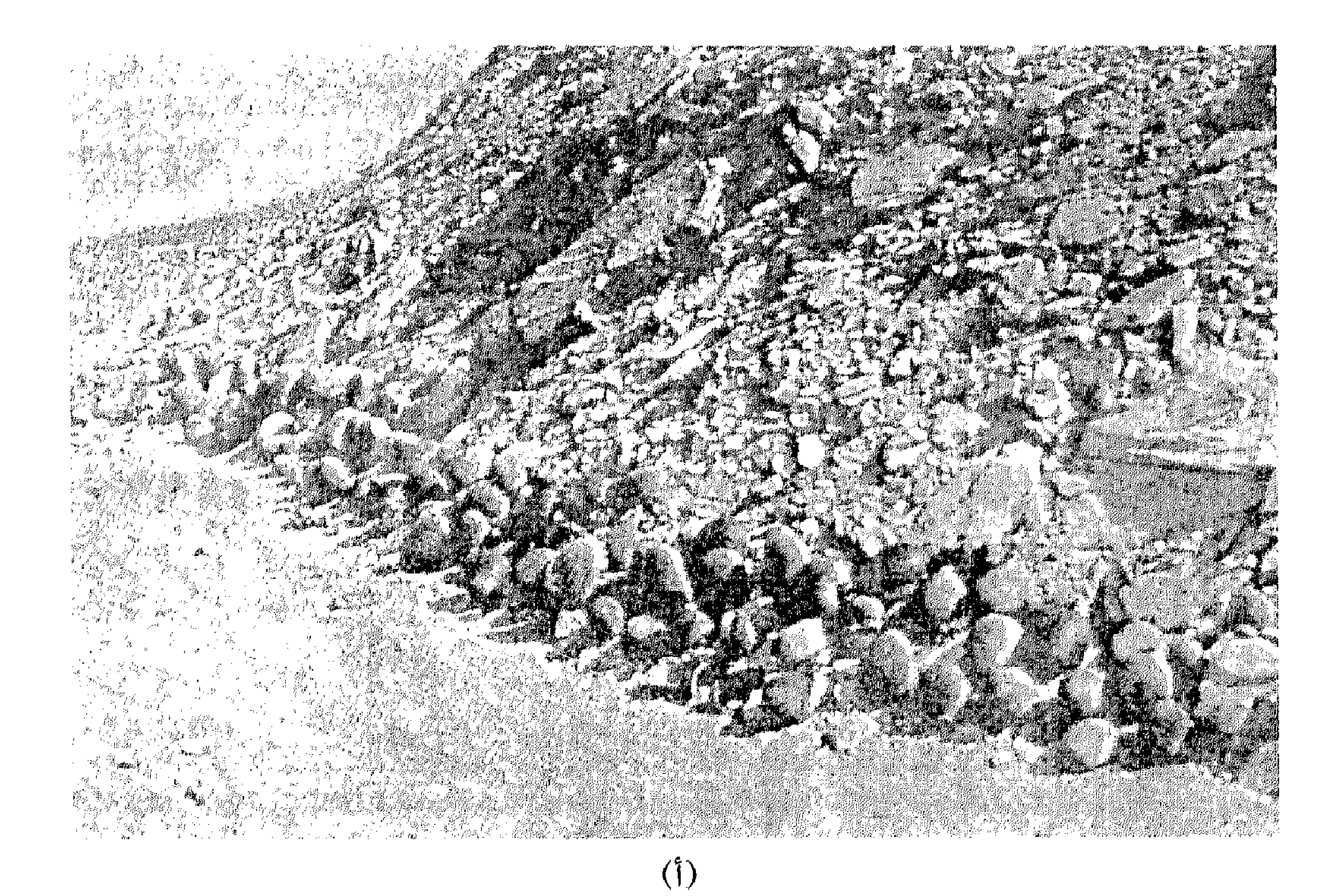
(123) وقامت الحرب العالمية الثانية ودارت معارك طاحنة فى العلمين الواقعة بين البحر ومنخفض القطارة، وغطيت المنطقة بما فيها أجزاء من المنخفض بحقول الألغام التى لم تنزع أغلبها حتى الآن (عام2008).

(جـ) أبو بلاص وبحر الرمال العظيم:

(123) يغطى بحر الرمال العظيم (الأعظم) مساحة حوالى 72 كيلومتر مربع من وسط وجنوب الصحراء الغربية وتشغلها كثبان رملية ذات امتدادات وأشكال وارتفاعات متعددة وأهمها «الغرود» الرملية التى تمتد فى صفوف متوازية وتعتبر عائقا طبيعيا لرواد الصحراء الذين يقصدون قطع هذا الجزء من الصحراء من شرقه لغربه. وقد سبق أن وصلت مجموعة الرحالة رولفس الاستكشافية إلى حافتها الشرقية ولم تستطيع اختراقها للوصول إلى جانبها الغربى. ولقد كان مهندس المساحة كلايتون أول من اخترقها من شرقها لغربها بالسيارة.

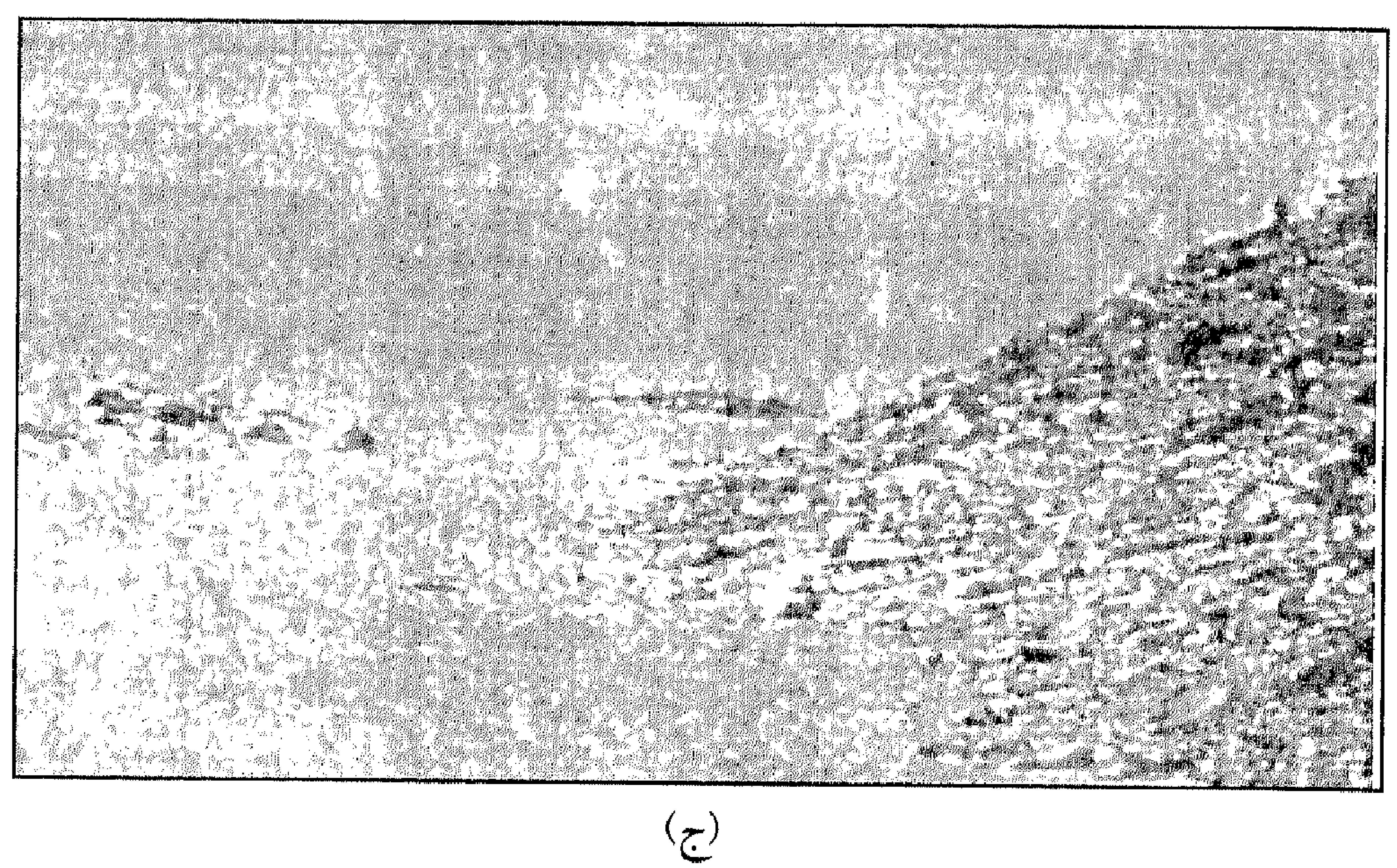
(74) وتقع عين دله على الجانب الشرقى من الجزء الأوسط من بحر الرمال (على بعد حوالى 100 كيلو متر شمال غرب الفرافرة) وهى ملتقى عدة طرق. وتمتد الكثبان الرملية لبحر الرمال حتى الجلف الكبير وعلى حافته الجنوبية الشرقية موقع أبو بلاص.

(123) ويبعد موقع أبو بلاص حوالى 204 كيلو متر غرب جنوب غرب واحات الداخلة. (81) وقد اكتشف هذا الموقع جون بول أثناء رسمه خريطة مساحية عام 16/ 1917 حيث عثر على حوالى أربعمائة آنية فخارية لحمل الماء (بلاّص) كبيرة الحجم. (123) وقد تجمعت هذه القدور الفخارية حول تل صغير، وسعة الواحدة فى المتوسط حوالى ثلاثين لتراً من الماء. وهذه القدور ثقيلة الوزن مما يدعو إلى التساؤل عما إذا كانت قد جلبت محملة بالماء، علما بأنه لا يوجد حاليا



(أ)

(ب)



(ج)

قوارير موقع أبو بلاص

(أ) المجموعة مكتملة (تصوير عام 1923).

(ب) تدمير وتبديد جزء من المجموعة (تصوير عام 1981).

(ج) ضياع كامل للمجموعة (تصوير عام 2007).

مصدر قريب للماء. (74) وحول أبو بلاص بقايا من أدوات حجرية صوانية ورسومات لحيوانات منها رسم للزراف مما يؤكد أنها كانت سكنى فى فترات مطيرة قدرها أحد الباحثين بالفترة 6300-8300 عام قبل الآن.

وترجع أهمية هذا الموقع خلال الأزمنة التاريخية إلى أنه كان محطة لرواد الصحراء القدامى المتجهين غربا وجنوبا إلى الكفرة وإلى العوينات وما يليها من بلاد. وقد كان الأمير كمال الدين حسين هو الذى أعطى اسم «أبو بلاص» لهذا الموقع. وهناك تخمينات مختلفة لاستخدام هذا الموقع قديما. فمن هذه التخمينات أنها ربما كانت محطة لتزويد جيش قمبيز باحتياجه من الماء. (123) ومن التخمينات

أن مقاتلين من قبائل «التيبو» سكان جنوب ليبيا هم الذين وضعوها لتخزين مياه تساعدهم فى غزواتهم على أنحاء الداخلة والخارجة.

(104) ومما يؤسف له أن هذه المجموعة من الأوانى قد تعرضت منذ اكتشافها عام 1917 إلى نهب الكثير منها وتعرض ما تبقى منها إلى تدمير جاهل بقيمة هذا التراث. والصور الثلاث التى التقطت لكون الفخاريات أخذت على التوالى أعوام 1923 و 1981 و 2007 وهى أصدق تأكيد لما حدث لها.

(50) ويزور موقع أبو بلاص فئة من العلماء الذين يرتادون بحر الرمال ويرتادون الجلف الكبير. وقد زارها مؤلف هذا الكتاب حين كان ضمن مجموعة من المصريين والأجانب قامت بزيارة علمية لأجزاء من جنوب غرب الصحراء الغربية فى الفترة ما بين 10-27 مارس عام 1981، وكانت المجموعة بقيادة البهى عيسوى وضمت من المصريين بجانب المؤلف، «على الطحلاوى وسعد لبيب مرقص وأحمد العوضى قنديل والصحفى يوسف الشريف، وكان العلماء الأجانب ستة هم «روبرت جينجنجاك» و«جيمس أندر وود» و«روبرت ويكس» و«فانز هانز» و«جون أولسون» و«موريس جروليبيه». وقد قطعت المجموعة من مغادرتها مطار الداخلة إلى حين عودتها إليه مسافة تزيد عن ثلاثة آلاف كيلومتر، زارت خلالها أبو بلاص وأماكن الزجاج الليبى وموقع نصب المطر (ريجنفلد) والتلال الغنية بحفرية «الأمونيت» والأطراف الشرقية لهضبة الجلف الكبير. وكانت المجموعة مزودة بخرائط مساحية وجيولوجية وصور فضائية وآلات رصد، وكان الهدف العلمى هو إعطاء ملحوظات على الزجاج الليبى وعلى ظواهر التصحر بالمنطقة. وقد سبق القيام بتلك الرحلة تشوين ما يلزمها من بنزين وماء فى أربع محطات. وكانت وسيلة الانتقال سيارتى جيب وسيارة فلوكس فاجون وسيارة لورى وتتوالى زيارات المنطقة التى يقوم بها لفيف من العلماء وأعداد متزايدة من رواد رياضة السفارى التى ينظمها خبراء محترفون منهم نور الدين وعابد والمستكاوى. وقد اتضح أن موقع أبو بلاص ليس هو الموقع الوحيد فى جنوب غرب الصحراء الغربية حيث توجد محطات للمسافرين للراحة والتزود بالماء فى طريقهم إلى تشاد.

(81) ففى عام 1993 حاول المستكشف الفرنسى «تيودور مونود» العثور على أى أثر لطريق يصل بين أبو بلاص والعوينات ولم يوفق. وفى يناير 1999 قام «كارلو بيرجمان» برحلة استكشافية مستخدما الجمال لمحاولة تحديد مسار طريق قديم للتجارة قيل أنها ترجع لزمن الفراعنة من الواحات الداخلة فى اتجاه الجنوب الغربى إلى «وادای» و«بوركو» وحوض بحيرة تشاد إذ عثر على محطة تفتيش حدودية على بعد 15 كيلو متر جنوب غرب موط وبها عدد من الأوانى الفخارية ذات طراز مشابه لأوانى أبو بلاص. وفى يناير عام 2001 أمكن لهذا المستكشف تحديد مسار قديم للقوافل التى ترجع إلى زمن الأسرة السادسة من الدولة القديمة الفرعونية. ويبدأ هذا المسار من بئر عسل (فى الداخلة) إلى هضبة الجلف الكبير مسافة حوالى 440 كيلومتر، وعلى طول هذا المسار عثر على 27 موقعا فى كل واحد محطة بها أوان فخارية للاحتفاظ بالماء. ومن ضمن هذه المحطات التى عثر عليها واحدة بالذات كان الرحالة «هاردنج كنج» (كانت رحلته عامى 1909/ 1911) قد سمع من أهالى الداخنة عن وجود ما يشبه المعبد على مسيرة حوالى 18 ساعة بالجمال إلى الجنوب الغربى للداخلة. وقد وصف بريجمان هذا الموقع بأنه كثيب جبلى قائم وسط الطبيعة المنبسطة من حوله فهو يشبه المعبد حين رؤيته من البعد، واتضح أنه واحدا من محطات المسافرين لتزويدهم بالماء. هناك عثر على نقوش صخرية للفرعون «جيديفرى» ونقوش لوالده خوفو وفسرها بأن هذا الموقع هو محطة على مسار الطريق إلى الجلف الكبير وأنها ترجع إلى الأسرة الرابعة، وكان الاعتقاد سابقا بأن أقدم زمن لارتياد أقاصى الجنوب الغربى من صحراء مصر الغربية كان خلال الأسرة السادسة. وقد عثر بيرجمان على محطة أخرى لا تقل أهمية عن محطة جيديفرى وهى ما أسماها محطة «ديار يعقوب» وهى تجمع لسكنى حول بركة مائية اندثرت حاليا ووجد بها آثارا لممارسة الزراعة مع بداية عهد الأسرات الفرعونية. وأشار بيرجمان إلي أن الرواد الأوائل القدامي كانوا يحصلون على أكاسيد الألوان الصفراء والحمراء (المغرة) المتوافرة فى تلك المواقع السحيقة البعد، لاستخدامها فى طلاء أبنية المساكن والمعابد والمدافن فى وادى النيل.

(د) الزجاج الليبى:

(123) من أبرز الظواهر الطبيعية فى بحر الرمال الأعظم وجود مواضع فى الممرات بين السلاسل من الغرود الرملية تتناثر على سطحها كتل صغيرة وكبيرة من زجاج لونه مائل للاصفرار، ويتراوح وزن حباتها من بضعة جرامات للحبة الواحدة إلى كتل قد يصل وزن الواحدة 7 كيلو جرامات، وقد عثر على قطعة فريدة وزنها 27 كيلوجرام وهى محفوظة فى متحف التاريخ الطبيعى الفرنسى. وتقع الأرض التى وجد بها هذا النوع الفريد من الزجاج بين خطى عرض 02، °25 - 13 26 وخطى طول 24 25 - 55، °25 فهى فى وسط سلاسل غرود بحر الرمال قرب الحافة الشمالية للجلف الكبير، وتبعد عن الحدود الليبية بحوالى 50 كيلو متر.

(74) وقد استخدم هذا الحجر فى أزمان ما قبل التاريخ، فشكل سكان هذه المنطقة (حينما كانت صالحة للسكنى) منه رءوس حراب وأدوات أخرى.

(64) ويذكر تاريخيا أن الرحالة الإصطخرى (القرن العاشر الميلادى) كان قد أشار فى أحد كتبه إلى وجود مصادر للحجر الكريم «الزبرجد» فى الصحراء الغربية المصرية. والواقع العلمى ينفى احتمال وجود الزبرجد فى الصحراء الغربية نفياً قاطعاً، ولعل الاصطخرى كان يقصد حجر الزجاج الليبى الذى يشبهه لونا وقواما. على أى حال، فقد يدل هذا على أن المصريين فى ذلك الوقت الإسلامى قد عرفوا هذا الحجر واستعملوه رصائع لهم.

(123) ويقال إن أول من أخبر عن هذا الزجاج هو أحد سكان واحة الكفرة عام 1846 وأعطى المعلومة لقنصل فرنسا الذى سارع بالنشر عنها فى المجلة الجغرافية الفرنسية. وقد تعرف عليها العالم الجيولوجى «فون زيتل» عام 1874 حين كان ضمن مجموعة رولفس. (74) إلا أن مهندس المساحة «باتريك كلايتون» هو الذى أعلن على العالم رؤيته لهذا الزجاج عام 1935 وهو الذى أعطى له هذا الاسم. (96) وكان هذا الإعلام فاتحة للاهتمام بين علماء العالم والرحالة حتى لقد زاد عدد ما نشر عنه 170 مقالة ومازالت الاجتهادات العلمية حتى الآن.

(74) ومن أوائل العلماء المصريين الذين بحثوا عن أصل تكوين هذا الزجاج «البهى عيسوى» فى السبعينيات من القرن العشرين. (75) وقد زار مؤلف هذا الكتاب أحد مواقع الزجاج الليبى فى أوائل عام 1981 بصحبة «البهى عيسوى» كما سبق ذكره.

(96) ودرجة صلابة هذا الزجاج «6» بالمقياس الدولى لـلصلابة (الذى يبدأ برقم «1» لصلابة حجر الطلق وهو الأقل صلابة وينتهى برقم «10» لصلابة الماس) وكثافته النوعية 2.2 فهو أخف وزنا من الزجاج المصنع، وتركيبه الكيميائى عادة ما يكون 98 ٪ سليكا (أكسيد السليكون) أما 2 ٪ الباقية فتتكون من أكاسيد الألومينيوم والحديد والتيتانيوم بجانب طائفة من العناصر الأخرى بنسب طفيفة جدا منها الكروميوم والكوبلت والنيكل والإيريديوم.(123) ويقول العلم إنه لتكوين زجاج بتلك الصفة معملياً فإنه يلزم أن تصهر السليكا إلى درجة 1600 درجة مئوية ويستمر الصهر 47 يوما، أو تصهر فى درجة 1800 درجة مئوية لمدة خمس ساعات أو تصهر فى درجة حرارة 2000 درجة مئوية لمدة دقيقتين.

(74) أما أصل تكوين هذا الزجاج فهناك عدة احتمالات قدمها العلماء، أكثرها قبولا احتمال اصطدام نيزك كبير أو عدد من النيازك بأرض هذه المنطقة مما تسبب فى صهر رمالها (المكونة من السليكا) إلى زجاج وهو فى هذه الحالة يجعلها من ضمن ما يسميه علماء النيازك "impactite".

وقد أشار فتحى عوض الله فى كتابه عن الفضاء والشهب إلى سابق سقوط نيازك فى خلال القرن العشرين على أراض مصرية، منها نيزك «النخلة» بمحافظة البحيرة ونيزك القنطرة ونيزك إسنا، وقد رجح أن يكون تكوين الزجاج الليبى له علاقة بسقوط النيازك فى أزمان جيولوجية.

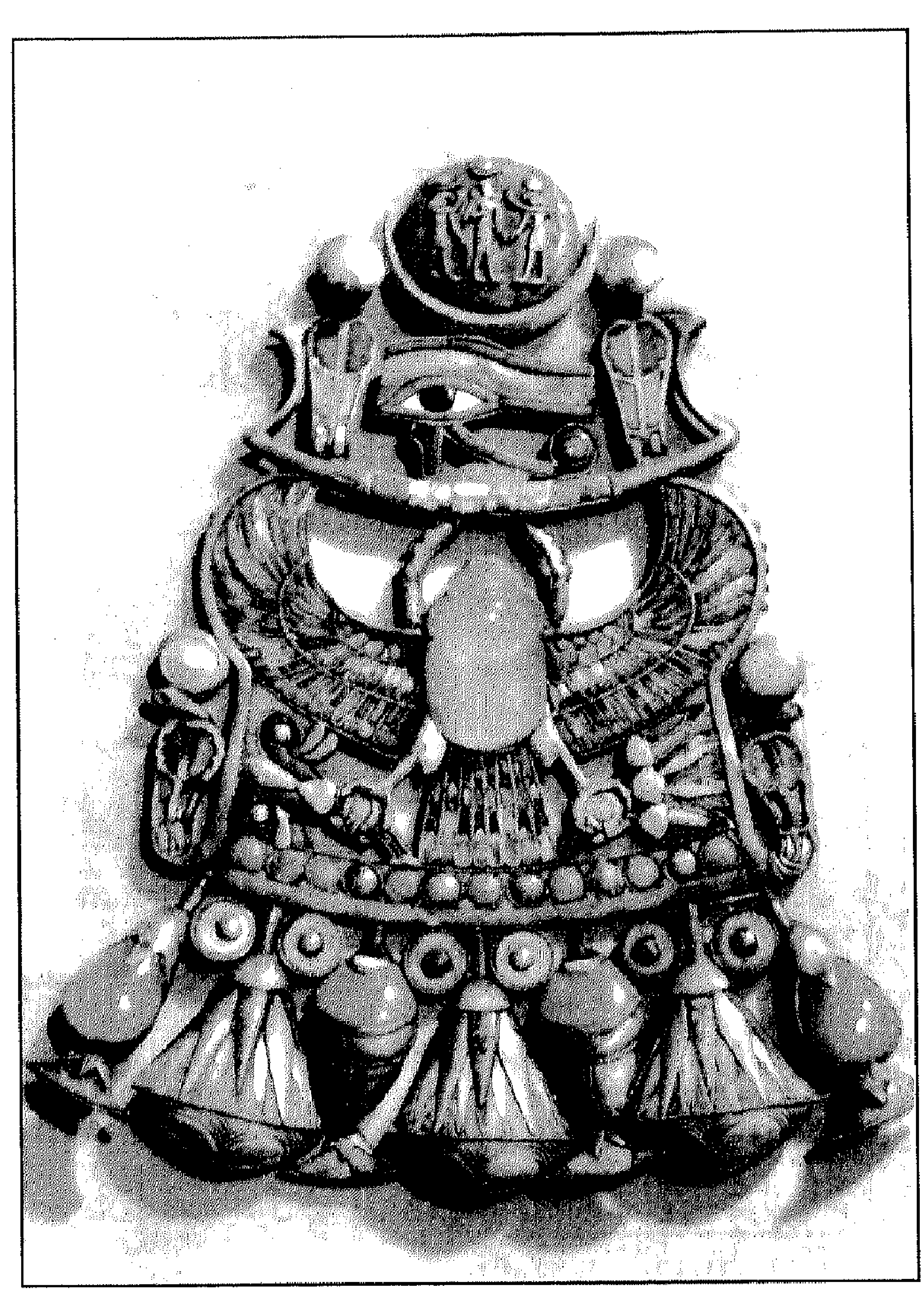
(96) لقد بينت الدراسات أن تكون الزجاج الليبى جاء نتيجة التعرض لدرجة حرارة قاربت الألفى درجة مئوية ونتيجة التعرض لضغط أعلى من عشرين

ألف «بار»، كما رأى العلماء أن وجـود عنصر الإيريديوم فى تركيب الزجاج دلالة على تدخل جسم من الفضاء فى تكوينه. وقدم ثلاثة من العلماء الأمـريكيين عام 1984 رأيا بأن نيزكا أو مذنبا قد هجم على سطح تلك المنطقة من الصحراء الغربية بسرعة 30-50 كيلو متر فى الثانية واصطدم بقـوة هذا الاندفاع فتسبب فى إحداث ضغط كـبير وارتفاع كـبير فى درجة الحـرارة فتكون الزجاج فى فـجوة الاصطدام واقترح أن يكون قطر هذه الفجوة حوالى 3.2 كيلو متر. ثم تولت العوامل الطبيعية بعثرة قطع الزجاج عـبر ملايين السنين. (74) وفى عام 1993 زار المنطقة علماء من مصـر على رأسهم «على بركات» ومعـه علماء من إيطاليا وعـثروا على شظايا من جسم النيزك الذى اصطدم وكان سبباً فى تكوين الزجاج. (90) وقد اختبر الزجاج وكذلك شظايا النيزك بوسائل تحديد العـمر المطلق فتبين أنه حدث منذ 28.5-29.5 مليون عام أى فى عصر الأليجوسين من الحقب الثلاثى من الأعمار الجيولوجية.

قلادة الفرعون توت عنخ آمون:

(118) يحتفظ متحت الآثار بالقاهرة بمجموعة من مخلفات توت عنخ آمون من الأسرة التـاسعة عشـرة وهى الآثار التى عثر عليـها فى مقبـرته. وفى وسطها حجر منقـوش على شكل جعران، وتعتبر هذه القـلادة من روائع التحف التى تميز مجوهرات الملك وهى محـفوظة فى المتحف المصرى تحت رقم 604، ومع القلادة ثلاث خواتم ملكيـة أحدها مُركب عليه حـجر على شكل جعران مماثل للـجعران المركب فى القلادة.

(64) وفى عام 1998 سـمحت سلطة المتحف المصـرى للآثار بالقاهرة للعالم المصرى «على بركات» ومعه العالمان الإيطاليان «فيتـشنترى ميشيل» و«رومانو سيها» لاختبـار الأحجار التى ترصع حلى توت عنخ آمون، وتبين أن الحـجر الرئيسى فى قلادة الفرعون والتى على شكل جعران مـا هو إلا قطعة من الزجاج الليبى، وكان يظن أنه قطعة من الكالسيدونى (السليكا) العادية. وكان لهذا الكشف أهميته، فهو



قلادة توت عنخ آمون فى الوسط الجعران من حجر الزجاج الليبى

(متحف الآثار - القاهرة)

دلالة على أن علماء الأحجار الذين كانوا ينتمون للأسرة الـ 19 (وربما قبل ذلك) قد وصلوا فى جولاتهم العلمية الاستكشافية الصحراوية إلى هذه البقعة النائية من الصحراء الغربية، وأنهم أدركوا ندرة وقيمة هذا الحجر وأنه يليق بترصيع قلادة الفرعون.

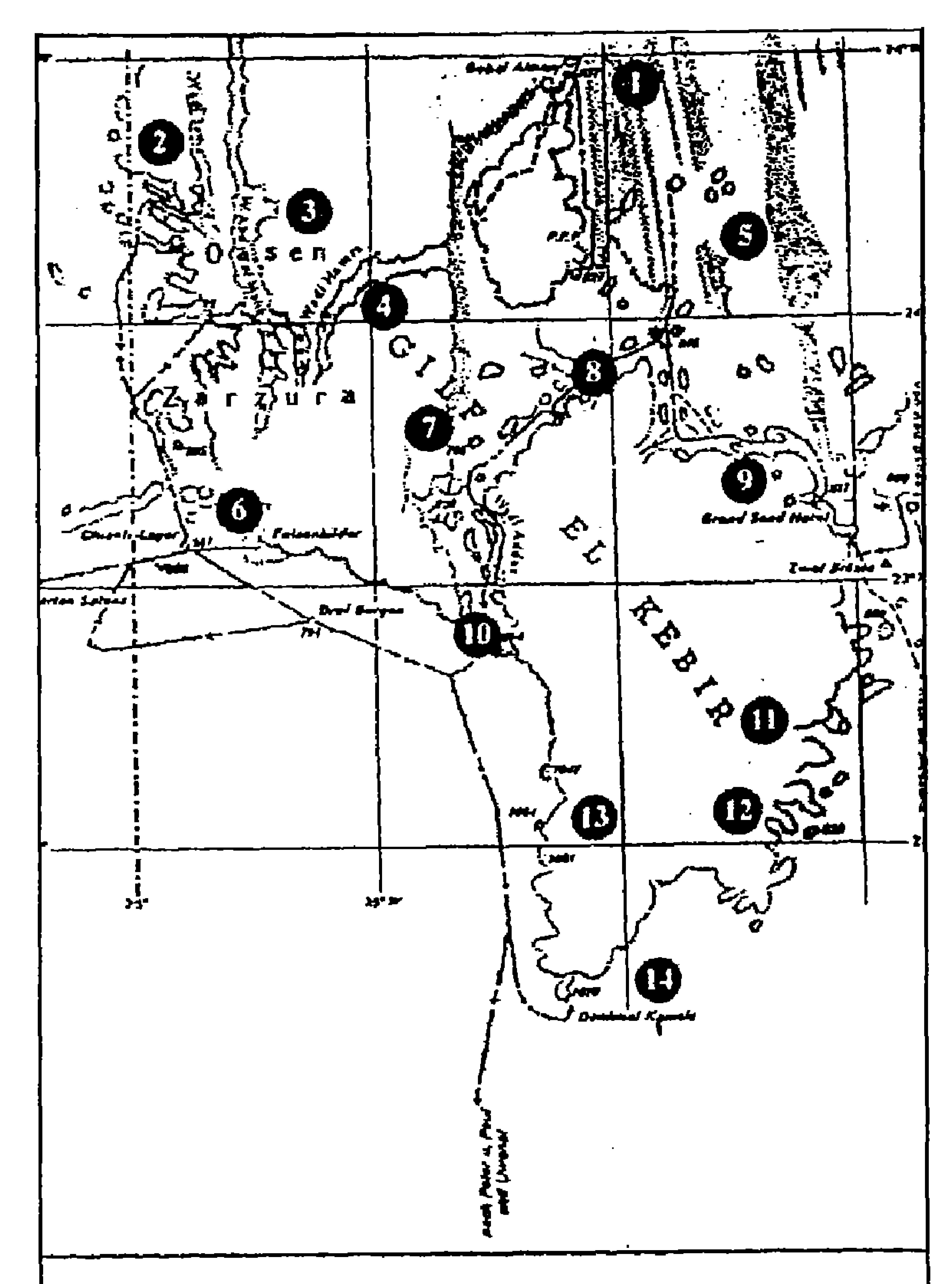
(هـ) الجلف الكبير وصحراء العوينات:

(96) الجلف الكبير أحد المعالم الطبيعية فى الركن الجنوبى الغربى للصحراء الغربية المصرية، والجلف على شكل هضبة تنقسم إلى جزئين شمالى وجنوبى يفصلهما وادى ضيق متعرج وعر طوله حوالى 20 كيلو متر. (123) وأعلى قمة لهذه الهضبة ارتفاعها 1075 مترا فوق مستوى سطح البحر. وتبعد الهضبة عن البحر المتوسط بحوالى 960 كيلو متر وعن النيل بحوالى 720 كيلو متر. (18) وقد أعيدت تسوية جزئى الهضبة فاقتصر على تسمية الجزء الجنوبى منها بهضبة الجلف الكبير أما الجزء الشمالى فأطلق عليه اسم «هضبة أبو رأس». (14) وإلى شمال شرق الهضبة تمتد أرض تجدية منبسطة مساحتها 4500 كيلو متر مربع هى صحراء العوينات عرفها العلماء بأنها حقل الصدمات النيزكية بعد أن تبينوا وجود 57 فوهة لصدمات نيزكية أكبرها قطرها حوالى ثلاثة كيلو مترات.

(96) فى عام 1909 تمكن الرحالة «هاردنج كنج» من الإطلال على الجزء الجنوبى من الهضبة لأول مرة ونشر عن ذلك عام 1912 ثم عام 1925.

(123) وقد طاف بأرجاء الجلف الكبير والعوينات عدد من الرحالة منهم «جون بول» عام 1918، وأحمد حسنين عام 1923، والأمير كمال الدين حسين عام 25/ 1926 وكان معه «بول»، وبيدنل عام 1928، وباجنولد أعوام 1930 و 1931 و1938، وبيتر كلايتون عام 1931، ودالماس عامى 1932و 1933.

(100) وفى عام 1933 قاد الألمانى «فروبينيوس» بعثة علمية ثم تلاها ببعثه عامى 1934 و 1935 ووثق بعض الأماكن الأثرية فى الجلف الكبير وشمال السودان. وفى عام 1938 زار السويسرى «وينكلر» العوينات والجلف الكبير ثم زارها فى العام التالى ضمن بعثة رأسها باجنولد وضمت «أوليفر ماير». وفى خلال الحرب العالمية الثانية جابت قوات الجيوش المتحاربة أنحاء المنطقة ضمن أنشطة استطلاعية ودفاعية. (123) وزاد الاهتمام بالجزء الجنوبى الغربى من صحراء مصر الغربية بعد ذلك زيادة واضحة. ففى الأعوام من 1962 إلى 1969 أوفدت هيئات علمية أوروبية ثم تلتها هيئات أمريكية وشاركوا علماء المساحة الجيولوجية

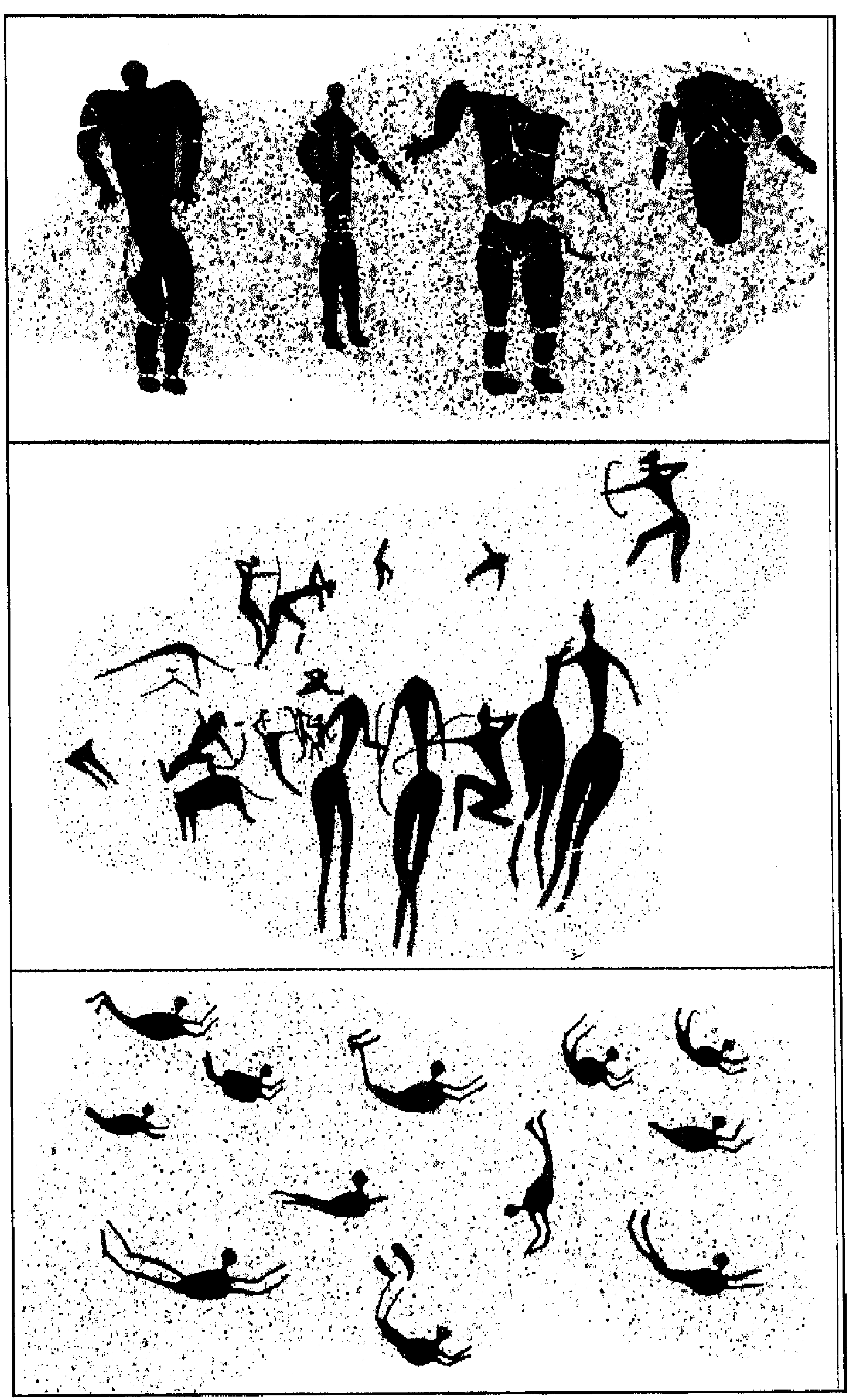


MAP OF GILF KEBÌR

Showing routes of Almasy's expeditions and the plateau's areas of interest.

1. Great Sand Sea
2. Wadi Talh
3. Wadi Abdel Malik
4. Wadi Hamra
5. Baz Crater
6. Wadi Soura
7. Ghurud Abed
8. Qaret al-Mestekawi
9. Wadi al-Mashi
10. Aqaba Pass
11. Wadi al-Bakht
12. Wadi Wasaa
13. Ard al-Akhdar
14. Kemal al-Din's Monument

تفاصيل هضبة الجلف الكبير



رسومات جدارية فى كهوف وادى الصورة الجلف الكبير

(عن كسندرا فيفيان)

المصرية والجامعات المصرية أنشطة استطلاعية، ومن أبرز الخبراء المصريين فى هذا المضمار «البهى عيسوى وفكرى حسن وفاروق الباز».

(18) ومع توالى الرحلات الاستكشافية ورحلات السفارى وحفاظا على ما تضمنه المنطقة من كنوز طبيعية فقد صدر قرار رئيس الوزراء رقم 10 لسنة 2007 بتاريخ 4 يناير 2007 بإنشاء محمية طبيعية بالجلف الكبير.

(104) وعلى أثر صدور هذا القرار قام قطاع حماية الطبيعة بوزارة الدولة لشئون البيئة بتنظيم بعثة لزيارة المنطقة هدفها التعرف على قضايا صون التراث واقتراح تدابير الحماية المناسبة. قاد البعثة التى استمرت من 17 فبراير حتى 4 مارس 2007 الأركيولوجى الألمانى «كوبر» من معهد هيزيس بارت واشترك مع البعثة علماء ألمان ومصريون وكان دليل الرحلة المرشد «محمود نور الدين».

(و) النبطة والمزولة الحجرية:

(26) رصد نبيل إمبانى 26 موقعا لبحيرات قديمة اندثرت فى أنحاء الصحراء الغربية وهى بحيرات نشأت خلال الفترات المطيرة فيما قبل التاريخ وسكن الإنسان حولها إلى أن جفت بعد انتهاء الفترة المطيرة فهجرها وبقيت على حوافها رسوبيات طينية عرفت باسم «بلايا Playa» بها مخلفات لسكنى هذا الإنسان.

وهذه البحيرات هى:

1) كركر	2) دلقل	3) النبطة
4) بئر طرفاوى	5) بئر صحارى	6) بئر المر
7) جبل الواقف	8) منطقة باريس	9) بولاق
10) المحرق	11) أم الدباديب	12) سهل الزيات
13) بلاط	14) موط	15) غرب الموهوب
16) أبو بلاص	17) وادى البخت	18) وادى عرض الأخضر

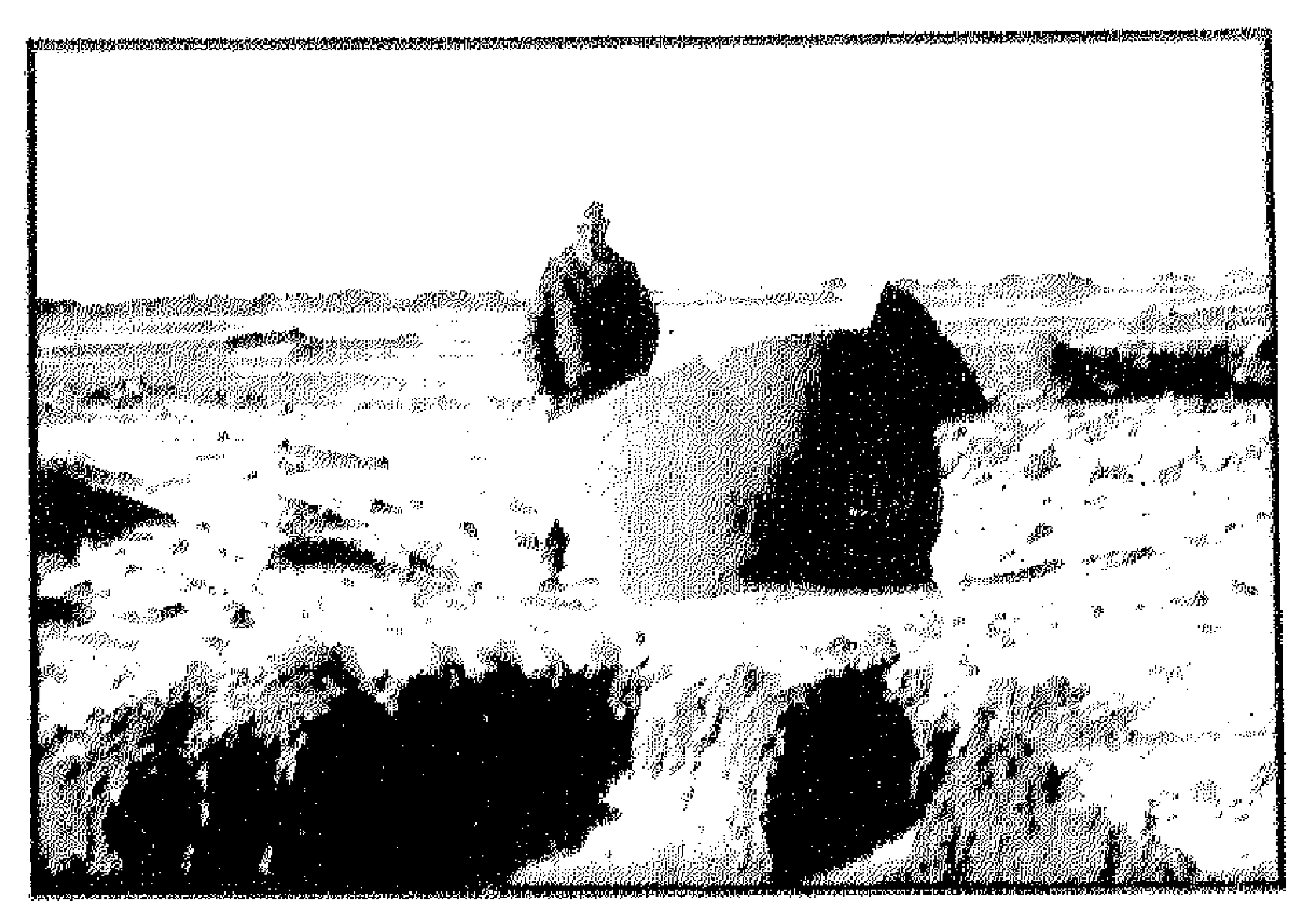
(19) أبو منقار 20) قصرالفرافرة 21) بئر القروين

22) وادى العبيد 23) الحيز 24) شمال شرق البحرية.

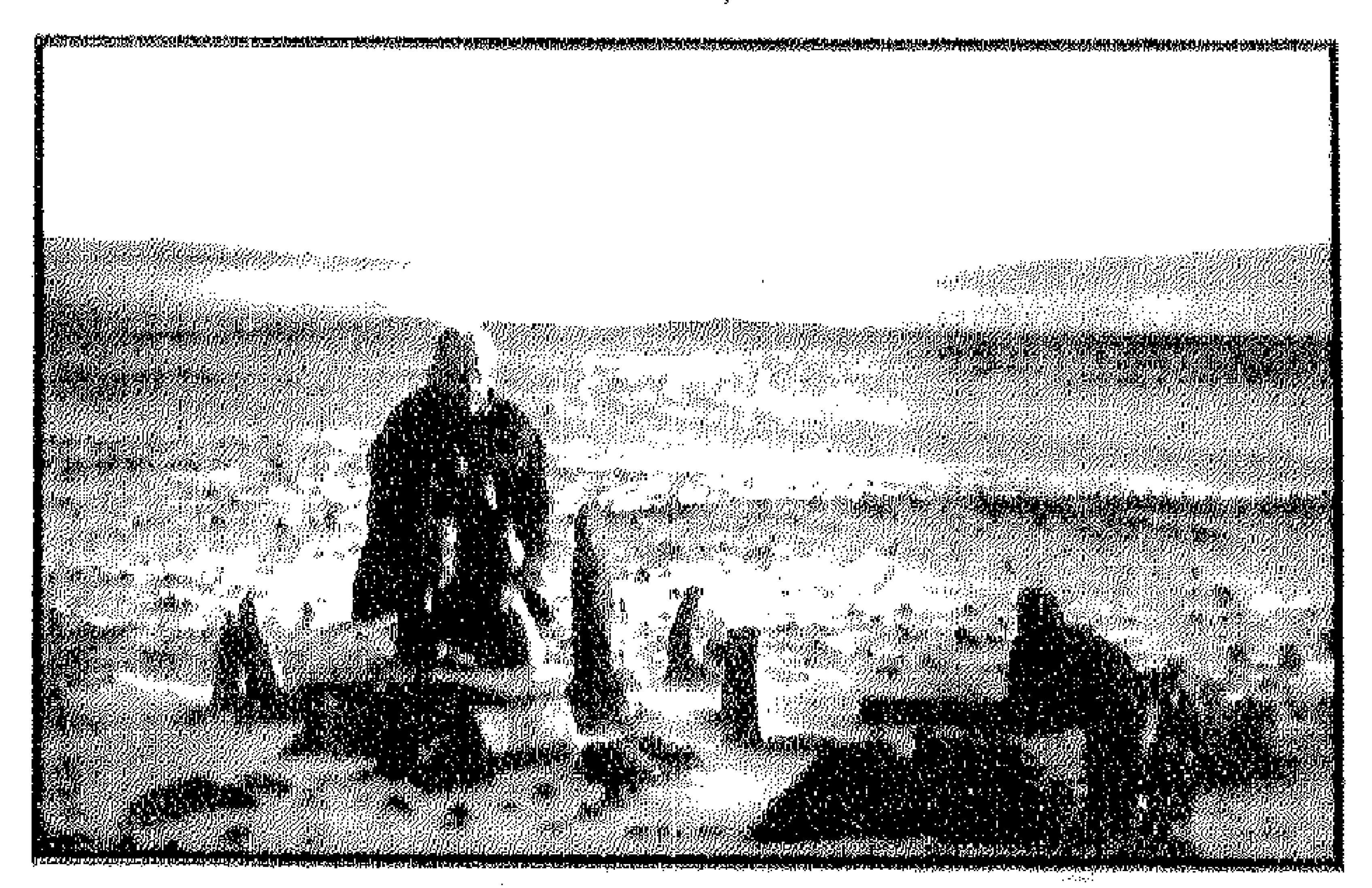
25) غرب سيوة 26) شرق سيوة

(124) وقد دلت الدراسات على أن هذه السكنى كانت فى أواخر الفترة النيولوتية التى استمرت حوالى أربعة آلاف عام. وقد قسمها العلماء إلى النيوليتى المبكر التى استمرت ما بين 10-8 آلاف عام من الآن حين عاش الإنسان على الصيد وجمع الثمار. ثم تلتها فترة 7900-7700 عام قبل الآن توقفت خلالها الأمطار وتوقفت مظاهر وجود سكنى الإنسان بالمنطقة. ثم استؤنفت بفترة مطيرة خلال النيوليتى الأوسط التى استمرت ألف عام حتى 6500 عام قبل الآن، وبعد فترة توقف قصيرة للأمطار بدأت مرحلة مطيرة هى فترة النيوليتى الأحدث. إلا أن الأمطار بدأت تتناقص وانتقل نطاق الأمطار جنوبا بحيث إنه ابتداء من خمسة آلاف عام قبل الآن صارت المنطقة صحراء جرداء لا حياة فيها وظلت كذلك حتى اليوم.

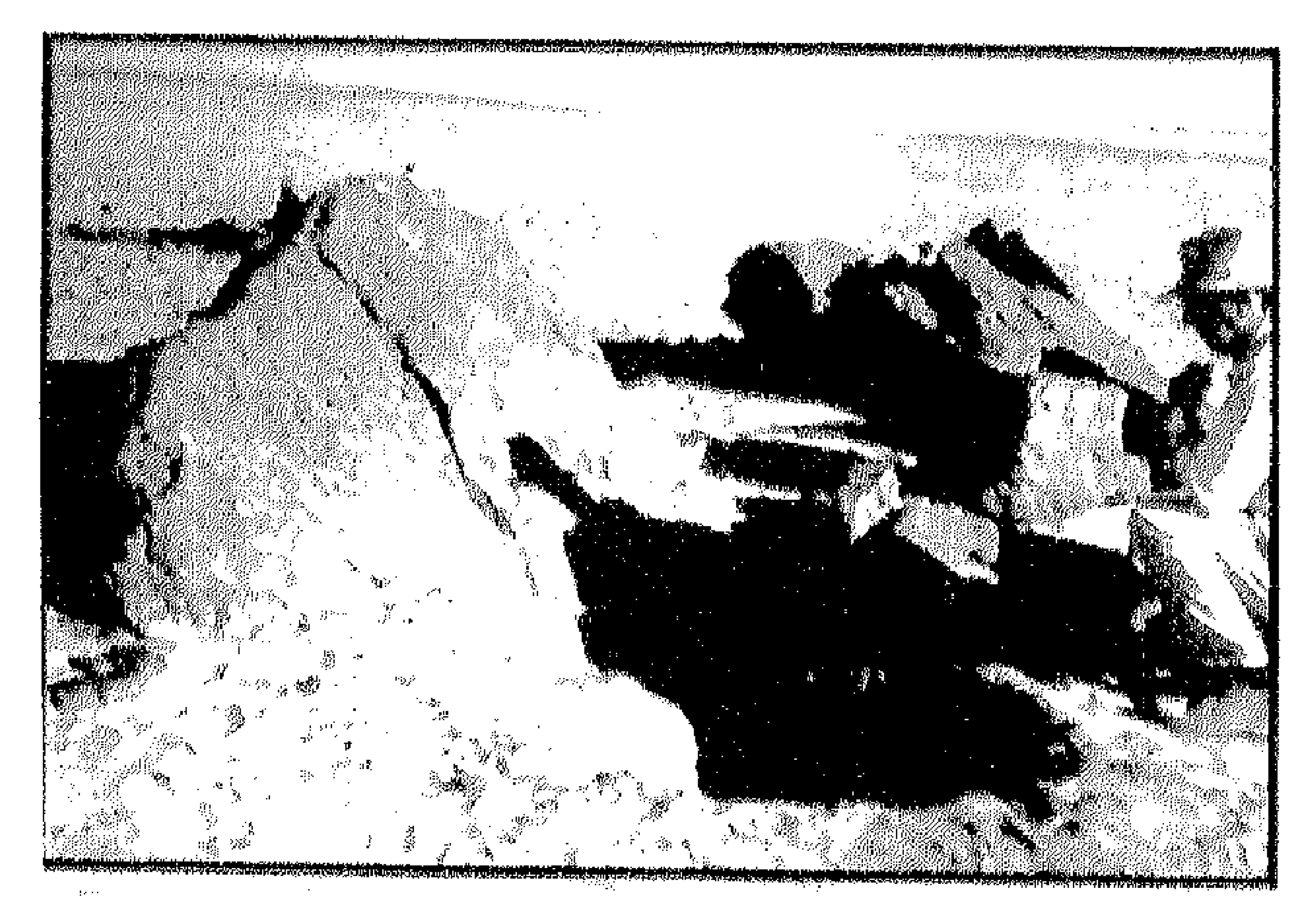
(62) ومن أهم المناطق الأثرية لحضارة سكنى الإنسان حول تلك البحيرات التى اندثرت فيما بعد، منطقة «النبطة» التى تقع إلى الغرب من أبى سمبل بحوالى مائة كيلو متر وكانت موقعا لبحيرة عظيمة الاتساع (ما يزيد عن خمسة آلاف كيلو متر مربع) استمرت مليئة بالماء العذب وعامرة بالسكنى فى الفترة الزمنية بين عشرة آلاف سنة حتى 7900 عام قبل الآن. وعلى حواف تلك البحيرة ظهرت آثار النار التى عرفها واستعملها سكان المنطقة لطهى طعامهم، وبقايا مساكن بدائية، وبقايا عظام بعض الحيوانات التى كانت غذاء لهم، كما عثر على أدوات صوانية كانت تستخدم فى حياتهم اليومية وفى الصيد. ومن ضمن مكتشفات البعثة الأركيولوجية المشتركة بين جامعة دالاس الأمريكية ومعهد العلوم البولندى مع المجلس الأعلى للآثار فى مصر خلال عام 2001، العثور فى الدفنات على أوانى فخارية وعلى حبات عقود من زجاج الكارنيليان والأجات، وعلى أسوار من العظم وعلى رقائق من المايكا كانت موضوعة تحت رأس الهياكل المدفونة.



Stone sculpture thought to resemble cow, Nabta area.

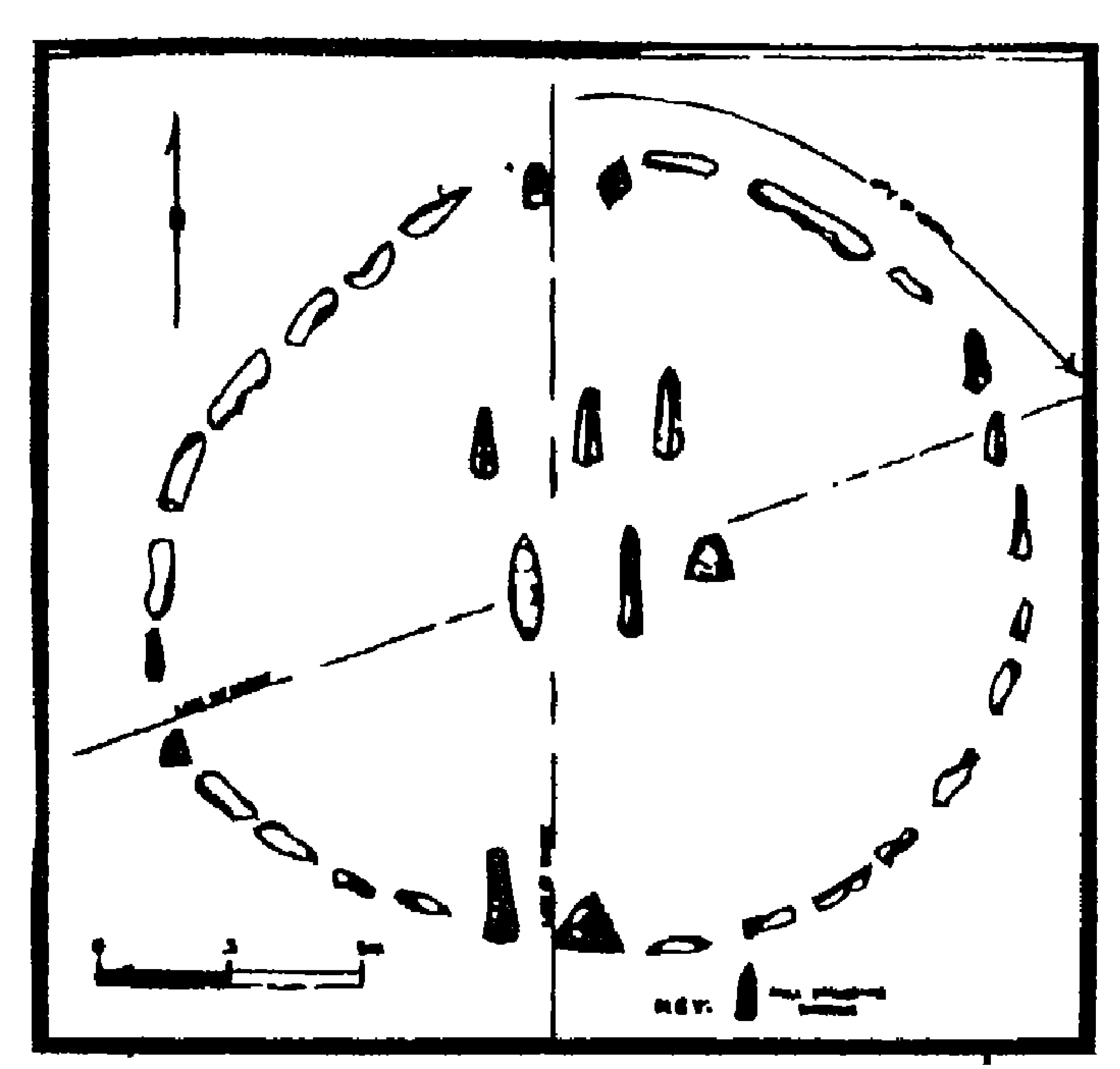


Calender circle, Nabta area.

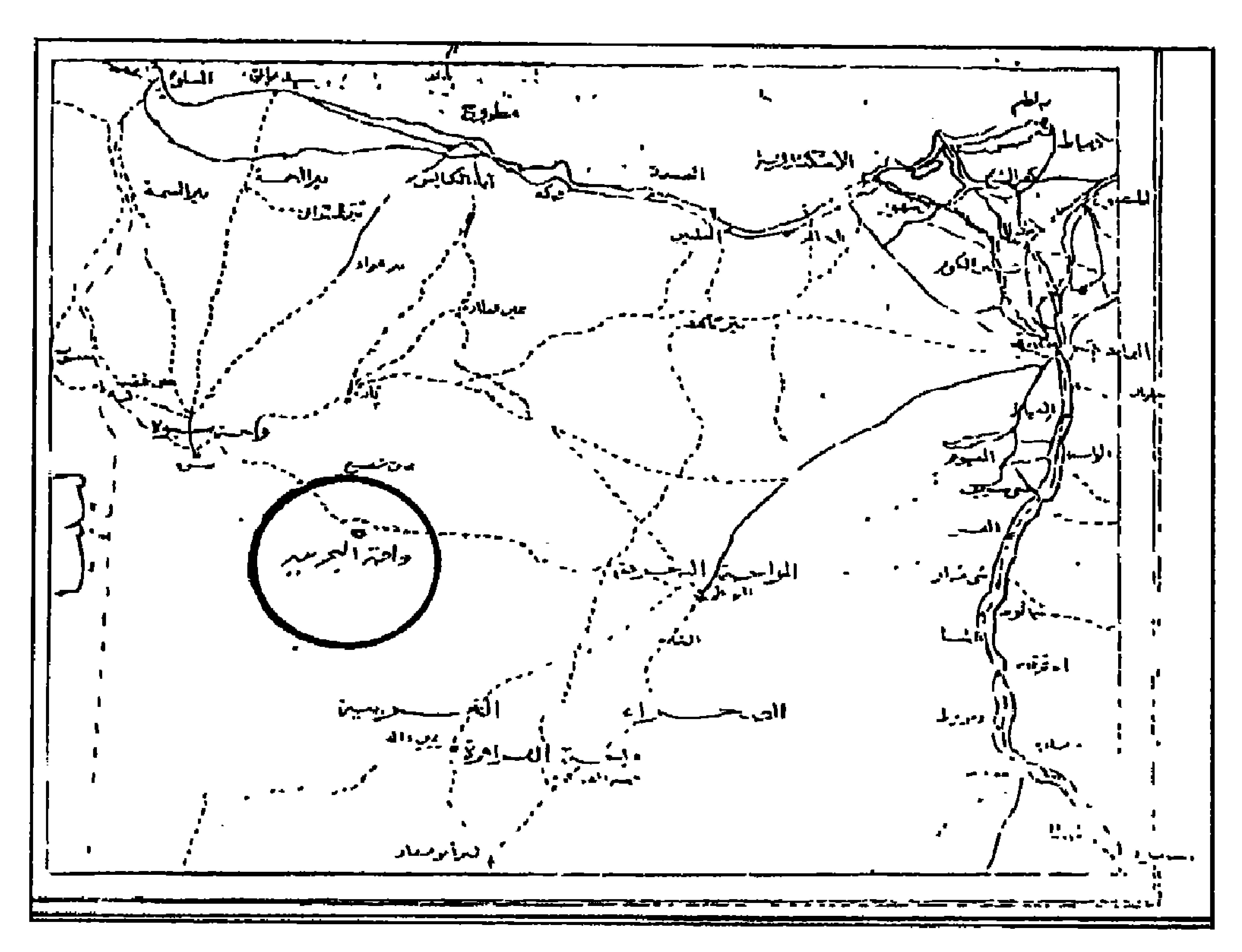


Megalith at Nabta.

النبطة



الساعة الزمنية القديمة أو أقدم الآثار التى استعملها الإنسان لمعرفة الوقت منذ 6500 سنة



البحث عن بقايا جيش قمبيز

وقد تكون حبات الكارنيليان والأجات مجلوبة من الصحراء الشرقية، أما وجود رقائق (صفائح) المايكا ووضعها تحت رأس المتوفى فتحتاج إلى تعليق. ذلك أن الصحراء الشرقية المصرية ليس بها من المايكا ما يمكن أن تقتطع منه صفائح، وأقرب موقع يمكن الحصول منه على هذا النوع يوجد فى الأراضى السودانية حول النيل بين أبو حمد وعطبرة وهى تبعد مسافة تزيد عن الألف كيلو متر، فهل كانت توجد صلات تجارية لتبادل سلع من ضمنها المايكا؟ وهل كانت لسكان النبطة طقوس جنائزية من ضمنها وضع المايكا تحت رأس المتوفى عند دفنه؟ وهل اقتصر هذا للمتميزين من القوم حيث أن المايكا كانت من الندرة بحيث تليق بالعظماء فقط؟

(124) ومن المكتشفات بجانب بحيرة النبطة المندثرة تسع كتل كبيرة منتصبة من الحجر الرملى أقامها سكان النبطة القدامى وحجم الواحدة متران من كل جانب وارتفاع ثلاثة أمتار وهى منصوبة على امتداد 500 متر فى خط واحد اتجاهه 10 درجات إلى الشرق من الشمال. وقد نقل سكان النبطة هذه الأحجار الضخمة ورتبوها، كما رتبوا مجموعات أخرى فى اتجاهات قد تشير إلى بعض النجوم مثل الشعرى اليمانية أو إلى مجموعة الدب القطبى. وربما من هذا الترتيب أمكن لسكان النبطة معرفة فصول السنة.

وعلى بعد حوالى نصف كيلو متر إلى الشمال من مجموعة الأحجار التسعة، أقام سكان النبطة دائرة من ألواح الحجر الرملى من 29 قطعة بقطر الدائرة وهى حوالى ثلاثة أمتار وأقاموا فى منتصف الدائرة ست ألواح صغيرة منتصبة ومرتبة فى ثلاث صفوت متوازية كل اثنين فى اتجاه الشمال. واعتبر العلماء هذا الترتيب الحجرى بمثابة «مزولة حجرية» أو ساعة حجرية يتم بواسطتها معرفة الوقت نتيجة سقوط ظل الأحجار وسط الدائرة على أحجار محيطها. وتشبه هذه المزولة الحجرية، مزولة أخرى سبق أن عثر عليها فى جنوب إنجلترا وعرفت باسم Stone hinge ولكن مزولة النبطة أقدم منها.

حجر خفرع (محجر الديوريت):

(111) فى عام 1868 عـثـر الأثرى الفرنـسـى «ماريـيـت» على ست تماثيل حجرية متـشابهة بالحجم الطبيعى للفرعـون خفرع جالسا، عثر عليهـا قرب قاعدة تمثال أبو الهول. خمـسـة من هذه التماثيل فى حالة من التهـشم وواحد فقط سليم تماما، وهى حـاليا من أعز مـقتنيات المتـحف المصرى بالقاهرة. والحـجر من نوع خـاص نادر له اسم علمى (ديوريت جنيس). وقـد ظل المكان الذى اقـتطفت منه هذه الأحجار لنحت التمثال والتماثيل الخـمـسة المماثلة غير معروف لمدة 64 عاما. وفى يونيه عام 1932 عثرت إحدى دوريات سلاح الحـدود المصرية أثناء تجوالها فى

محجر الديوريت «حجر خفرع»

(المصدر موراى)

جنوب الصحراء الغربية بين دنقل ونخلاى، على محجر مهجور في موقع يبعد حوالى 78 كيلو متر إلى الغرب من توشكى. وكانت الدورية بقيادة الضابط البريطاني «سبنكس» (الذى أصبح فيما بعد سبنكس باشا لواء فى الجيش) وكان معه الكولونيل هاتون. وأخذ عينة من حجر هذا المحجر وعرضها على مدير المتحف المصرى وقتئذ «إنجلباخ» الذى تبين له مطابقتها لنوع الحجر الذى اقتطعت منه تماثيل خفرع الست. وزار إنجلباخ المحجر بصحبة الضابط سبنكس وتأكد من نوع الأحجار وعثر على نقوش للملوك من الدولة الوسطى.(42) وبمراجعة مقتنيات المتحف من مشغولات هذا الحجر تأكد أنه صنعت منه فازات وأوان وبعض اللوحات والتماثيل الصغيرة. وانفرد الملك خفرع بتماثيله الستة بالحجم الطبيعى لم يسبقه أحد ولم يفعلها ملك آخر بعده.

(111) وبينت الدراسة الأركيولوجية أن هذا المحجر كان معروفا لحكام الأسرة الثانية من الدولة القديمة وقد يكون قد عرف قبل هذا التاريخ. واستمر استخراج الأحجار منه على مدى قرابة الألف عام خلال الدولتين القديمة والوسطى ثم لم تقتطع منه أحجار بعد ذلك. وفى فبراير 1938 زار انجلباخ المحجر مرة ثانية بصحبة مهندس المساحة موراى الذى رسم اسكتشا للمحجر. وتبين أنه يبتدئ من النيل عند قرية توشكى. وبين موراى أن القدماء حددوا معالم الطريق بأحجار مقامة على امتداده، وأجرى قياسا لطول الطريق فتبين أنه 77.6 كيلو مترا، وسجل موراى قياسا لمنتصف الطريق فوجد أن القدماء قد وضعوا نصبا يميزه عن بقية العلامات.

أسطورة جيش قمبيز وأسطورة واحة زرزورة:

جيش قمبيز:

(123) فى حوالى عام 525 قبل المياد وصل جيش فارس بقيادة قمبيز بن قورش إلى حدود مصر الشرقية واصطدم بجيش حاكم مصر بسماتيك الثالث (من الأسرة الـ 27) عند مصب الفرع البيلوزى للنيل وهزمه ثم توصل إلى احتلال مصر. ويقال إنه تراءى لقمبيز أن يهدم الصرح الدينى الفرعونى المقام فى سيوة لما يرمز إليه من قوة العقيدة المصرية. وحسب رواية المؤرخ هيرودوت اليونانى الذى زار مصر عام 450 قبل الميلاد أى بعد 75 عاما من غزو الفرس لمصر، فإن جزءاً من جيش قمبيز قد صدرت له تعليمات للتوجه من طيبة إلى سيوة وأن هذا الجيش وصل إلى الخارجة ثم الداخلة ومنها إلى صحراء غير معروفة وإلى مصير مجهول. (74) وزعم هيرودوت أن عدد أفراد الجيش الذى غادر فى اتجاه سيوة كان حوالى 50 ألفا وهو رقم شديد المبالغة. وتقول الأسطورة إنه لم يعثر على أى واحد من هذا الجيش حياً أو ميتاً. أما كيف هلك هذا الجيش بأكمله فهو تساؤل صعبت الإجابة عليه، وبُذلت فى سبيل ذلك عدة محاولات للإجابة استكشافيا ولم تصل إلى إجابة. (95)

(123) ومن الرحالة الذين انبروا للبحث عن مكان هلاك جيش قمبيز المغامر الهنغارى دالماس الذى قام بمحاولات استطلاعية بطائرته الخفيفة عدة مرات فى أنحاء بحر الرمال خلال العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين. وفى عام 1960 تجول الرجلان الألمانيان «هورنيمان» و«هيرجتهاهن» بحثا عنه فى بحر الرمال دون نتيجة. وفى عام 1982 قام الإيطالى «جيانبرلو ليجابى» من مركز العلوم فى فينيسيا مع الأمريكى جارى شافيز من متحف جامعة هارفارد بمجهود فى البحث دون نتيجة.

ويسوق أهل سيوة احتمال أن تكون عاصفة هوجاء قد هاجمت جيش قمبيز أثناء راحته فى أحد مراحل الطريق بين الداخلة وسيوة وردمته فى ساعات معدودة بحيث لم يظهر على السطح من أفراده ومن معداتهم أى أثر. ويسوقون أمثلة

يتناقلون روايتها عن أحداث مماثلة وقعت فى أنحاء الصحراء الكبرى. وهناك أكثر من احتمال آخر يقدمه المهتمون بالموضوع. فهناك احتمال تعرض الجيش لهجمة شاملة من بعض القبائل البدوية من البربر أتت على الجيش بأكمله فأهلكته واستولت على أسلحته ومعداته ثم تولى سفى الرمال بقية المهمة فى تغطية آثار المعركة بالكامل. وهناك احتمال آخر قيل فى هذا الشأن وهو أن الأدلاء الملحقين بالجيش تآمروا لكى يضل فى الصحراء ويموت أفراده عطشا بدافع الغيرة الوطنية والدينية وحرصا على سلامة الهيكل المقام فى سيوة.

(65) وبقى السر مجهولا ولكن المحاولات لم تتوقف. ففى ديسمبر 1996 قامت بعثة إيطالية من مركز بحوث الآثار الصحراوية بالشرق الأوسط بصحبة العالم المصرى على بركات باستكشاف جهة واحة «البحرين» التى تقع بين واحتى الفرافرة وسيوة وتبعد عن سيوة مسافة 150 كيلو متر على احتمال أن يكون هو موقع هلاك جيش قمبيز. وتركز البحث التفصيلى على نقطة معينة تقع جنوب واحة البحرين بحوالى 18 كيلو متر. وفى دائرة قطرها حوالى خمسة كيلو مترات مربعة من هذه النقطة عثر على بعض المخلفات، عثر على سكين حديدى وخنجر من البرونز وأربعة رءوس سهام من البرونز وحلق من الفضة مما كان يضعه الرجال المحاربون القدماء للزينة وعثر أيضا على سوار من الذهب، كما وجدت عظام آدمية متناثرة على السطح غير مدفونة. وقد اهتمت هيئة الآثار المصرية وأوفدت بعثة من تسعة أثريين وتسعة باحثين من المعهد القومى للبحوث الفلكية فى أواخر عام 2000، فزارت المنطقة وتحرت ولم تستطع أن تحسم الموضوع ولم تعط رأيا قاطعا وبقيت علامات الاستفهام !!؟.

أسطورة واحة زرزورة:

(123) من الأساطير التى كانت شائعة بين الرحالة فى النصف الأول من القرن العشرين أسطورة وجود واحة مجهولة فى جنوب غرب الصحراء الغربية اسمها «زرزورة» ومعنى هذه الكلمة إما أن يكون «طائرا صغيرا» أو بلغة أهل البربر «غزال». ويقال إنه جاء ذكرها فى أحد كتب الرحالة العرب فى القرون الوسطى،

وتناقل أهل الواحات الداخلة هذه الأسطورة (101) وقد سمع بها وأذاعها الرحالة «ويلكنشن» ونقلا عما سمعه فالواحة تتكون من ثلاث أودية بها ماء وخضرة تصلح للرعى. وقد اهتم بالبحث عن الواحة المفقودة (زرزورة) الرحالة الألمانى «ريتشارد بيروان» الذى قام فى مارس 1933 برحلة استطلاعية فى مجموعة من ضمن أفرادها دالماس وبيندريل وكاسباروس وكادار. ولما تجولوا فى الجانب الشرقى للجلف الكبير عثروا على وديان ثلاثة هى «عبد الملك» و«حمرة» و«طلح»، فيها بعض الماء وبعض الخضرة وادعوا أنها زرزورة. ولكن لم يتفق معهم أحد من الرحالة والمستكشفين على أن هذه الوديان الثلاثة هى الواحة المفقودة «زرزورة» الأسطورة.

زيارة الإسكندر المقدونى لسيوة:

(123) من المؤكد تاريخيا أن سيوة كانت ضمن الأراضى المصرية منذ زمن رمسيس الثالث من الأسرة الـ 19 وظلت كذلك حتى الآن ومن ضمن أسباب شهرتها معبد آمون الذى كان يحفل بكهنته وكان يزوره القادة للاستشارة فى الأمور الهامة وللتبرك. (95) وقد دخل القائد المقدونى الإسكندر منف عاصمة مصر دون مقاومة إذ أعلن المسئول الفارسى عن حكم مصر وقتئذ ولاءه للإسكندر كما رحب به المصريون وأعلنوه ملكا على مصر. ومن موقعه الملكى والدينى قرر الإسكندر أن يقوم بزيارة سريعة لمعبد سيوة لاستشارة كهنته.

(123) اصطحب الإسكندر فى رحلته عدداً محدوداً من المرافقين، وكان طريقه على ساحل البحر المتوسط بدءا من غرب البلدة الساحلية التى قرر إنشاءها والتى سميت «الإسكندرية» فيما بعد، إلى أن وصل إلى بلدة «مرسى مطروح»، ومن هناك اخترق الصحراء إلى سيوة وأتم الاستشارة وقفل راجعاً من نفس الطريق واستغرقت تلك الرحلة السريعة أياما معدودة، وبرغم قصرها فقد سجلت فى التاريخ حدثا له أهميته الروحية للإسكندر.

(95) وظلت لمعبد سيوة شهرة مستمرة طوال حكم البطالمة لمصر ثم خلال جزء من الحكم الرومانى لمصر وذلك طوال استمرار عبادة آمون، وكان تاريخ آخر

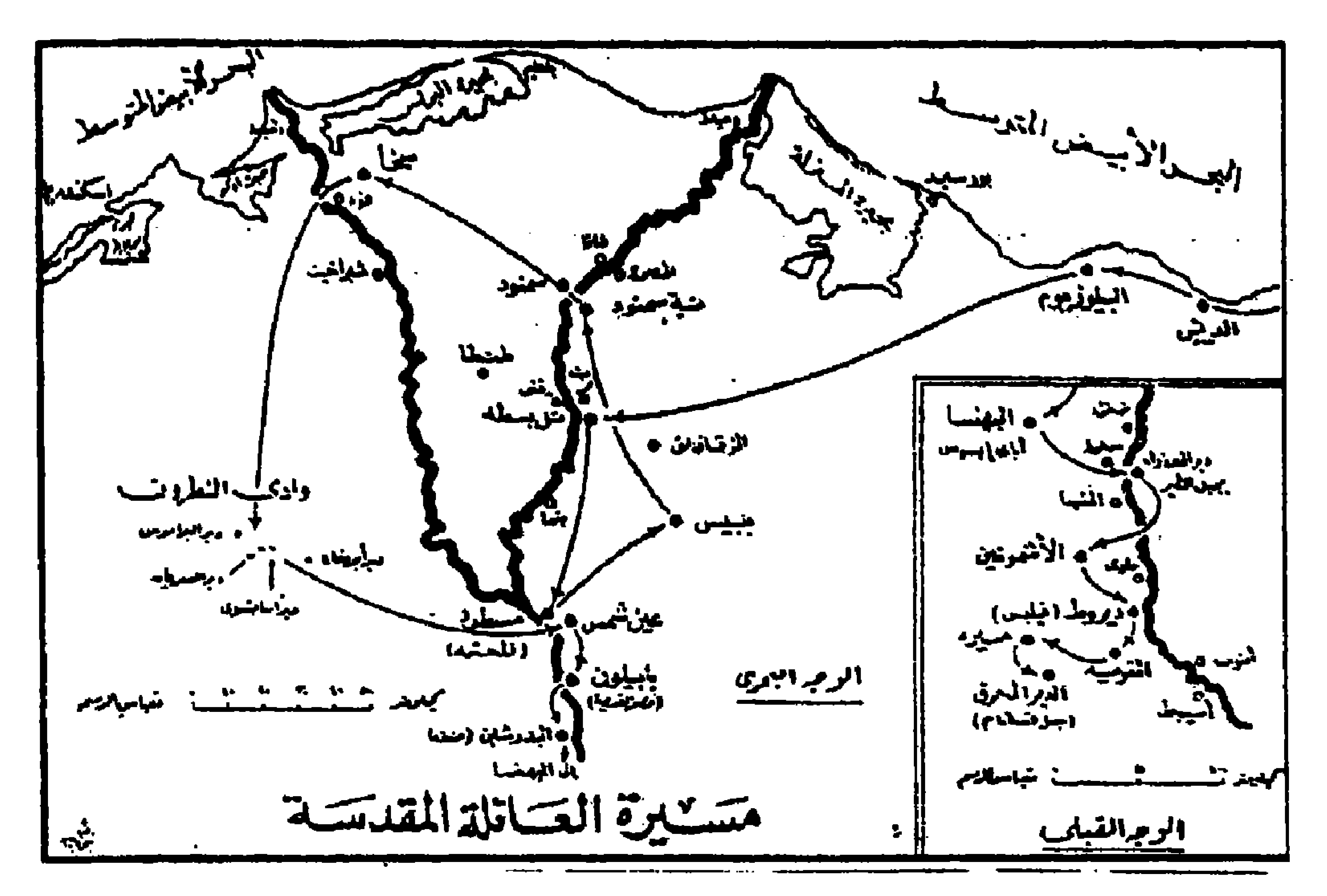
زيارة لها من القادة الرومان حوالى 160 ميلادية. بعد ذلك اختفت عبادة آمون وبالتالى تقلصت أهمية سيوة دينياً.

بعض أديرة الصحراء الغربية:

حسب ما تواتر عن السيرة العطرة للعائلة المقدسة، أنها لجأت إلى مصر بعداً عن بطش الملك «هيرودس» حاكم اليهودية واتخذت طريقها من شمال سيناء إلى دلتا النيل وزارت «تل بسطة» و«منية سمنود» ثم عبرت النهر إلى غرب الدلتا ورأت من بعيد جبل النطرون الذى باركته السيدة العذراء، ذلك أنها استطاعت رؤية صحراء «اسقيط» من مدينة «طرانة» الواقعة جنوب غرب رشيد والتى تبعد حوالى أربعين كيلو مترا عن الموقع الذى شيد فيه فيما بعد دير أنبا مقار. هذه المعلومة نقلا عن كتاب باسم The Holy Family in Egypt صدر عام 1986 لمؤلفه Ott Meinardus.

(45) وقد بدأت تعاليم السيد المسيح عليه السلام تظهر بإقليم الجليل فى فلسطين عام 26 ميلادية خلال حكم الإمبراطور الرومانى تيبيريوس 14-37 م. ويكاد يجمع المؤرخون ومنهم «يوسابيوس» فى القرن الرابع الميلادى على أن القديس «مرقس الإنجيلى» هو أول من بشر بالدين المسيحى دينا جديدا فى مصر خلال القرن الأول الميلادى، وهو أحد السبعين رسولا الذين تفرقوا فى أنحاء البلاد للدعوة للدين الجديد، وقد قتل الشهيد مرقس الرسول بعد أن ظل يبشر فى الإسكندرية منذ عام 61 ميلادية.

ومنذ أن بدأت الجهود التبشيرية فى مصر تعرضت للاضطهاد وخاصة خلال عهود الأباطرة الرومانيين: «سبتيموس سفيروس» عام 202 ميلادية، و «دكيوس» عام 250 ميلادية، و«دقلديانوس» عام 284 ميلادية. وقد جعل المسيحيون المصريون من سنة 284 ميلادية بداية لتقويم جديد هو التقويم القبطى أو «تقويم الشهداء». (68) وفى عام 303 اغتيل الإمبراطور دقلديانوس، وفى عامى 311 و313 صدر مرسومان حددا نهاية الاضطهاد الدينى. ومع انتشار المسيحية بين المصريين ظهرت «الحركة الديرية» والرهبانية.



خريطة توضح مسار رحلة العائلة المقدسة إلى مصر

[نقلاً عن: أنبا إغريغوريوس، دير المحرق]

وقد نشأت التجمعات الرهبـانية فى بدايتها بنظام «القلالى» (جمع قلاية) أى الصومعة المنفردة. وكانت القلالى المتواضعة تتكون إما من مغارات طبيعية أو ملاجئ من أشد النوعيات بدائية. وقد أرخ لتاريخ الرهبنة والأديرة فى مصر طائفة من رجال الدين ومنهم أبو صالح الأرمنى الذى له موسوعة عن «كنائس وأديرة مصر». كذلك ساويرس بن المقفع فى القرن السادس عشر الميلادى الذى ألف كتاب «تاريخ البطاركة».

أديرة نيتريا وكيليا:

تجمع أديرة نيتريا وكيليا كان فى وقتها ثانى أكبر تجمع رهبانى فى العالم. يقع تجمع نيتريا وكيليا فى المنطقة الصحراوية بين مدينة دمنهور ومدينة السادات.

أقام الأب «آمون» حوالى عام 325 ميلادية التجمع الرهبانى فى نيتريا (ربما يكون موقعها فى موقع طرانات البحيرة). وبعد عشر سنوات أقام الأب آمون التجمع الرهبانى فى كيليا (موقعها بين نيتريا وصحراء الإسقيط بجانب وادى النطرون) لاستيعاب أعداد الرهبان المتزايدة. وقد بنيت كنائسها جميعا بالطوب الرملى، وقد تهدمت ولم يبق منها إلا أطلال (46).

أديرة وادى النطرون:

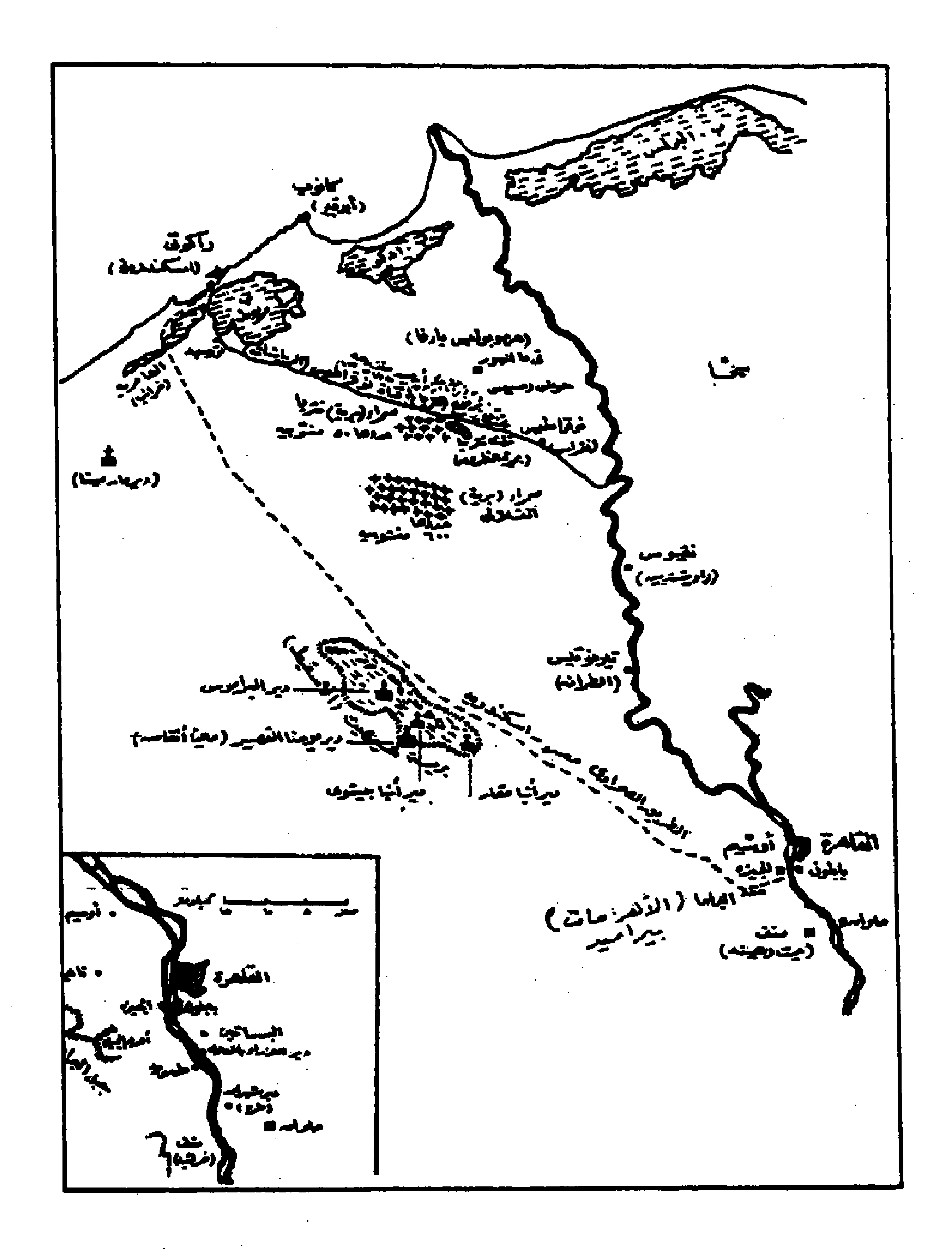
(125) عرف منخفض وادى النطرون قديما ببعض الأسماء منها: Scetis ، Shihet, Scitiam, Scythis ويفخر منخفض وادى النظرون بوجود أديرة أربعة طبقت شهرتها الآفاق: أبو مقار والبراموس والأنبا بيشوى والسريان. ويقع دير الأنبا بيشوى ودير السريان قريبين من بعضهما كما يبعدان عن دير الأنبا مقار مسافة 16 كيلو متر، ويبعد دير البراموس عنها مسافة 9 كيلومترات إلى الشمال الغربى.

(45) بدأ القديس «مقاريوس» حياة الرهبنة هنا حوالى عام 330 ميلادية وبسرعة مذهلة امتلأت هذه الصحراء بالصوامع (نقلا عن Bonnel, Hasson فى كتاب Egypt الصادر فى باريس عام 1982)، ثم بقى منها فى عهد المؤرخ المقريزى فى القرن الخامس عشر سبعة أديرة وما زال منها أربعة أديرة عامرة. وبجانب ما كتبه المؤرخون المسيحيون، فإن عددا من المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين قد كتبوا أيضا عن وادى النطرون وأديرته ومنهم:

* ابن مماتي (المتوفى 606 هـ/ 1209 م) فى كتاب «قوانين الدواوين».

* ابن دقماق (المتوفى 790/ 1388) فى كتاب «الانتصار لواسطة عقد الأمصار».

* ابن الجيعان (المتوفى 800/ 1388) فى كتاب «التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية».



خريطة توضح موقع الأديرة الأربعة العامرة بوادي النطرون، وتوضح موقع نتريا - كيليا - الطرانة

[نقلاً عن: «متى المسكين»]

* القلقشندى (المتوفى 821/1418) فى كتاب «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا».

* المقريزى (المتوفى 845/1442) فى كتاب «المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار».

وفى العصر الحديث تناول نفس الموضوع عدد من المؤرخين، منهم «على مبارك» فى كتابه «الخطط التوفيقية». كما اهتم الأمير عمر طوسون بإجراء دراسات (121). ففى خلال عامى 1930 و 1931 قام الأمير عمر طوسون وبصحبته اثنان من العلماء بزيارة وادى النطرون وأديرته، وأعدوا دراسة قسموا بها تاريخ هذه الأديرة إلى عشر مراحل، وكانت توجد بالمنخفض فى كل مرحلة أديرة بالأسماء الآتية:

* المرحلة الأولى: (565–605) أبو مقار وبيشوى وجون القصير والبراموس.

* المرحلة الثانية: (859–881) أبو مقار وبيشوى وجون القصير والبراموس وعذراء البراموس وجون Kame والسريان.

* المرحلة الثالثة: (1017) أبو مقار وبيشوى وجون القصير والبراموس وعذراء البراموس وجون Kame والسريان.

* المرحلة الرابعة: (1209) أبو مقار وبيشوى وجون القصير والبراموس وعذراء البراموس وجون Kame والسريان والأنبا أرسانيوس.

* المرحلة الخامسة: (1330) أبو مقار وبيشوى وجون القصير والبراموس وعذراء البراموس وجون Kame والسريان.

* المرحلة السادسة: (1347) أبو مقار وبيشوى وجون القصير والبراموس وعذراء البراموس وجون Kame والسريان والأنبا نوب «والأحباش والأرمينيين.

* المرحلة السابعة: (1440) أبو مقار وبيشوى وجون القصير والبراموس وعذراء البراموس وجون Kame والسريان.

* المرحلة الثامنة: (1482) أبو مقار وبيشوى وجون القصير والبراموس وعذراء البراموس وجون Kame والسريان.

* المرحلة التاسعة: (1672) أبو مقار وبيشوى وجون القصير والبراموس وعذراء البراموس والسريان.

* المرحلة العاشرة: (1672) أبو مقار وبيشوى وعذراء البراموس والسريان.

وفي دراسة «الأمير عمر طوسون» حصل على تقدير لمساحة كل دير (1931):

* أبو مقار: 1 فدان و 21 قيراط و 6 أسهم.

* الأنبا بيشوى: 2 فدان و 16 قيراط و 14 سهم.

* السريان: 1 فدان و 16 قيراط.

* البراموس: 2 فدان و 13 قيراط.

(108) وقد رصت إحصائية لعدد الرهبان في أديرة وادى النطرون خلال بطريركية الأنبا «أخريستودولوس» (1047-1077) فكانت:

أبو مقار	400 راهب
الأنبا بيشوى	40
القديس يوحنا القصير	150
القديس يوحنا	25
البراموس (العذراء)	60
البراموس	2
السريان	60
الإجمالى:	737 راهب

ورصدت إحصائية عامى 1960 و 1986 لعدد الرهبان فى أديرة الصحراء الغربية والشرقية فأعطت النتائج الآتية:

الدير	عام 1960	عام 1986
البراموس	20	83
أبو مقار	12	105
الأنبا بيشوى	12	115
السريان	28	55
الأنبا صموئيل	20	46
الأنبا أنطونيوس	24	69
الأنبا بولا	22	40

ومن زوار أديرة وادى النطرون البارزين فى القرون الوسطى الملك الناصر محمد بن قلاوون فى القرن الرابع عشر الميلادى وكان بصحبته ابن فضل الله العمرى العالم الجغرافى الذى وصف تلك الزيارة فى كتابه «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار». كما مر بوادى النطرون عام 1765 الرحالة الورتلانى الحسين بن محمد السعيد فى طريقه من المغرب إلى مكة للحج وأعطى له اسما «وادى الرهبان» ورأى الزراعة التى كان يرعاها الرهبان وأن الماء متوفر للحياة وللزراعة. وفى طريق عودته بعد عامين مر بها وأعجبه كرم الرهبان، وذكر هذه المشاهدات فى كتابه «نزهة الأنظار فى علم التاريخ والأخبار». وزارها فى يناير 1799 أحد قواد الحملة الفرنسية وهو المهندس الجنرال أندريوس ولاحظ وجود علاقة ودية بين الرهبان وبدو المنطقة. وفى عام 1820 فى عهد محمد على مر بوادى النطرون جيش قوامه 1300 رجل بقيادة حسين بك الشماشرجى فى طريقه إلى واحة سيوة عن طريق واحدة «الجارة».

ومما يذكر أنه خلال أوائل القرن العشرين أشرف مرقس سميكة على فهرسة كل المخطوطات الموجودة بالأديرة الأربعة وأتم هذا العمل عام 1929 وكان عملاً

عظيما جليلاً للحفاظ على هذا التراث. إذ أنه منذ القرن السابع عشر نشط الأجانب من جامعى الوثائق الخطية على الحصول على ما يمكنهم الحصول عليه من مقتنيات الأديرة الأربعة، وكان الفرنسيون أكثرهم إصراراً يليهم الإيطاليون. فوقف حصر المقتنيات حائلاً دون الاستمرار فى استنزاف هذه الكنوز.

دير البراموس:

هو أقدم الأديرة فى وادى النطرون وقد كان يعرف باسم «الدير الرومانى» لارتباط الدير بقصة رهبنة شقيقين هما الأمير ماكسيموس والأمير ديميتيوس من أقرباء القيصر الرومانى فالينتنيان. فقد اتخذ كل من الأميرين لنفسه منعزلاً للإقامة والتعبد فى الموقع الذى أصبح دير البراموس، وبقيا هناك حتى وفاتهما ودفنا فى عين المكان. وتجمع عدد من الرهبان حوالى عام 340 واستقروا فى هذا المكان الذى عرف باسم دير البراموس. وخلال القرن الحادى عشر بنى سور حول هذا الدير كما بنيت أسوار حول الأديرة الأخرى بوادى النطرون.

ومن زوار الدير القدامى قنصل فرنسا فى مصر عام 1638 وأسماه الدير الرابع. وعندما زاره الجنرال أندريوس فى يناير 1799 ذكر أن بالدير تسع رهبان فقط، وفى عام 1842 زاره سير جاردنر ويلكوكس وذكر أن رهبان الدير سبعة، وزاد عدد الرهبان إلى 25 راهبا عام 1883 ثم زاد إلى 35 راهبا عام 1937. وفى عام 1949 استرعى انتباه أحد زائرى الدير وجود راهب أثيوبى اعتزل العالم فى صومعته منذ 14 عاما للتفرغ للعبادة ولم يكلم أحدا وكانت صومعته أحد الكهوف على بعد 4.5 كيلو متر إلى الغرب من الدير. ويذكر لهذا الراهب وهو أبونا عبد المسيح الحبشى أنه قضى 35 عاما يسكن صومعته من عام 1935 إلى أن مات عام 1970.

دير أبو مقار:

يرتبط هذا الدير بحياة القديس مكاريوس (مقار) وهو أحد تلاميذ الأنبا أنطونيوس المدفون فى الدير القائم فى سفح جبل الجلالة القبلية بشمال الصحراء

الشرقية. وكان مولد القديس مقار حوالى عام 300 وكانت وفاته فى سن التسعين وقد دفن فى أحد كهوف المنخفض. وبعد فترة من وفاته حضر بعض أهالى مسقط رأسه وأخذوا رفاته ودفنوها عندهم وبنوا عليها كنيسة. وبقيت رفاته هناك حوالى 170 عاما قبل أن ترجع لمدفنها الحالى فى مكان الدير.

وقد نال هذا الدير أول شرف عظيم له فى منتصف القرن السادس حينما اتخذه بطريرك الكنيسة المرقسية بابا الإسكندرية مقراً له. كما أنه عند وفاة البطريرك ميخائيل الثانى عام 851 دفن فى كنيسة الدير فزادها أهمية. وحينما افتتحت قناة السويس وأقيمت الاحتفالات عام 1869 دعى لحضور الاحتفالات الأنبا ديميتريوس الثانى وهو بطريرك الكنيسة المرقسية رقم 111 وكان من رهبان دير الأنبا مقار. ويذكر أنه قد تولى البطريركية 29 راهب من دير أبو مقار (حتى عام 1985). ومن الأحوال الحديثة للدير، أنه عام 1969 أمر البطريرك الأنبا كيرلس السادس أن يترك أبو متى المسكين ورفاقه الاثنى عشر إقامتهم فى صحراء وادى الريان جنوب الفيوم حيث سكنوا حوالى عشر سنوات وأن ينضموا إلى زملائهم الرهبان فى دير الأنبا مقار.

دير الأنبا بيشوى:

لما قرر الأب بيشوى حياة الرهبنة قصد منخفض وادى النطرون وانضم إلى الراهب الأنبا يوهانيس (القديس جون القصير) الذى كان يعيش حياة الوحدانية منذ عدة سنوات. وبعد فترة فضل الأنبا يوهانيس أن يستقل الراهب بيشوى بمفرده فى موقع آخر فانتقل إلى موضع الدير الحالى. وفى عام 407 سافر الأنبا بيشوى إلى صحراء الفيوم وتوفى بعد وصوله بثلاثة أشهر. وقد ازدهر الدير وزاد عدد رهبانه على مدى العقود التالية.

واشتهر الدير بكنوزه مما اقتناه الرهبان من مخطوطات فصارت للدير مكتبة خاصة عامرة ومقصداً للزوار. وحدث فى نوفمبر عام 1875 أن قصد زيارة الدير الرحالة الألمانى «ويلهلم جونكرز» وذكر أنه لما دق على باب الدير مستأذنا للدخول

رفض الرهبان إدخاله، واتضح أن السبب هو ما سبق لبعض الزوار الأوروبيين أن سرقوا من مكتبة الدير عدداً من المخطوطات.

وقد أكد أحد زائرى الدير عام 1881 أنه هو الأكبر بين الأديرة الأربعة وأن ماءه هو الأحسن وهذا ما أيده الزوار عام 1905 باختبارهم ماء المضخة التى كانت ترفع الماء الجوفى من البئر التابع للدير. ومما زاد من شهرة هذا الدير أن البابا شنودة الثالث ظل مبعداً من السلطات المصرية ومقيماً بهذا الدير من سبتمبر 1981 حتى يناير 1985.

دير السريان:

يرتبط اسم هذا الدير بسيرة القديس جون Kame الذى مات عام 855 بعد أن تجمع حوله عدد من الرهبان وأقاموا لهم ديراً وكان بعض هؤلاء الرهبان من أصول سورية، ثم انضم إليهم رهبان من منطقة تكريت شمال العراق مع بداية القرن التاسع. ويذكر أنه فى عام 914 ذهب الراهب المسئول عن الدير إلى بغداد ممثلا لرهبان صحارى مصر طالبا من الخليفة العباسى المقتدر بالله (908-932) إعفاء الأديرة من الضرائب. ومع نهاية القرن الخامس عشر زار بطريرك أنطاكيا (وهى تقع فى شمال سوريا) الدير وكان بها من الرهبان من أهل سوريا أجيال منذ ثلاثمائة عام وهم اليعقوبيون. وفى أوائل القرن السادس عشر كان للرهبان من أصل مصرى وجود بالدير وبدأ الوجود السورى يقل تدريجيا. وقد رأى زوار الدير عام 1657 كنيستين بالدير واحدة للأقباط المصريين والأخرى للسوريين. ومن مقتنيات الدير بعض مصنوعات أثيوبية مما يشير إلى سابق وجود رهبان أثيوبيين. وممن زار الدير خلال القرن التاسع عشر لورد كيرزن البريطانى عام 1837 الذى حصل من مقتنيات الدير على قاموس باللغتين القبطية والعربية، وممن لهم أياد بيضاء فى تعمير الدير القمص مكسيموس صليب الذى تولى مسئولية الدير طوال 44 عاما (1895-1939). وقد زار الدير عالم الفنون والآثار العربية «كريزويل» الذى لاحظ أن شكل الدير يوحى بشكل مركب نوح. كما لاحظ أن نقوش

حوائط كنيسة الدير قد اتخذت الطابع الطولونى وربط هذا برحلة الأنبا رئيس الدير لبغداد عام 914 وأنه تبنى الانطباع الطولونى الذى مصدره سامراء العراق.

بعض أديرة حافة صحراء الصعيد:

تزهو مناطق الصعيد بوفرة الأديرة ومنها مـا يقع على حافة الصحراء الغربية من هذه الأديرة نذكر: دير جـبل القلمون، دير الأنبا صموئيـل فى صحراء جنوب الفيوم، دير المحرق على حافة الصحراء قرب القوصية، دير درنكة على حافة جبل اسطبل عنتر جنوب أسيـوط بعشرة كيلو متـرات، دير الأنبا شنودة (الدير الأبيض) على حافة الصحـراء خمسة كيلومترات غرب سوهاج، دير الأنبـا توما على حافة الصحراء عند عرب بنى واصل (ساقلتـه العرب)، دير الملاك ميخائيل (الهواويس) على حافة الجبل عند إخـميم، دير الملاك ميخائيل غرب طيبـة بين نقادة وكامولة، دير مار جرجس جنوب غرب أرمنت، دير الأنبا باخوم غرب إدفو.

دير الأنبا صموئيل (دير جبل القلمون):

كانت الصحـارى المحيطة بجنوب الفيوم ملاذا لأفراد من الرهبـان المتوحدين منذ نهاية القـرن الثالث. وفى القرن الخـامس كان جبل القلمـون سكنى لعدد من الرهبان انفراديا وفى مجـموعات يضمهم مبنى الدير. وقـد كانت أول أديرة الفيوم دير «نقلون» الذى يقع على مسافة 15 كيلو متر جنوب مدينة الفـيوم الحالية. وقد جاء ذكر هذا الدير فى كتاب أبو صـالح الأرمنى وفى كتاب المقريزى. ثم نشأ دير جبل القلمون الذى استحوذ تدريجيا على مزيد من إقامة الرهبان به حتى هجر دير نقلون كلية وتوجد بعض الكهوف حول دير جبل القلمون أهمها الكهف الذى كان يلجأ إليـه الأنبا صمـوئيل عام 598 وأخذ الثقـافة الكهنوتية فى وادى النطرون ثم انتقل لدير القلمون وعاش بها 57 عاما ومات بها.

(68) يقول أحـمد فخـرى أن الدير هُجر لمدة حوالـى ثلاثة قرون بدءا من القرن السابع عشر، وحينما مر بالدير من الزائرين كايو عام 1819، وويلكنش عام 1835، وشوينفروث عام 1886 كان الدير غير مسكون، ولما زاره بيدنل عام 1899

شاهد بداية تعميره. وفى عام 1930 زار الدير دوق ساكسونى (ألمانيا) بالسيارة ولم يتمكن من الوصول بالسيارة حتى باب الدير فسار على قـدميه بضعة كيلو مترات، وذكر أنه كان بالدير سبع رهبان. ولما زار أحـمد فخرى الدير عامى 1942 و 1944 كان بالدير أربع رهبان.

ويذكر أنه فى الأربعينيـات من القرن العشرين عـاش فى هذا الدير فترة من الزمن أحد الرهـبان الذى وصل إلى كرسى بابـوية الكرازة المرقسيـة وهو البطريرك كيرلس السادس. كما عاش بها أيضا فترة خلال الثمانينيات الأب متى المسكين.

السنوسية وصحراء مصر الغربية:

نشأة السنوسية:

ولد محمد بن على السنوسى (السنوسى الكبيـر) فى بلدة مستغانم بالساحل الغربى للجزائر عام 1787م (1202 هـ) وتلقى تعليمه الدينى فى القيروان (تونس) ثم فى فاس (المغـرب). وأصبح عالما مـتبحـراً فى العلوم الدينية وداعـية إسلامـيًا متصوفا ينادى بإقامـة «خلوات» أو «زوايا» للتعبد والدراسة والتدريس (23) ورحل إلى أرض الحجاز وطاف بهـا وبأرجاء عسير بصـفة خاصة وتأثر بالتـعاليم الوهابية التى انتشرت دعوتهـا وقتئذ. وفى عام 1837 أقام أول «زاوية» فى «بوقبيس» وهى إحـدى ضواحى مكة المكرمـة ثم انتقل إلـى برقة مـارا بالقاهرة. وفى طريقـه من القاهرة إلى برقة توقف فى واحدة سـيوة وكان ذلك عام 1841 وفيها أسس زاوية وقام بالتـدريس فيـها طوال إقامـته مدة عـدة شهور، وهذه هى أقـدم الزوايا التى أسسها في القارة الأفريقية. وفى برقة أسس زاوية كبيرة فى الجبل الأخضر بالقرب من درنة عام 1843 (1258 هـ) ودعـاها الزاوية البيـضاء، وانتـشرت الدعـوة فى المناطق الداخلـية مـن طرابلس وترسـخت «الجـمـاعـة السنوسـيـة» أو «الطريقـة السنوسيـة». وفى سنة 1856م (1270هـ) أسس فى جـغبـوب زاويته التى كـانت جامعة دينية كبيرة واتخذها قاعدة لنشر تعاليمه (95).

(21) ولقيت الطريقة السنوسية انتشارا بين البدو فى برقة وفزان وطرابلس وبين بدو الصحراء الغربية المصرية والغرب السودانى، بل امتدت الدعوة إلى أواسط أفريقيا فى واداى وتيبستى وبورنو وكانم. ومنذ بداية الدعوة السنوسية تقبل حاكم واداى تعاليمها وراح يعمل لنشر الإسلام وظهر تأثير ذلك عند منتصف الثمانينيات من القرن التاسع عشر حين اعتنق سكان إينيدى الإسلام.

(94) وتوفى السنوسى الكبير فى سبتمبر 1859 (1279هـ) ودفن فى زاويته بالجغبوب. وفى وقت وفاته كانت قد نشأت من الزوايا السنوسية 38 زاوية فى برقة و 18 زاوية فى طرابلس و 20 زاوية على ساحل الصحراء الغربية المصرية وواحاتها.

(21) وتضم الزاوية (بمفهومها الذى أقيمت من أجله) سكنا للشيخ ومبانى لنائب الشيخ وللمعلم أو المعلمين ومبانى للمدرسة وللوافدين. وعادة ما كان يتبع الزاوية أراضى مزروعة تكون «وقفا» لأتباع الشيخ. وكانت جماعة الزاوية تعيش فى العادة من كسب يدها، إلا أن القبائل كانت تقدم لها المساعدات دون مقابل. ومع الزمن تحولت زوايا السنوسية التى ظهرت فى البداية مراكز دينية إلى مستوطنات زراعية ومراكز تجارية، حتى إن بعض الزوايا كانت لها موارد من تجارة العبيد إلى أن أصبحت محرمة دولياً.

زمن محمد المهدى السنوسى:

(123) بعد وفاة السنوسى الكبير خلفه ابنه محمد المهدى وكان عمره وقتئذ ستة عشر عاما وتولى الزعامة مدة 42 عاما إلى أن توفى عام 1902. وفى خلافته تنامى عدد الزوايا فوصل مجموعها إلى 146 زاوية موزعة فى أنحاء ليبيا (برقة، وطرابلس وفزان) وفى مصر (الواحات) وفى تشاد (السودان الفرنسى سابقا) وفى شبه الجزيرة العربية والسودان.

والتزم السنوسيون فى عهده بالحياد فى العلاقات خارج ليبيا، مثال ذلك رفضهم إقامة صلات مع رجال انتفاضة عرابى فى مصر أو مساعدة حركة المهدية فى السودان. وإمعانا فى الحياد وبعداً عن التقلبات نقل محمد المهدى مركز الدعوة جنوبا من الجغبوب إلى الكفرة عام 1895 ثم نقلها مرة أخرى إلى أقصى جنوب البلاد فى واحة «قرو» عام 1899. ومع الوقت تحولت زعامته السنوسية إلى نظام إقطاعى وراثى فكان يتمتع بصفته على رأس الطريقة بسلطة مطلقة دينية كما أضاف إليها سلطة قيادية دنيوية.

زمن أحمد الشريف السنوسى:

(92) حين توفى محمد المهدى عام 1902 لم يترك بين أولاده الذكور بالغاً فخلفه ابن أخيه أحمد الشريف فى الزعامة وصياً على محمد إدريس أكبر أبناء محمد المهدى وكان سنّه 12 عاماً. واستمرت مسئولية أحمد الشريف 14 عاما حتى سنة 1916 حين وصل سن محمد إدريس 26 عاما. وكان لأحمد الشريف ولاء كامل لتركيا فكان يرفع العلم التركى فى واحة الكفرة وفى واحة جغبوب. وقد حدث أثناء ولايته احتلال إيطاليا لأراضى ليبيا.

(21) ففى سنة 1907 أبرمت فرنسا وإيطاليا اتفاقية سرية لضمان عدم تدخل فرنسا فى حالة احتلال إيطاليا للأراضى الليبية. وقد بدأت مقدمة الغزو الإيطالى بمذكرة أرسلتها الحكومة الإيطالية فى 23 سبتمبر 1911 إلى الباب العالى العثمانى ادعت فيه أن الأوضاع فى طرابلس تهدد سلامة الرعايا الإيطاليين. (22) وأعقب ذلك مباشرة فى 4 أكتوبر 1911 أن ضرب الأسطول الملكى الإيطالى ميناءى طرابلس وطبرق بالمدفعية ثم أعقبه بدء الغزو الإيطالى البرى لليبيا. وقامت القوات التركية فى ليبيا بالمقاومة مع المتطوعين الليبيين. (20) وتطوع عزيز على المصرى فى صفوف المقاومة ووصل إلى بنغازى قادما من اليمن فى 11 نوفمبر 1911 فى ظروف غير مواتية وغير مساندة من جانب قوات الاحتلال البريطانى فى مصر. فقد رفض لورد كتشنر إرسال قوة عسكرية مصرية لمساعدة الأتراك كما رفض طلب

بعض ضباط الجيش المصرى التطوع فى صف الجيش التركى. (22) وعينت القيادة التركية عزيز المصرى قائداً لجبهة بنغازى، كما صدرت دعوة للجهاد بزعامة أحمد الشريف. وفى 5 نوفمبر 1911 أصدر ملك إيطاليا فيكتور عمانويل الثالث مرسوما أعلن فيه السيادة الكاملة والشاملة للمملكة الإيطالية على طرابلس وبرقة. وفى 16 أكتوبر 1912 أصدر سلطان تركيا فرمانا بمنح سكان طرابلس الغرب وبرقة استقلالاً داخلياً مطلقا. وفى 19 أكتوبر 1912 جرى توقيع معاهدة فى لوزان بسويسرا وفيها اعترفت الدول الأوروبية بسيادة إيطاليا على طرابلس وبرقة. وعلى الجانب الآخر أعطى أحمد الشريف لنفسه المسئولية وصارت كل المراسلات والوثائق تخرج من مركز الجماعة السنوسية ممهورة بختم «الحكومة السنوسية»، وأخذ أحمد الشريف القيادة الحربية المباشرة فى برقة فى مايو 1913. ثم حدث خلاف بين عزيز المصرى وأحمد الشريف وصدرت لعزيز المصرى أوامر من إسطنبول لمغادرة ليبيا فوصل الإسكندرية فى 16 يوليو 1913 ثم أبحر إلى إسطنبول.

ودخلت تركيا الحرب العالمية الأولى فى صف ألمانيا فى 11 نوفمبر 1914. وفى 18 ديسمبر 1914 أعلنت الخارجية البريطانية انفصال مصر عن تركيا ووضعها تحت الحماية البريطانية وأصبح ممثل بريطانيا فى مصر يحمل لقب «المندوب السامى» البريطانى فى مصر. (30) وانحازت إيطاليا إلى جانب بريطانيا والحلفاء فى مارس 1915. وكان للجيش المصرى وجود على طول الساحل الشمالى لمصر من الإسكندرية حتى سيدى برانى. وكان البريطانى «سيسل سنو» محافظا للصحراء الغربية فانسحب إلى مرسى مطروح بعيداً عن متطوعى السنوسية. (22) وكان اليوزباشى محمد صالح حرب على رأس قوة قوامها 120 رجلا مأمورا لمرسى مطروح، وفى مساء 25 نوفمبر 1915 أعلن الجهاد ضد الإنجليز متضامنا مع الأتراك وفى نفس الوقت احتلت السنوسية سيدى برانى وانضم صالح حرب للسنوسية فى السلوم. وقسم أحمد الشريف من كان تحت قيادته من المجاهدين إلى قسمين: القسم الأول فى شمال البلاد والقسم الثانى بقيادته ومعه صالح حرب، وتوجه هذا القسم إلى سيوة ثم البحرية ثم الفرافرة والداخلة وأمكنهم استمالة أهل هذه الواحات، وحاولوا استمالة أهل أسيوط والفيوم دون فائدة.

(30) وجردت القيادة البريطانية فى مصر حملة استردت من السنوسيين سيدى برانى فى 28 فبراير 1916 ثم استردت السلوم فى 14 مارس 1916. وتحركت قوات بريطانية من الخارجة والداخلة ومن غربى الفيوم ومن منخفض القطارة لمطاردة السنوسيين فانسحب صالح حرب وأحمد الشريف من سيوة إلى الجغبوب واستردت القوات البريطانية الداخلة والبحرية والفرافرة فى 1916 واستردت سيوة فى فبراير 1917. وفى أغسطس 1918 أرسلت تركيا تستدعى أحمد الشريف وصالح حرب إلى اسطنبول. وقد عاد صالح حرب إلى مصر بعد ذلك، وكانت له أدوار وطنية وتولى وزارة الحربية المصرية فترة من الزمن. أما أحمد شريف فقد انتقل من اسطنبول إلى الحجاز وأقام بها حتى توفى عام 1933. ومنذ ترك ليبيا عادت الزعامة لمحمد إدريس السنوسى.

زمن محمد إدريس السنوسى:

لم تكن تصرفات أحمد الشريف ترضى محمد إدريس الذى كان ميالاً لبريطانيا. وفى 14 إبريل 1917 حصل اتفاق بين محمد إدريس وبين الحكومة الإيطالية لتهدئة الأوضاع أقرت فيه بحقه فى إدارة شئون واحات «جالو» وأوجلة و«أجدابيا» و«الكفرة». (22) وفى نفس الوقت وقع محمد إدريس اتفاقا مع السلطات البريطانية فى مصر تنص على إعادة حرية التجارة بين مصر وليبيا (برقة) وتنص على منع إقامة زوايا سنوسية فى مصر وتعترف بواحة الجغبوب أرضا مصرية على أن تبقى إدارتها فى يد محمد إدريس وتنص على منع السنوسيين المسلحين من الوجود فى سيوة وجغبوب وغيرها من الأراضى المصرية.

لم تتوقف المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالى، ويذكر التاريخ للمجاهد عمر المختار دوره البطولى الذى انتهى بأسره فى 13 سبتمبر 1931 ثم محاكمته وإعدامه شنقا فى 17 سبتمبر 1931. أما محمد إدريس السنوسى فقد آثر اللجوء إلى مصر عام 1922 بعيداً عن أجواء المعارك. إلا أنه مع بداية الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر 1939، عقد الليبيون المقيمون فى مصر اجتماعا فى 20 أكتوبر 1939 فى الإسكندرية واتفقوا على تسليم القيادة العامة للنضال فى سبيل تحرير ليبيا إلى

محمد إدريس. ثم دخلت إيطاليا الحرب فى 10 يونيه 1940. وفى سبتمبر 1940 افتتح فى القاهرة مكتب لاستقبال متطوعى الشباب الليبى لتكوين قوة تساهم مع الحلفاء فى تحرير ليبيا. وتوالت أحداث الشمال الأفريقى، وإذ بليبيا قد تحررت كلها من القوات الإيطالية والألمانية فى 7 فبراير 1943. وفى صيف عام 1944 غادر محمد إدريسى مصر عائداً إلى ليبيا بعد 22 عاما من المهجر، وبقيت حقوق مصر بأن تعود لها واحة جغبوب دون استجابة. وفى أول يونيه 1949 أعلن محمد إدريس «برقة» دولة مستقلة، وفى 24 ديسمبر 1951 أعلن قيام المملكة الليبية الاتحادية وأعلن نفسه الملك إدريس الأول وكان عمره حوالى 61 عاما. وفى 25 إبريل عام 1963 قرر البرلمان الليبى إلغاء النظام الاتحادي وأعلن ليبيا دولة ملكية موحدة. وفى أول سبتمبر 1969 قامت «منظمة الضباط الوحدويين الاشتراكيين الأحرار» بدعم من الجيش الليبى بإسقاط الملكية وتولى العقيد معمر القذافى الرئاسة. وعاش السنوسى بقية حياته فى القاهرة ومات ودفن فيها.

الحرب العالمية الثانية ومعركة العلمين:

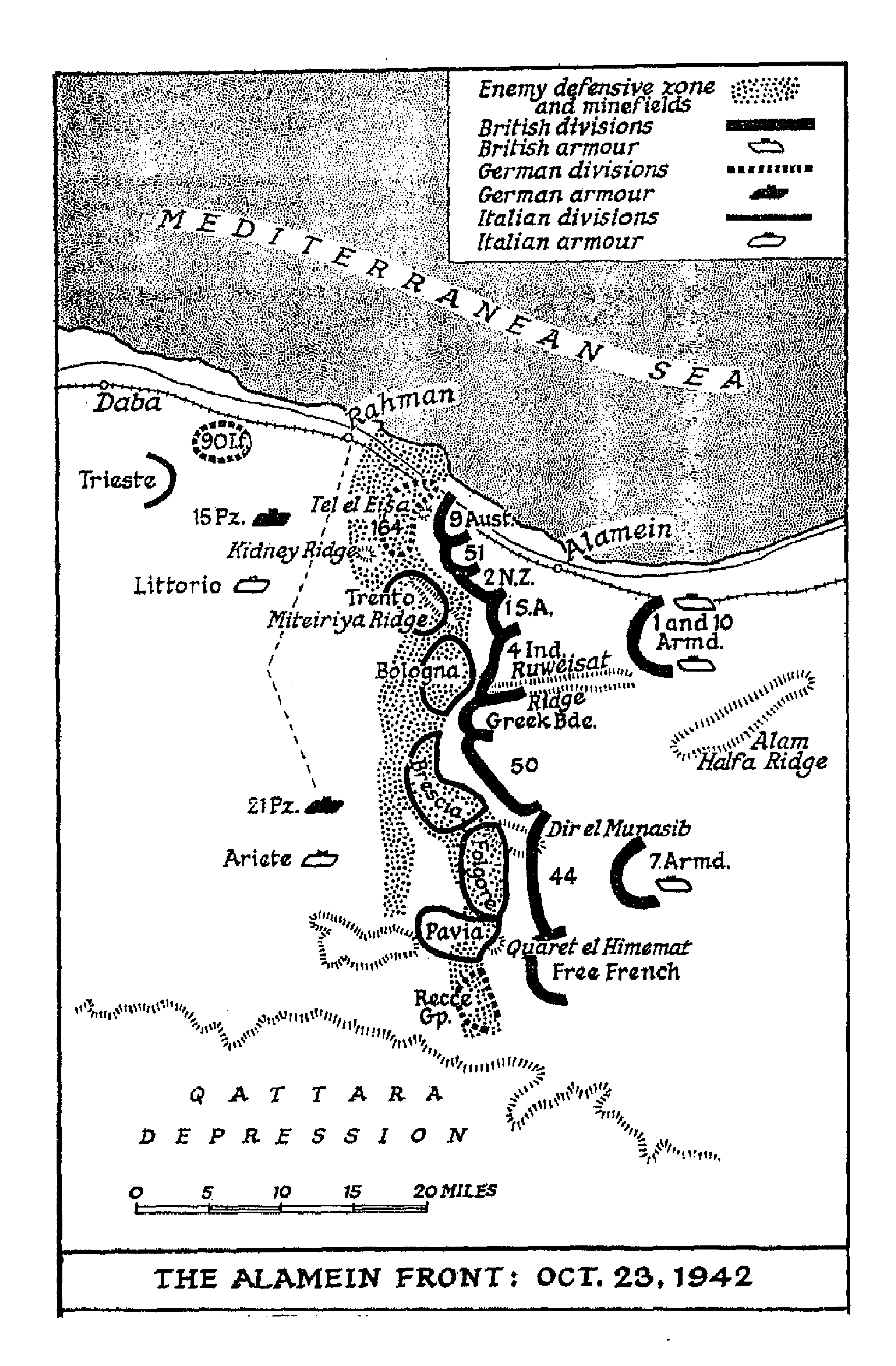
(85) كان الجيش الإيطالى قد قام باحتلال ليبيا عام 1911. وفى ظل الحكم الفاشيتى بقيادة بنيتو موسولينى تولدت نيات عدوانية تجاه الأراضى المصرية ودأبت الحكومة الإيطالية على إنشاء شبكة من الطرق فى الشمال الليبى ومنها طريق ساحلى يمتد من طرابلس حتى الحدود المصرية. وكما كان متوقعا فقد أعلنت إيطاليا الحرب على بريطانيا وحلفائها فى 10 يونيو 1940، وكانت لدى إيطاليا فى ليبيا قوات قوامها حوالى 215 ألفًا بينما كانت القوات البريطانية المرابطة فى مصر قوامها 50 ألفًا. وفى نهاية صيف 1940 ارتفع عدد القوات الإيطالية المرابطة فى ليبيا إلى قرابة ثلاثمائة ألف. وكان على رأس القوات الإيطالية الماريشال جرازيانى وكان على رأس القوات البريطانية الجنرال ارشيبالد ويفل.

وصحّت توقعات الغزو، ففى 13 سبتمبر 1940 تحرك الجيش الإيطالى من معسكرات كابوتزو إلى الحدود المصرية فاقتحمها ووصل إلى سيدى برانى فى 16

سبتمبر 1940 ثم توقف. (123) وفي فجر يوم 9 ديسمبر 1940 بدأ الجيش البريطاني وحلفاؤه هجومًا مضاداً فاسترد السلوم في 17 ديسمبر 1940 واستمر تقدمه في الأراضي الليبية إلى أن استولى على طبرق في 21 يناير 1914. وهنا لجأ موسوليني إلى حليفه هتلر الذي أرسل قوات ألمانية استطاعت استرداد الأرض الليبية وتوقفت عند الحدود المصرية في السلوم في مارس 1914. (85) وكان على رأس القوات الألمانية التي أرسلت للشمال الأفريقي قائد مميز هو «إيروين روميل» (ولد عام 1891) وقد أهلته خبرته العسكرية لأن يتولى قيادة القوات الألمانية بالشمال الأفريقي تحت القيادة الإيطالية ثم أعطيت له القيادة المطلقة الألمانية الإيطالية. وتحت قيادته أزاح قوات الحلفاء شرقا خارج حدود ليبيا في داخل الأراضي المصرية حتى موقع العلمين ثم توقف. (123) ويرجع اسم العلمين إلى وجود تللين متجاورين يشرفان على البحر (العلم هو التل الصغير). وفي العلمين حدثت المعركة الشهيرة التي حسمت وجود قوات المحور في الشمال الأفريقي بأكمله. وقد جرت المعركة في الأراضي المنبسطة بين ساحل البحر ومنخفض القطارة.

معركة العلمين:

(85) كانت قوات الحلفاء قد أعادت تنظيمها وأصبح على رأسها الجنرال ألكسندر الذي اختار لقيادة العمليات الجنرال مونتجومري. ووصل عدد جيش الحلفاء حوالي 200 ألف جندي ضم جنسيات مختلفة، من استراليا ونيوزيلندا والهند وجنوب أفريقيا وروديسيا واليونان وفرنسا. ودعم الحلفاء أسلحتهم وحشدوا 1200 طائرة للحماية الجوية والهجومية. وفي مساء يوم 23 أكتوبر 1942 بدأ هجوم الحلفاء وكان روميل في ألمانيا في تلك الأمسية ثم لحق سريعا بالمعركة. وأبلى مونتجوميري (قائد الجيش الثامن) بلاء حسنا سجله له التاريخ الحربي، وانهزم المحور (الإيطالي - الألماني) في أيام معدودة وبدأ التقهقر يوم 5 نوفمبر 1942، وكانت الخسائر البشرية للمعركة الضارية التي استمرت 12 يوما، 55 ألف جندي في صفوف المحور و 13.5 ألف في صفوف الحلفاء. وقد تخلفت عن معارك العلمين والشمال الأفريقي مشكلة لم تجد لها حلاً حتى الآن، ألا وهي وجود ملايين من الألغام والأجسام القابلة للانفجار في أرض المعركة وما حولها حتى الحدود الليبية.



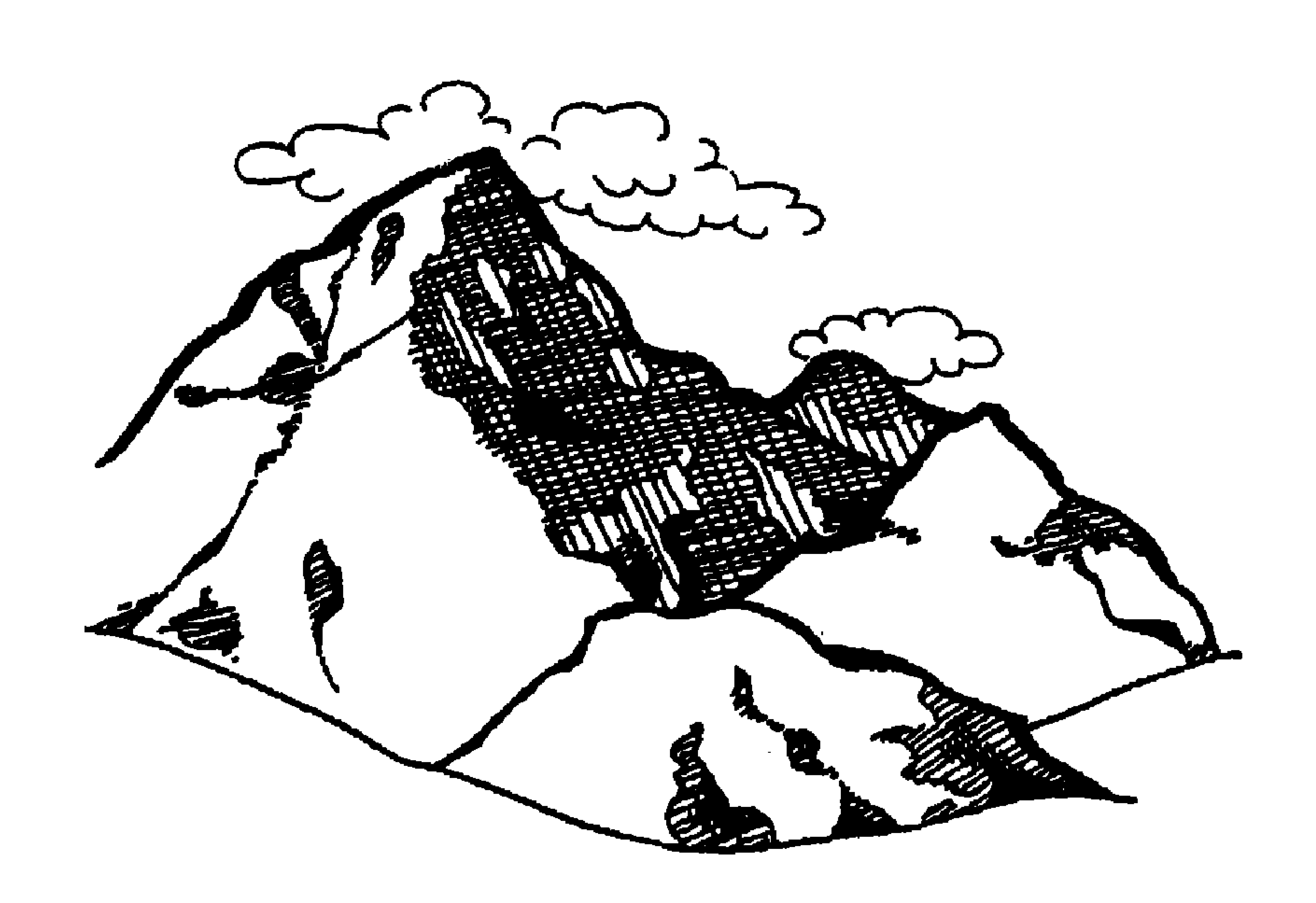
THE ALAMEIN FRONT: OCT. 23, 1942

معركة العلمين

(المصدر كتاب ونستون تشيرشل)

الفصل السادس

رجال ارتادوا الصحراء الغربية



بطاقات تعريف

(أ) من المستكشفين والباحثين

فريدريش هورنيمان:

(101) جـاء إلى القاهرة عـام 1797 للقـيام برحلة طويلة تنتـهى فى بورنو بنيجيريا. وصادف مـجيئه القاهرة غزو نابليون بونابرت لمصر، وقـد شجعه نابليون وزوده بالمال، وسافر هورنيمان متخـفيا فى زى مملوك مسلم باسم يوسف عبد الله ورافق قافلة كانت عائدة من الحج، وعبر الصحـراء الغربية المصرية مارا بسيوة إلى ليبيا.

(116) جيرهارد رولفس:

كان رولفس رحـالة ولم يكن عالما متـخصصـا. ولد عام 1831 ومات عام 1896، وقام بست رحلات أفريقية خلال الستـينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر منها رحلته فى الصحراء الغربية المصرية.

فى عام 1879 تزوج ابنة أخ الجيـولوجى الألمانى شوينفورث الذى كـان قد استقر فى مصر، وعن طريقـه وبواسطة قنصل ألمانيا فى مصر استطاع الوصول إلى دائرة الخديوى إسماعيل طالبا دعمه لعـمل رحلة بالصحراء الغربية المصرية وحصل على منحة من الخـديوى مقدارها ثمـانون ألف فرنك، بهذا المبلغ السـخى استطاع «رولفس» أن يجهـز حملة بمعـدات جيدة واسـتطاع الاتفاق مع ثلاثة مـن العلماء البارزين لاصطحـابه وهم الجيولـوجى «كارل فون زيتل» وعـالم النبات أشبـرسون وخبير هندسـة المساحة «ويليلهم جوردان» كما صحـبهم رسام هو «ريميلى». وكان هدف الحملة اختـراق الصحراء الغربية مـن صعيد مصر إلـى واحة الكفرة التى لم يكن موقعها محققا على الخرائط.

(101) غادرت البعـثة يوم 7 ديسمبر 1873 من الجيزة إلى أسـيوط بالقطار وهناك استكملت عناصر الحملة وكانت مكونة من مائة جمل برفقة 95 رجلاً منهم

عشـرة أوروبيون والباقـون من البدو. (95) ومن أسيـوط تحركت فى 18 ديسمـبر 1873 ووصلت الداخلة فى 7 يناير 1874 وهناك انقسـمت إلى ثلاث مجمـوعات فى اتجاهات مختلفة لاسـتكشاف الطريق غربا ثم التقت فى 2 فبراير 1874. وتبين لهم أن الطريق غرب الداخلة خـال تماما من النباتات فهى بذلك خـالية من المرعى اللازم للجمال. كـذلك تبين لهم أن المنطقة عبارة عن بحـر من الرمال على شكل غرود من كثبان رمليـة متتالية طويلة الامتداد يبلغ ارتفاع بعـضها ما يزيد عن مائة متر لذلك رأوا أنه لا يمكنهم السير بالقافلة غـربا واجتياز هذه الغرود للوصول إلى الكفرة فقرروا الاتجاه شمالا إلى واحة سيوة.

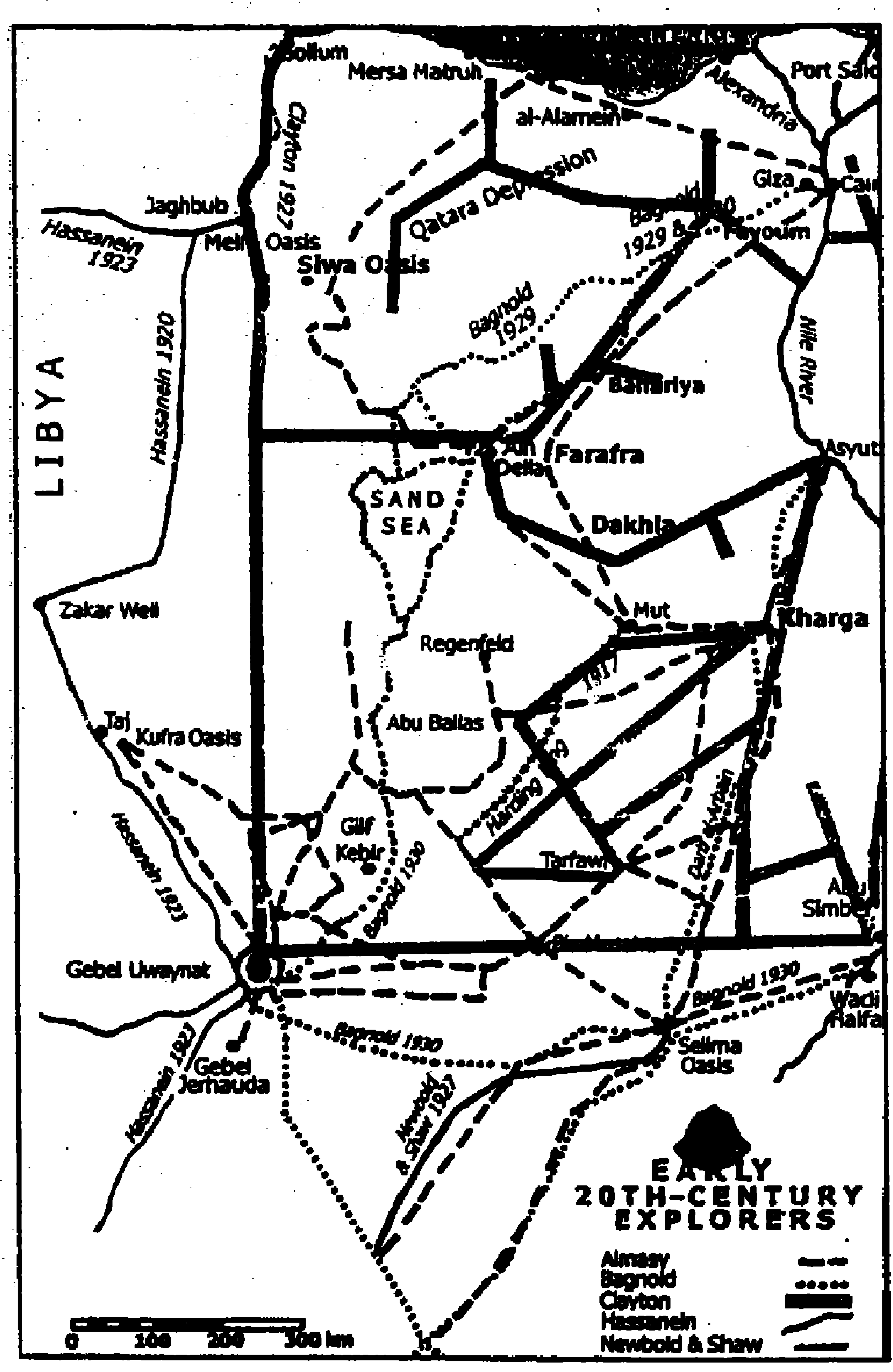
(96) وحـدث أن هطلت عليـهم أمطار غيـر معـتـادة فى هذا المكان بل إن الأمطار استمرت عدة أيام واحتفالا بهذا الحدث النادر أقاموا رجما من الأحجار فى الموقع وأسموه موقع المطر (بالألمانية ريجنفلد). وفى يوم 8 فبراير 1874 أثناء المسير شمالا عثرت البـعثة على تكوينات صخرية رسوبية غنية بحفـرية اسمها «أمونيت» وسموا الموقع «جبل أمونيت». وفى قرب الفرافـرة عثرت البعثة على كهف «جارة» وبه ظاهرة ستلكتـيت وستلجميت وسجلتـه على الخريطة. (43) ووصلت القافلة واحة سـيوة فى 20 فبـراير وغادرتهـا يوم 25 فبـراير فى طريق العودة عن طريق الخارجـة ووصلت القاهرة فى 15 إبريل 1874. وأظهرت الرحلة الصعـوبة البالغة فى اختراق بحر الرمال من شرقه لغربه، إلا أن الرحلة حققت نتائج علمية متعددة منها ما أضافه زيتل عن جيولوجية الصحراء الغربية وهو ما قام بنشره عام 1880.

ويلفريد براملى:

(101) فى أول ديسمـبر 1897 قاد قـافلة بادئا من القـاهرة إلى الفيـوم ثم البحرية ثم الفرافـرة ثم قصر الداخلة التى وصلها فى 26 ديسمبر 1897 ومن هناك حاول اخـتراق بحر الرمـال غربا فلم يفلح فعـاد إلى الفرافـرة ومنها إلى عين دلة فوصلها فى 11 يناير 1898 ثم وصل إلى مشارف سيـوة ثم اتجه للعودة عن طريق واحات جارة ومُغرة ثم وادى النطرون ووصل القاهرة فى 2 فبراير 1898.

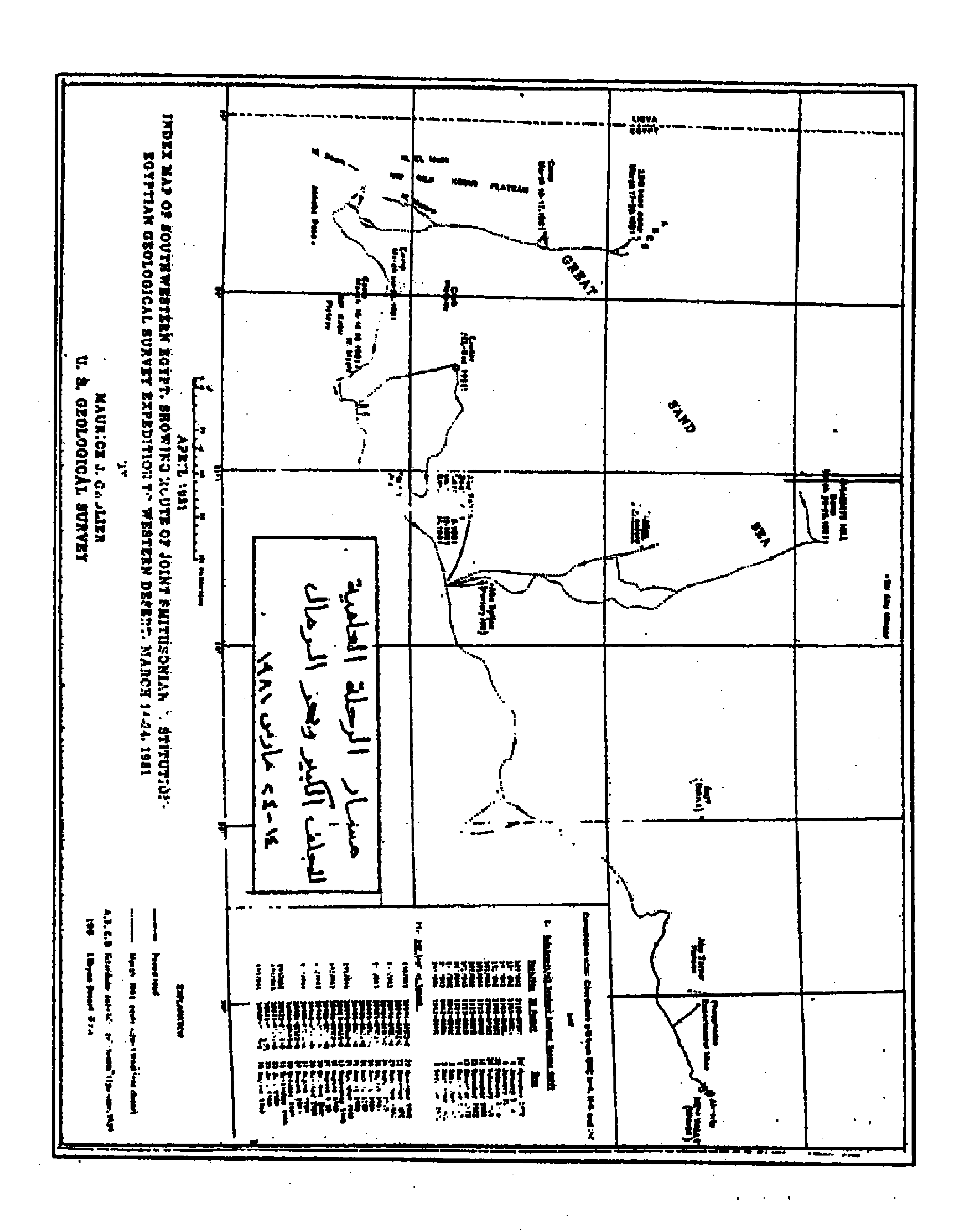
هاردنج كنج:

(101) حاول خلال عامي 1909 و1911 اختراق بحر الرمال من جنوب غرب الداخلة فلم يفلح، فسار جنوبا بحذاء الجانب الغربي لحافة بحر الرمال إلى أن وصل إلى المشارف الشرقية لهضبة الجلف الكبير فكان أول من وصل إليها.



مسار جولات رحالة الصحراء الغربية في النصف الأول من القرن العشرين

ألماسي - باجنولا - كالايتون - نيوبولد - أحمد حسنين



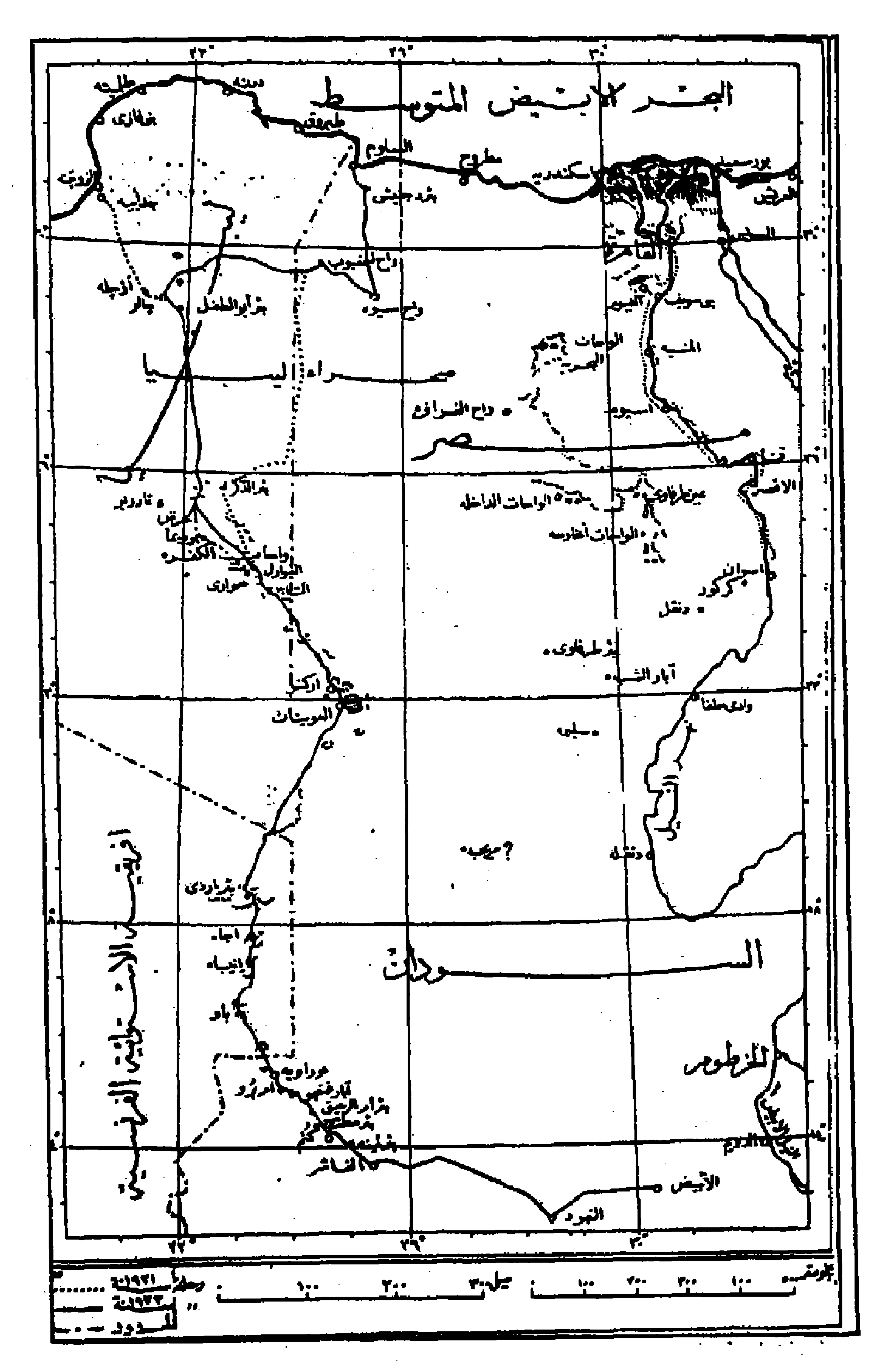
مسار الرحلة العلمية للجلف الكبير وبحر الرمال 14-24 مارس 1981

أحمد محمد حسنين:

(23) هو الرحالة المصرى الذى قطع مسافة حوالى 3500 كيلو متر سيراً على الأقدام وراكبا الجمل والجواد قاطعا الصحراء الليبية من السلوم إلى الأبيّض فى كردفان بالسودان، غادر السلوم فى 29 ديسمبر 1922 وانتهى فى الأبيّض فى 15 يوليو 1923.

كانت رحلته بتمويل من الحكومة المصرية بأمر من الملك أحمد فؤاد الأول. وقد وصف أحمد حسنين وصفا شيقا فى كتابه «فى صحراء ليبيا» الذى صدر فى جزئين تفاصيل الحياة البدوية التى عايشها وقوافل الجمال فى حلها وفى ترحالها. وكان مزوداً بأدوات للرصد وللمساحة وكان قد تدرب على استعمالها قبل بدء الرحلة. وقد تحاشى فى رحلته مشاكل بحر الرمال إذ أنه اتخذ له مساراً إلى الغرب من هذا البحر العنيد.

وصل أحمد حسنين السلوم يوم 21 ديسمبر 1922 للإعداد للرحلة وغادرها يوم 2 يناير 1923 متجهاً إلى سيوه ثم إلى جغبوب ثم إلى الكفرة فوصلها فى 3 إبريل. وهناك وجد صعوبة فى الحصول على جمال وعلى رجال تقبل اقتحام المجهول وتصاحبه لاكتشاف الواحتين المجهولتين المهجورتين «أركينو والعوينات»، وبعد تذليل الصعوبات تحرك فى 20 إبريل فوصل أركينو فى 24 إبريل ثم غادرها فى 28 إبريل إلى جبل العوينات. وقد تحقق من موقع كل من أركينو وجبل العوينات بتحديد خط الطول والعرض لكل منهما. وفى وقت زيارته للعوينات كان بها 150 فردا من قبيلة «جوران» التى تنتمى لقبائل «التيبو» الأفريقية. بعد ذلك سار إلى تشاد (إيريدى وعنيدى) ثم دخل الأراضى السودانية فى 30 يونيو 1923 وأنهى رحلته فى الأبيض عاصمة كردفان حيث ترك أحماله وركب القطار للخرطوم، وعاد إلى القاهرة فى أول أغسطس 1923. وكان أحمد حسنين قد جمع عينات من الصخور من بعض الأماكن التى زارها وخاصة جبل العوينات. وقد عرضها على هيوم ومون بالمساحة الجيولوجية وعهد إلى الجيولوجى نتتشيكوف بوصفها، وقد ضمن أحمد حسنين نتائج الاختبار فى كتابه.



خريطة صحراء ليبيا

مبين عليها الطرق التي سلكها في رحلاته [أحمد حسنين]

وقد لاقت رحلة أحمد حسنين ترحيبا فى مصر، وكرمته عدة جهات علمية وأدبية وسياسية. وفى إحدى حفلات التكريم التى أقيمت له فى كازينو سان استيفانو بالإسكندرية فى 27 أغسطس 1923، ألقى أمير الشعراء «أحمد شوقى» قصيدة جاء فيها:

أكبرت من (حسنين) همة طمحت

تروم ما لا يروم الفتية القُنعُ

رحالة الشرق إن البيد قد علمت

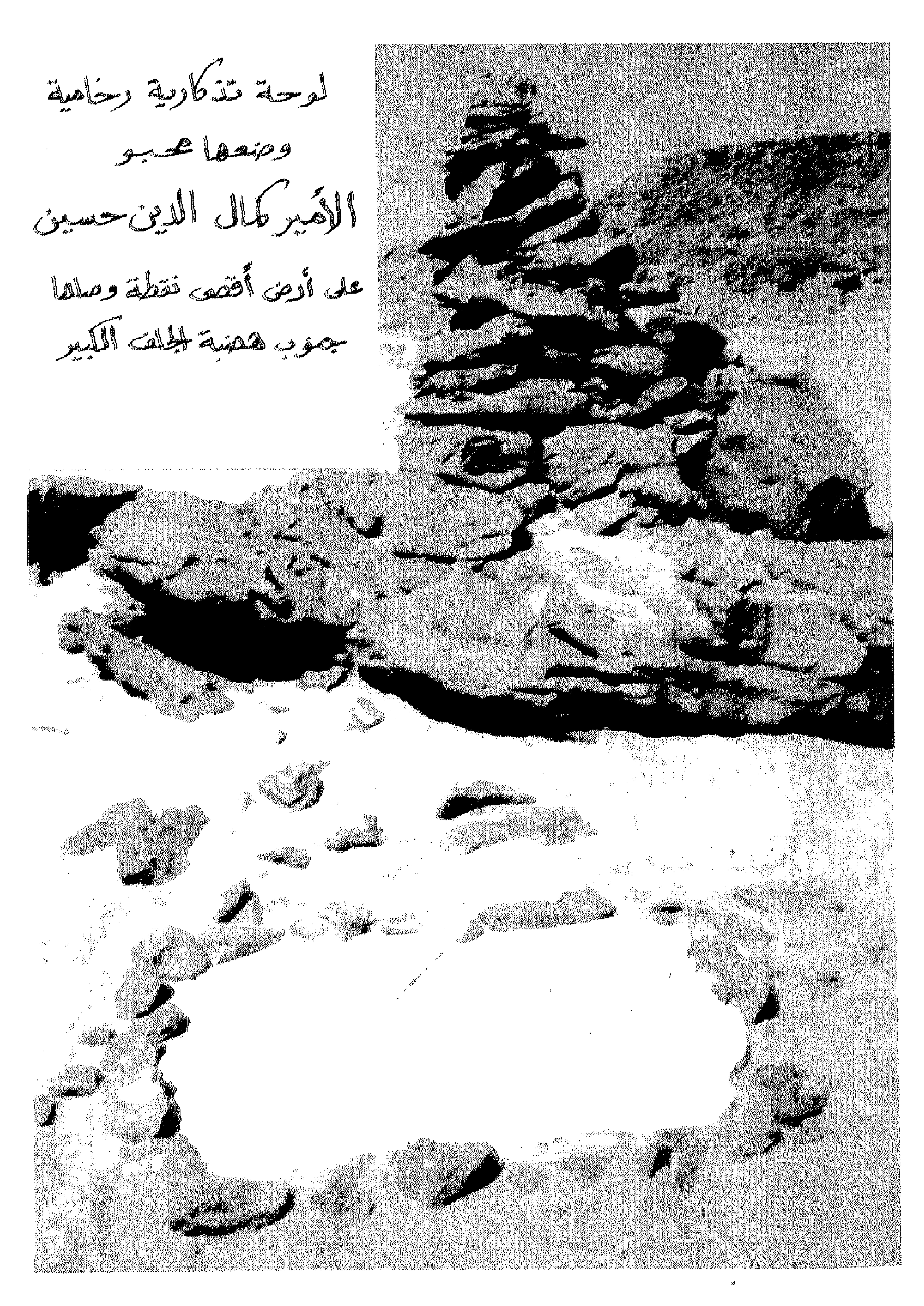
بأنك الليث لم يخلق له الفزعُ

(27) وشخصية أحمد حسنين (باشا) من الشخصيات المركبة من عدة مواهب. فهو رائد الصحراء فى مقتبل حياته (من مواليد عام 1889)، ثم هو أحد رجال القصر الملكى وموضع ثقة الملك أحمد فؤاد الذى عهد إليه رعاية ولى عهده «الأمير فاروق». وهو الذى لازم فاروق ملكا وكان بذلك مشاركاً فى أمور السياسة المصرية وخاصة بعد أن أصبح رئيساً للديوان الملكى عام 1940 عن عمر 51 عاما، وانتهت حياته عام 1946 فى حادثة سيارة.

الأمير كمال الدين حسين:

فى 19 ديسمبر عام 1914 أعلنت السلطة البريطانية فى مصر ممثلة فى المندوب السامى (وكان وقتها سير ريجنالد وينجت) الأمير حسين كامل سلطاناً على مصر خلفا للخديوى عباس حلمى الثانى الذى خُلع عن حكم مصر، ولم يستمر حسين كامل فى الحكم طويلاً لكبر سنه ومرضه. ولما توفى بعد فترة قصيرة من توليه السلطنة عرضت على ابنه الأمير كمال الدين الذى اعتذر عن قبولها فعرضت على عمه الأمير أحمد فؤاد فقبلها. (100).

(74) ولد الأمير كمال الدين عام 1875 وكان شغوفاً بالرحلات الصحراوية. وكانت أولى رحلاته الصحراوية للصحراء الغربية فى ربيع عام 1923 وكان عمره



لوحة تذكارية رخامية وضعها محبو الأمير كمال الدين حسين على أرض أقصى نقطة وصلها

جنوب هضبة الجلف الكبير

48 عاما وقد استفاد من تجارب سابقة لارتياد جنوب الصحراء غرب الداخلة قامت بها الحملة الميكانيكية الخفيفة بالسيارات التابعة للجيش. وكانت سيارات الأمير فى تلك الرحلة فرنسية طراز Citroen Caterpiller وكان بصحبته جون بول، وكان قد سبق لبول ارتياد الصحارى منذ عام 1916. وعاود الأمير الرحلة فى العام التالى بالسيارة من القاهرة للبحرية للفرافرة للداخلة فى 18 يناير 1924 وواصل السير إلى موقع «ريجنفلد» فى 25 فبراير وهناك عثر على رسالة كان قد تركها رولفس. وكانت رحلة الأمير الثالثة بدءا من الخارجة فى 29 ديسمبر 1924 متجها إلى العوينات ومر ببئر الشب واستمر جنوبا إلى أرض تشاد (وقتها كانت ضمن إفريقيا الاستوائية الفرنسية) ثم اتجه شرقا إلى شمال السودان ورجع للخارجة فى 7 مارس 1925. وأمكن فى هذه الرحلة تحديد موقع بئر طرفاوى بدقة. ويذكر أن المنطقة المحيطة بهذا البئر هى ما يعرف حالياً بمنطقة مشروع شرق العوينات وهى تبعد حوالى 430 كيلو متر شرق جبل العوينات، كما أمكن رصد ارتفاع قمة جبل العوينات 1907 مترا فوق مستوى سطح البحر، وأمكن تحديد مواقع بئر الشب وبئر مساحة وواحدة مرحبا وكركر طلح.

(123) وقام الأمير برحلته الأخيرة عام 1925/ 1926 إلى حافة الجلف الكبير من أقصى جنوبها وهو الذى أعطى اسم الجلف الكبير للهضبة. وكان ينوى القيام برحلة جديدة فى أوائل عام 1932 إلا أنه توفى فى فرنسا فى السادس من أغسطس 1932 عن عمر 57 عاما. (74) وفى عام 1933 أقام محبّو الأمير نُصُبا بسيطاً عبارة عن لوحة رخامية بيضاء كتبت عليها كلمة تذكارية ووضعت اللوحة على الأرض فى أقصى نقطة وصلها الأمير جنوب الهضبة.

الكونت لازلو ادوارد دالماسى:

(74) من الشخصيات الملفتة للنظر بحيويته وتدخله فى رحلات جنوب الصحراء الغربية. وهو مجرى (هنغارى) الجنسية من أم إيطالية، وهو من مواليد عام 1895. تعرف على الأمير كمال الدين فى المجر عام 1922، ووفد إلى مصر

عام 1929 وكان عمره 34 عاما، واندس فى زمرة الوسط الأريستوقراطى المصرى واشتهر بروح المغامرة. كان طيارا محترفا ويقال إن له يداً فى إنشاء مطار ألماظة شمال القاهرة الذى ربما كان فى تسميته إشارة إلى اسم «ألماس». وقد التصق بالأمير كمال الدين حتى وفاة الأمير.

وفى عام 1931 قام ألماس بالطيران فوق بحر الرمال وفوق هضبة الجلف بصحبة سير روبرت كلايتون الذى كان يمتلك الطائرة وبصحبة باتريك كلايتون والطيار بيندريل. وفى عام 1932 وبتمويل من أحد رجال المال الألمان استطاع ألماس أن يزور منطقة الجلف الكبير وأن يستكشفها من على الأرض بالسيارة وعرف مسالكها وحدد موقع المنخفض الذى يفصل بين جزئى الهضبة والتى يمكن من خلالها أن تمر السيارة. وقد نشر ألماس جزءاً من خلاصة مشاهداته فى رحلاته فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية المصرية عام 1936. وفى عام 1933 زار العوينات والتقى هناك بإحدى وحدات الجيش الإيطالى بقيادة الكونت كابورياكو وحدثه عن النقوش الحائطية بالمنطقة التى ترجع لما قبل التاريخ واهما رسم السباحين الجدارى فى أحد الكهوف. وعلى أثر ذلك قام هذا الإيطالى ومعه زميل اسمه جرازيوزى بدراسة تلك النقوش ونشراً عنها.

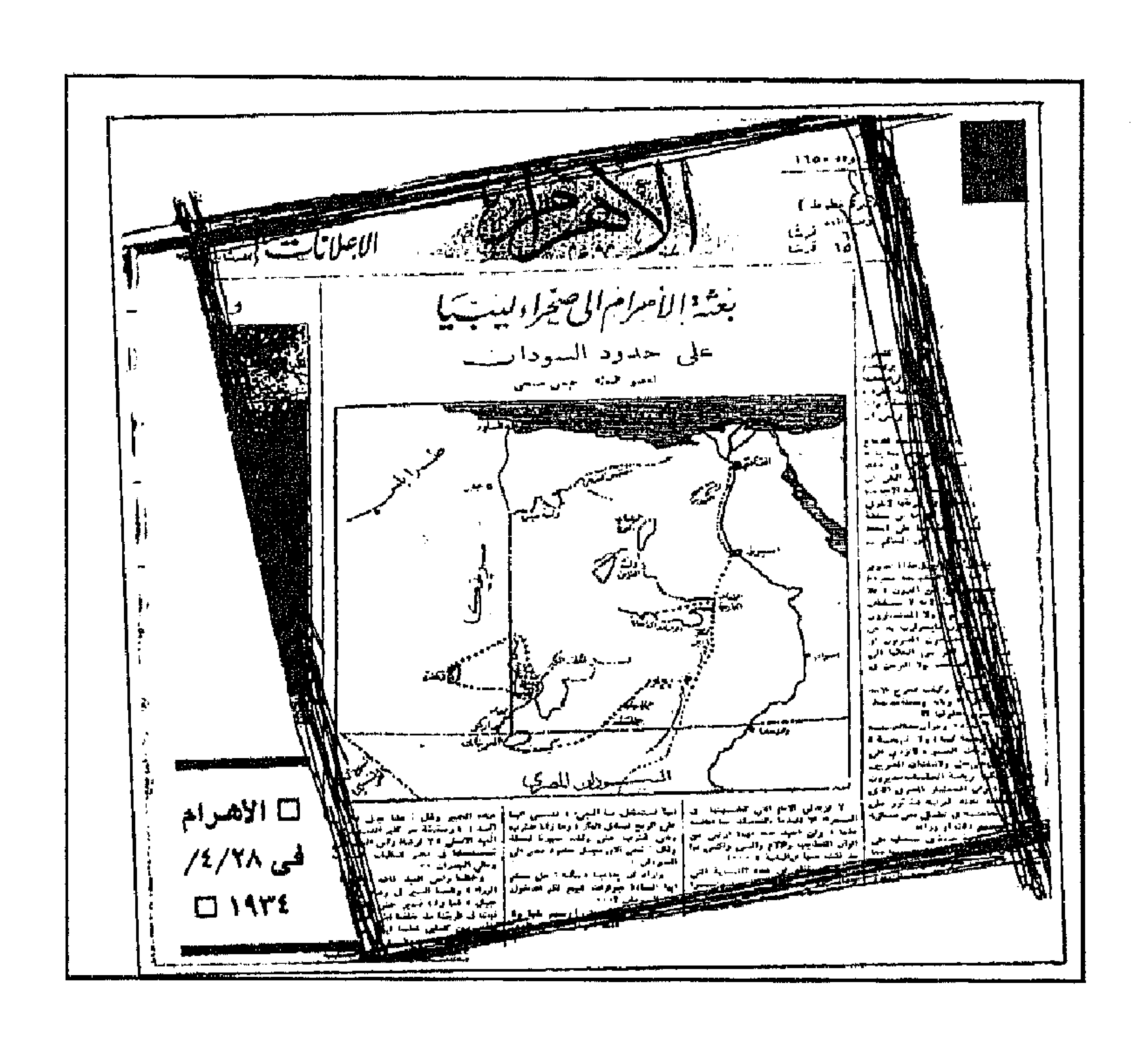
ومع مقدمات نشوب الحرب العالمية الثانية غادر ألماس مصر عائداً إلى بلاده محملا بخبرة نادرة عن طبيعة جنوب الصحراء الغربية ومسالكها. وعند اشتعال الحرب انضمت المجر إلى محور ألمانيا- إيطاليا فى إبريل عام 1941، والتحق ألماس بالجيش الألمانى فى سلك الجاسوسية. (96) ومن أبرز ما قام به ألماس وأكثرها جرأة قبيل معركة العلمين، أن تسلل من ليبيا إلى جنوب الصحراء الغربية المصرية مستصحبا معه اثنين من الجواسيس الألمان وزرعهما فى صعيد مصر. (74) هذان الجاسوسان هما «مونكاستر» و«إبلر». أما إبلر فكان فى الواقع حسن جعفر من أسرة مصرية وكان يتقن اللغة العربية باللهجة العامية المصرية. أخذهما ألماس من طرابلس إلى واحة جالو بالسيارة ومنها إلى هضبة الجلف وعبر الهضبة عند الخانق

بين جزئى الهضبة الذى كان يعرفه معرفة تامة، ثم وصل إلى قرب مدينة أسيوط على النيل قاطعا مسافة حوالى ثلاثة آلاف كيلو متر فى 12 يوما، ثم تركهما راجعاً من نفس الطريق. أما مصير الجاسوسين فقد انكشف أمرهما وتم اعتقالهما. وكانت العملية التى قام بها ألماس يرمز إليها «بعملية ربيكا».

(96) ومن المفارقات أن الميجور باجنولد الذى كانت لديه خبرة واسعة بجنوب الصحراء الغربية كان أثناء الحرب العالمية الثانية على رأس فصيلة من راكبى المركبات الخفيفة وكان من ضمن تكليفاته تعقب احتمال تسلل ألماس ولم يستطع باجنولد الإمساك به. وقد مات المغامر المجرى ألماس فى مدينة سالزبورج عام 1951 عن 56 عاما.

سير روبرت كلايتون:

(101) كان ضابطا فى البحرية البريطانية وكان طياراً يملك طائرة خاصة من طراز «Gipsy I Moth». وفى خريف عام 1931 تعرف روبرت على ألماس وعلم منه عن نية الأمير كمال الدين القيام برحلة لجنوب الصحراء الغربية وود لو شارك فى الرحلة ولكن الأمير توفى مع أوائل 1932، وعلى ذلك عقد سير روبرت النية على القيام بتلك الرحلة بنفسه وأتم الاستعداد بعدد من السيارات وبطائرته الخاصة. وكان أعضاء الرحلة بجانب روبرت، باتريك كلايتون والضابط الطيار البريطانى بندرل وألماس مع الحاشية. طار روبرت بطائرته يوم 12 إبريل 1932 إلى الخارجة حيث انضم إلى بقية الفريق بسياراتهم. واتجهت القافلة إلى الجانب الغربى للجلف، وطار روبرت ومعه بندريل فوق المنطقة، وتجول ألماس مع باتريك بالسيارات وأعطيا اسمين لجبلين متجاورين جرى توقيعهما على الخرائط المساحية تحت اسمى «بيتر» و«بول» تيمناً بقباب الكاتدرائيتين المشهورتين فى إيطاليا وفى بريطانيا. وفى 27 إبريل قاد ألماس سيارة إلى واحة الكفرة مستكشفا الطريق. ثم عاد الفريق بالكامل إلى الخارجة فى 5 مايو 1932. وعاد روبرت كلايتون بطائرته إلى انجلترا وتوفى بعد وصوله بشهرين.



الأهرام

الاعلانات

بعثة الأهرام إلى صحراء ليبيا

على حدود السودان

السودان المصري



Almasy, Bermann, Kaddar and a desert cooled champagne bottle at their base camp, the "Grand Sand Hotel" in eastern Gilf Kebir (1931).

الجلف الكبير عام 1931

الرحالة: ألماسى - بيرمان - كادار

حسن صبحى:

(26) نشر يونان لبـيب رزق فى جريدة الأهرام صفحـة كاملة يوم 4 مارس 2004 عن رحلة ارتادت جنوب الصـحراء الغـربية لمدة شـهر عـام 1934 بدءاً من أسيوط يوم 6 مارس 1934. وأوفدت جريدة الأهرام حـسن صبحى لمرافقة البـعثة وموافاة الجريدة بأخبارها، وظلت الجريدة تنشـر لحسن صبحى تقريراً يومياً من يوم 19 إبريل حتى 16 مايو 1934. وقد تكونت المجموعـة التى ارتادت الصحراء من ست أفراد ومعـهم مندوب الأهرام. كان على رأس المجموعـة الأمير محمـد عبد المنعم (ابن الخديوى عـباس حلمى الثانى) وضمت البـارون فون فيفـر (سويسرى) والهر فون إيس (ألمانى) والكونت دالماس وسنيور دادونى (إيطالى) وكان محرراً فى جريدة «أوريتنى» ومراسلا لجريدة «بوبلو ديتاليـا» وهر هيلر(سويسرى) رسام كلفته جريـدة الأهرام برسم نقوش الكهـوف. وتنقلت المجمـوعة فى خـمس سـيارات جُهـزت لارتياد الصـحراء فـارتادت الجلف الكبيـر وأركينو والعـوينات وفى ليبـيا ارتادت واحة الكفرة ودخلت الأراضى السودانية.

فمن هو حسن صـبحى الذى رأت فيه جـريدة الأهرام الكفاءة ليكون مندوبا عنها فى صحـبة تلك الرحلة الصحراوية. لقد بحثت عن أى مـصدر يلقى الضوء على شخصـية هذا الرجل إلى أن توصلت إلى نجله السفيـر الأديب أحمس حسن صبحى ومنه استقيت معلـومات عن والده. قد ولد حسن صبحى عام 1905 وكان ضمن أول دفعة تخرجت من قسم الآثار كلية الآداب جامعة فؤاد الأول عام 1928 وكان من زملائه لبيـب حبشى وأحمد فخرى وعـبد الله مكرم الله. ومن هنا كان ارتباطه بالآثار كما أنه أظهر قدرات صحفية فى شبابه. عمل فى مصر للسياحة فى أيامها الأولى وعمل فى السودان (عامى 36/ 1937) وأنشأ جريدة النيل. ومع بداية ثورة 1952 عمل فى مـشروع وكالة أنباء العـالم العربى ثم فى وكالة أنبـاء الشرق الأوسط. وفى عام 1954 كان بصره قد بدأ يضعف تدريجيا حتى فقده كلية، ولم يكن هذا حائلاً دون نشاطه الصحـفى الذى تمثل فى إصداره جريدة «أبناء المعادى»

عام 1957 التى ظل يصدرها حتى وفاته فى يناير 1989. فهو شخصية مصرية متعددة المواهب وكان واحداً من رواد الصحراء عام 1934.

أحمد فخرى:

(94 و95) واحد من قمم العلماء المصريين فى الدراسات الأركيولوجية، وهو قمة شامخة منفردة فى الدراسات الأركيولوجية لواحات الصحراء الغربية. وهو من مواليد الفيوم عام 1905، درس فى كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، وتخرج منها عام 1928 وأوفد إلى انجلترا مدة أربع سنوات وحصل على الدكتوراه عام 1932 وعاد إلى مصر ليعمل فى مصلحة الآثار المصرية.

بدأ ارتباطه بالصحراء، وكان مفتشاً لآثار الأقصر، برحلة استطلاعية فى ديسمبر عام 1933 إلى وادى الدغبج ومعبد الكنايس بالصحراء الشرقية. وبدأت زياراته لواحات الصحراء الغربية بزيارة للخارجة والداخلة فى أكتوبر عام 1937 ولم تنقطع صلته بالصحراء الغربية منذ ذلك الوقت. وهو صاحب فكرة إنشاء قسم لأبحاث الصحراء فى مصلحة الآثار ورأسها من عام 1944 حتى عام 1960. وسافر إلى اليمن فى مهمة علمية عام 1947، كما شارك بأبحاثه فى مشروع دراسات الأهرام فى الفترة 1950-1955 وله فى ذلك مؤلف عظيم القيمة. وشارك مع لفيف من العلماء من عدة تخصصات فى إعداد «موسوعة سيناء» التى أصدرها المجلس الأعلى للعلوم عام 1960. وكان البحث الذى شارك به فى الموسوعة بعنوان «شبه جزيرة سيناء من أقدم العصور حتى ظهور الإسلام ص 67-123». والتحق بالتدريس فى الجامعة (فى مادة تاريخ مصر والشرق القديم) من عام 1960 حتى عام 1965 وهو سن التقاعد.

لم تنقطع صلته العلمية بالصحراء الغربية منذ عام 1937 حتى وفاته عام 1973. وقد أفرغ حصيلة دراساته ومشاهداته فى واحات الصحراء الغربية الخمسة فى ثلاثة مؤلفات تتسم بالعمق العلمى وتعتبر المرجع الأساسى لكل باحث. كان الجزء الأول بعنوان «واحات سيوة» إصدار الجامعة الأمريكية بالقاهرة باللغة

الإنجليزية عام 1973. وكان الجزء الثانى بعنوان «واحات البحرية والفرافرة» إصدار الجامعة الأمريكية بالإنجليزية عام 1974 بعد وفاته فى 7 يونيه 1973. والكتاب الثالث بعنوان «الواحات الخارجة والداخلة» وكان قد توفى بعد تجميعه وإعداده وتركه كاملا ليتولى ابنه «على فخرى» (بالسلك الدبلوماسى) ليتولى طبعه.

فاروق الباز:

(123) من علمائنا القليلين الذين صعدت شهرتهم إلى العالمية فى دراسات الفضاء. وهو من مواليد الزقازيق فى أول يناير 1938، وهو من خريجى جيولوجيا جامعة عين شمس عام 1958. وحصل على الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية وحصل على الجنسية الأمريكية عام 1970. وهو مقيم بالولايات المتحدة وكان من ضمن العلماء الذين أعطوا رأيهم لأنسب مكان لهبوط مركبة الفضاء على القمر. وعمل مع هيئة «ناسا» منذ عام 1967 وعمل فى مركز الاستشعار عن بُعد بجامعة بوسطن الأمريكية منذ عام 1986 وكذلك فى معهد سمثونيان.

(89) وصلة الباز بأبحاث الصحارى المصرية لا تنقطع وله عدد من الرحلات فى الصحراء الغربية. ومن أمثلة رحلاته العلمية التى قادها، الجولة التى قام بها فى منطقة الجلف الكبير لمدة أسبوعين بدءا من 24 سبتمبر 1978 والتى ضمت فريقا مشتركا من سبعة من العلماء الأمريكان وتسعة من نظائرهم من المصريين وضمت أحد الصحفيين فكانت مجموعة المصريين من: البهى عيسوى وعاطف دردير ومحمد إبراهيم وحسن العتر ونبيل إمبابى وحامد دويدار وعادل مصطفى ومحمود يوسف ولطفى بولس والصحفى حاتم فريد. وكان الهدف مضاهاة الطبيعة الصحراوية فى جنوب الصحراء الغربية (الجلف الكبير والعوينات) بالصور التى أرسلتها كل من المركبات الفضائية Apollo-Soyuz وGemini وLand sat لهذا الجزء من الأراضى المصرية مما يساعد على التعرف على احتمالات الظواهر السطحية على كوكب المريخ Mars. وقد نشرت نتائج هذه الدراسة فى المجلة الجغرافية فى مارس 1980. ومن رحلات الباز (74) ما قام بها مع ماكسويل فى

نفس منطقة الجلف الكبير والعوينات ونشرت نتائجها فى حولية المساحة الجيولوجية المصرية عام 1981. وللباز اجتهاد فى تنمية الصحراء الغربية سيرد ذكره فيما بعد.

البهى عيسوى:

(101) من أعز أبناء المساحة الجيولوجية المصرية وأحد عشاق الصحراء الغربية. وهو من مواليد طنطا عام 1934، وعقب تخرجه عام 1956 التحق بالمساحة الجيولوجية المصرية والتزم بها، ونشأت صلة تلمذة مع أستاذه «رشدى سعيد» استمرت سنوات. وشارك «البهى» فى استكشاف خامات حديد البحرية وفوسفات وادى النيل والصحراء الغربية وشارك فى اكتشاف كاولين كلابشة، كما شارك فى مشروع التخريط الجيولوجى على الحدود المشتركة الليبية المصرية. وترك المساحة الجيولوجية عام 1984 وانتقل إلى وزارة الصناعة والبترول حتى سن التقاعد عام 1994.

إلا أن أهم ما شغل بال وجهد «البهى عيسوى» هو دراسات ما قبل التاريخ وكان لقاؤه مع «فريد ويندورف» فى فبراير 1962 هو بداية تعاون مشترك مثمر فى مجال أبحاث ما قبل التاريخ فى الصحراء الغربية استمر بانتظام حتى عام 2003 تحت برنامج أعطى له اسم Combined Prehistoric expedite ويرمز له "CPE". ومن المجهودات المشتركة البعثة التى عملت فى غرب توشكى عام 1965 والتى شارك فيها بجانب ويندورف والبهى مجموعة من علماء جامعة «جنوب ميثوديست» وهم: كلود ألبريتون وبوب سلوتر وورون ويذبرينجتون وبيل هونكينيز. وفى عام 67/ 1968 كان نشاط «البهى» المشترك فى الصحراء غرب قنا مع «جيم فيلييس» و«سكوت هيز» وأشيل جوتييه ورمولد شيد وفانس هيتز وكذلك العالم المصرى «فكرى حسن». وقد التحق «فكرى حسن» بالتدريس فى جامعة لندن بعد ذلك واستمرت أبحاثه فى الصحراء الغربية مع تلاميذ له من جامعة عين شمس، وهو الذى ألقى الضوء على ظروف الفترات المطيرة بمنتهى الدقة وحدد بداية الاستزراع فيما قبل التاريخ.

وفي عام 1971 زار «البهى» ومعه روبرت جيجنجاك من جامعة بنسلفانيا منطقة جنوب غرب الداخلة ومنطقة الزجاج الليبى. وكان قد تعرف على موقع النبطة ثم زارها عام 1972 مع مجموعة من علماء «CPE» وعلى رأسهم «ويندورف» وكان هذا تمهيداً لدراسة أكثر استفاضة للنبطة عام 1973. ويستمر عمل مجموعة "CPE" حتى الآن (2008) ويستمر اتصال البهى بهم مستشاراً وموجهاً. وقد سعد مؤلف هذا الكتاب بصحبته فى زيارة قادها البهى (10-27 مارس 1981) جاء تفصيلها عند الحديث عن بحر الرمال وأبو بلاص.

(ب) من رجال قوات الحدود ومن رجال مساحة الصحراء:

من رجال قوات الحدود:

(123) فى عام 1916 أنشأ الجيش البريطانى المرابط فى مصر فصيلة قوات من راكبي السيارات الخفيفة لحراسة حدود مصر الغربية وحمايتها من الغزو السنوسى تحت اسم Light car Patrol. (47) وبعد الحرب العالمية الأولى أنشئت «إدارة المناطق الحدودية» لإدارة شئون الصحارى خارج وادى النيل والدلتا Frontiers district administration. وكانت مزودة أساساً بقوات من راكبى الجمال(الهجين) وهم الهجّانة، بجانب راكبى السيارات الخفيفة. ثم تغير الاسم إلى سلاح الحدود وكذلك تغيرت الاختصاصات.

رالف باجنولد (101): كان الميجور رالف باجنولد ضابطاً بالجيش المصرى وعمل فى سلاح الإشارة بعض الوقت، وعرف عنه إقباله على ارتياد الصحارى وخاصة الصحراء الغربية، وكانت له جولات خلال سنوات 1927 و1928 و1929 فى الجزء الشمالى الغربى من الصحراء الغربية. ومن جولاته كان بصحبته أخصائى نبات بريطانى وأخصائى حشرات بريطانى وآخر مصرى اسمه مستكاوى. ومن جولاته عام 1929 مروره على الصحراء البيضاء (بين البحرية والفرافرة) ومروره على عين دله حيث وجدوا أن الأمير عمر طوسون قد رمم حوائط البئر وغطاها حماية من سفى الرمال.

وفى عام 1930 قام باجنولد ومعه حملة من راكبى السيارات الخفيفة باقتحام كثبان بحر الرمال من شرقه لغربه لأول مرة بالسيارات وكان معه رجلا الآثار «نيوبولد» و«شو». وفى نفس العام ارتاد بالسيارات المنطقة الواقعة بين العوينات ووادى حلفا. وفى أكتوبر عام 1932 قام ومعه الجيولوجى ساندفورد وخبير الآثار شو والمساح جريج بارتياد الركن الشمالى الغربى من السودان. وفى عام 1935 اعتزل باجنولد الخدمة العسكرية.

(119) وعند قيام الحرب العالمية الثانية عام 1939 كان على رأس قوات الحلفاء المرابطة فى مصر والشرق الأوسط الجنرال أرشيبالد ويفل. وتقدم إليه باجنولد باقتراح تكوين وحدة سيارات خفيفة «LR» Long range patrol تكون قادرة على سرعة الحركة وقادرة على اختراق أراضى العدو بسهولة، وكان ذلك قبل دخول إيطاليا الحرب بفترة قصيرة. وبعد موافقة ويفل اتصل باجنولد بلفيف ممن كان يعرفهم ويعرف عنهم القدرة للانضمام إليه، وكان منهم «باتريك كلايتون» وكان فى تنجانيقا، وكيندرى شو وكان فى فلسطين، وجاى ريند برجاست. وفى ظرف شهر تجمع لديه 30 من الضباط الملائمين للقيام بالمهام. وصمم باجنولد بعض تعديلات للسيارات لتكون أكثر ملاءمة لغزو الصحراء. (74). وفى نهاية أغسطس 1940 (وكانت إيطاليا قد أعلنت الحرب على بريطانيا) قام الميجور باجنولد ومعه كل رجاله بحملة ميكانيكية اخترقت بحر الرمال ودخلت أرض ليبيا قريبا من واحة الكفرة واستطاعت تدمير عدد من مراكز تخزين مهام تابعة للجيش الإيطالى وجمعت معلومات هامة. وفى يوم 15 سبتمبر اقتحمت القوات الإيطالية الحدود الشمالية لصحراء مصر الغربية وفى نفس اليوم تحركت فصيلتان من كتيبة الصحراء مخترقة حدود مصر جنوب الصحراء الغربية ووصلت إلى العمق حتى واحات مرزوق جنوب الكفرة ودمرت مخازن ومعدات الجيش الإيطالى. وبناء على نجاح هذه العملية تضاعفت قوات الكتيبة إلى عدة فصائل وأعيدت تسميتها إلى Long range desert group، وكانت كل فصيلة تتكون من ضابط و14 رجلاً

مزودين بخمس أو ست سيارات خفيفة. وفى أغسطس 1941 انتقلت قيادة الكتيبة إلى بريندبرجاست، أما باجنولد فقد حصل على رتبة جنرال وتقاعد، ونشر كتابا بعنوان «مذكرات أحد رواد الصحراء».

من رجال مساحة الصحراء:

باتريك كلايتون: (86) ولد عام 1896 والتحق فى صدر شبابه مهندساً لمساحة الصحراء فى مصر تحت رئاسة جون بول عند تكوين قسم خاص لمساحة الصحارى فى مصر. وحسب رواية ابنه ميجور بيتر كلايتون الذى أرخ لحياة أبيه فى كتاب أصدره عام 1998 أن باتريك كلايتون شارك فى رسم أكثر من 24 خريطة مساحية، وله مشاركات عديدة فى أنشطة مدنية وعسكرية فى الصحراء الغربية.

(96) فى عام 1926 شارك فى توقيع الحدود الليبية المصرية على الخرائط. وفى عام 31/1932 شارك فى رسم خريطة مساحية للجزء الغربى من الجلف الكبير واكتشف مجموعة من الكهوف فى وادى الصورة ذات الرسوم الجدارية لإنسان ما قبل التاريخ ومنها رسم «السبّاحين». وفى عام 1932 قام باختراق بحر الرمال من أقصى الشرق عند خط عرض °27 إلى الحدود الليبية، وأتبع ذلك برحلة فى بحر الرمال من الشمال عند خط عرض °24 باتجاه الجنوب بين امتدادات الغرود حيث اكتشف وجود الزجاج الليبى فى ديسمبر 1932 وعاد للقاهرة محملاً بحوالى 50 كيلو جرام من هذا الزجاج. وفى هذه الأثناء اشترك فى الرحلة التى نظمها سير روبرت كلايتون، إيست كلايتون، وكان من أهدافها البحث عن واحة زرزورة. ثم صاحب أرملة روبرت كلايتون فى رحلة ثانية لهذا الغرض. ثم شارك فى رحلة للجلف الكبير مع بيرمان وبيندريل وآخرين. وفى نوفمبر 1934 استصحب باتريك بعثة لدراسة الزجاج الليبى بقيادة العالم سبنسر من المتحف البريطانى. ثم شارك قبل قيام الحرب العالمية الثانية فى رسم خرائط شمال الصحراء الغربية وعقب ذلك غادر مصر إلى تنجانيقا.

(74) فى عام 1940 استدعاه باجنولد لينضم إلى كتيبة الصحراء كضابط مخابرات. وكان لكلايتون ثلاثة من السائقين الذين عملوا معه سابقا فى مساحة

الصحراء ويثق فى قدراتهم فضمهم إليه وهم «عبد الرحيم درار (مينوفلى) ومحمد عيد وأبو فـضيل. وكانت باكورة نشاطه دورية داخل الأراضى الليبـية، وكانت فى أشهر الصيف عام 1940 ودرجة الحرارة فوق 51° مئوية وبصحبـته ستة من رجال قوات نيوزيلندا فى سيـارتين ماركة شيفروليـه يملكها الجيش المصرى. (96) وفى 5 ديسمبر 1940 اخترق كلايتون بحـر الرمال فى حملة ضمت 24 سيارة حربية بدءاً من عين دلة وتوغلت داخل جنوب ليبيا وقامت بعمليات عسكرية فى قلعة مرزوق وبعض مطارات منطقة فـزان ثم اتجهت جنوبا إلى تشاد قبل عودتها. وقـد استمر كلايتون فـى نشاطه العسكرى على الحدود الليـبية وداخل الأراضى الليبـية إلى أن أسرته قـوات إيطالية فى 31 يناير 1941 قرب الكفـرة وبقى فى الأسر فى إيـطاليا حتى نهاية الحرب، وتوفى عام 1962.

(86) وعلى الجانب الطريف عن تلك المرحلة من الحرب العـالمية الثانية، أن التقط أحد مؤلفى الأفـلام السينمائية مذكرات الكونت ألماس بما فيهـا من مغامرات وأظهرها فـيلما سينمائيـا باسم «المريض البريطانى The English patient وحازت على إحدى الجوائز عام 1996 وكانت شخصية كلايتون من أبرز شخصيات الفيلم.

جون بول وجورج موراى: (101) يعتبر بول وموراى الدعـامتان اللتان قام عليهما بناء مـساحة الصحراء المصرية منذ نهاية القرن التـاسع عشر، ولد بول عام 1872 والتـحق بمصلحـة المسـاحـة المصـرية عـام 1898 أيام أن كـانت المسـاحـة «الطبوغرافية» جزءاً من المساحة الجـيولوجية المصرية التى أنشأها ليونز فى 8 مارس عام 1896. وكان جون بول أستاذا فى فن المساحة كما كان عالما جيولوجيا فتمكن من إتقان رسم الخرائط الصحراوية مساحيا وجيولوجيا. وهو صاحب فكرة مشروع منخـفض القطارة. وظل يرأس مسـاحة الصـحراء حـتى عام 1932، وتوفى عام 1941.

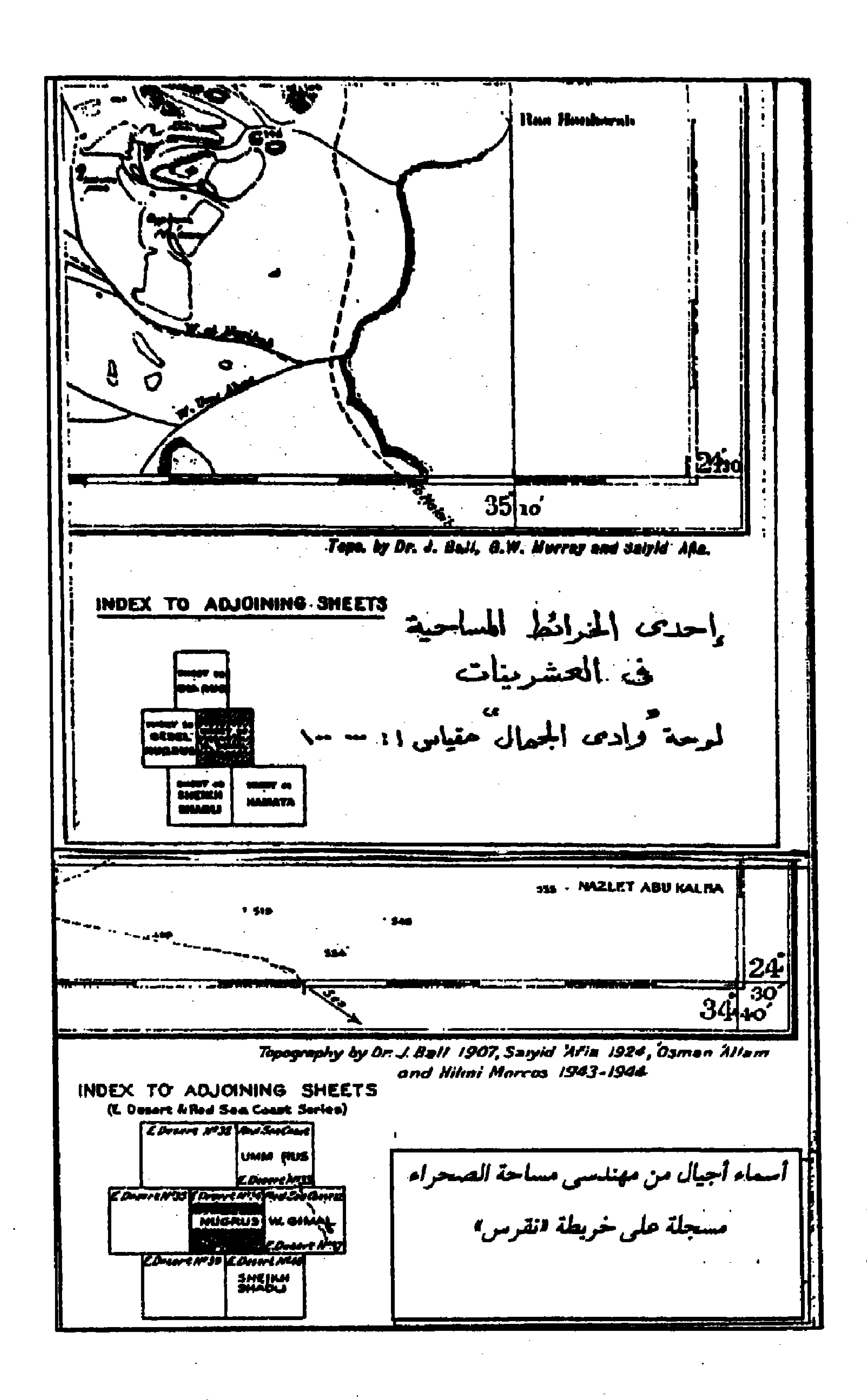
وكان جـورج موراى، وهو مـن مواليـد عام 1885، قد التـحق بالمسـاحة الطبوغرافيـة المصرية عام 1911 وظل تحت رئاسة بول حتى تولى مكانه عام 1932

وظل يرأسها حتى عام 1948 حينما جرى تمصير مساحة الصحارى. وكان موراى بحق أحد عشاق الصحارى المصرية الثلاث وكان كثيرا ما يصحب زوجته معه فى أسفاره. وشارك فى رسم كثير من الخرائط المساحية ونشر أبحاثا عن مسار بعض الطرق الصحراوية القديمة ومنها شبكة الطرق فى الصحراء الشرقية. وقد وضع الكثير من ذكرياته فى كتابه الشيق الذى نشر بعنوان Dare me to the desert. وقد توفى عام 1967.

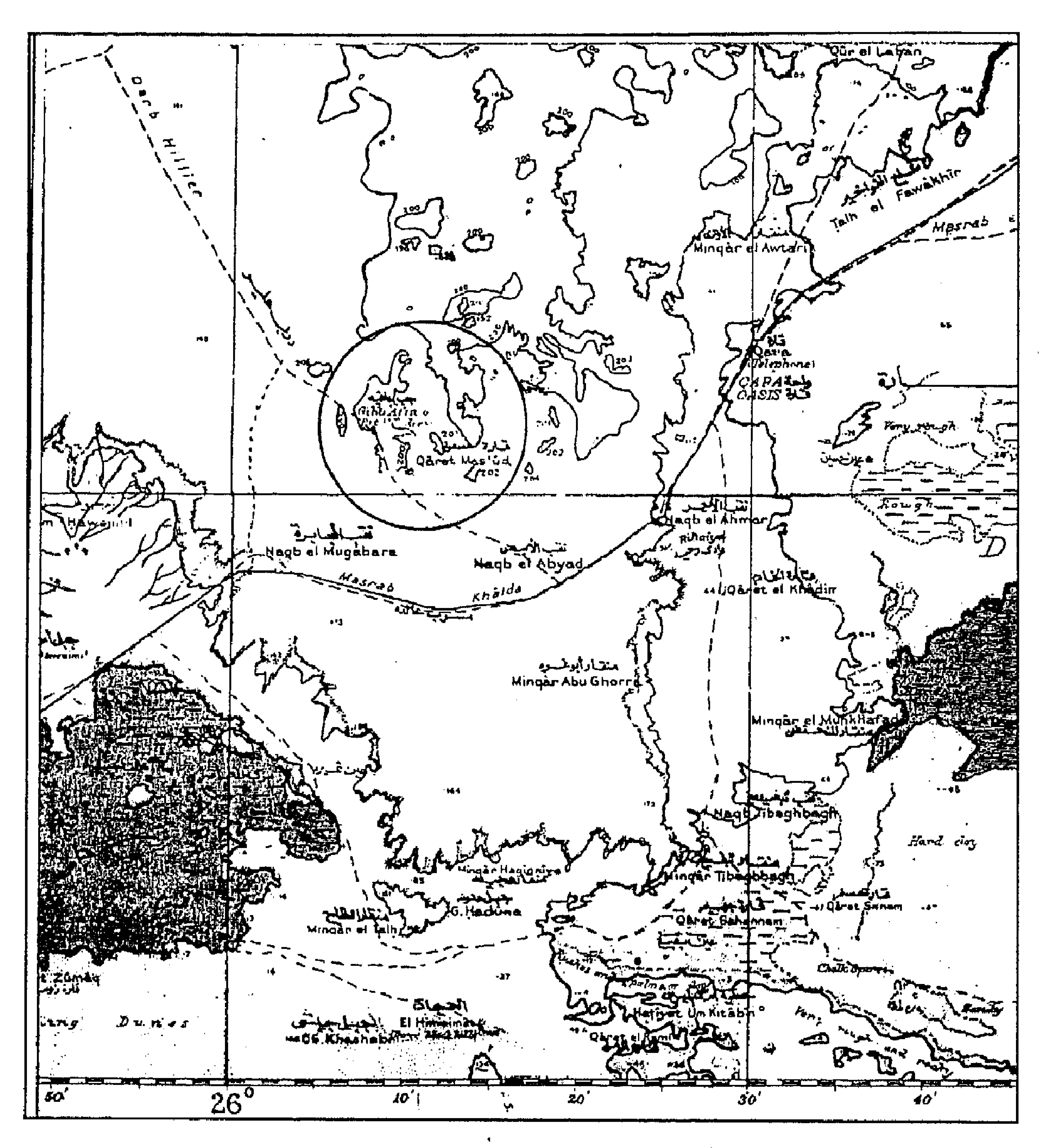
سيد عافية: سرد جورج موراى فى كتابه بعضا من ذكرياته مرتبة حسب الأعوام. فمن ذكرياته عام 1937 ذكر اكتشاف مهندس المساحة «سيد عافية» لفجوة غير عادية (فى قطرها وفى عمقها) أثناء اشتراكه فى رسم خرائط شمال الصحراء الغربية قبل قيام الحرب العالمية الثانية. وهذه الفجوة شبه عمودية قطرها حوالى 90 مترا وعمقها حوالى 40 مترا اكتشفها «سيد عافية» على الطريق الذى يرتفع من منخفض الواحة (سيوه) فى اتجاه الشمال الشرقى نحو واحة «قارة». وكان تعليق موراى عليها فى كتابه أنها Swallow hole ولم يعط لها تفسيراً، إلا أنه أعطى لها تسمية «جب عافية» (على اسم من اكتشفها) موقعة على خريطة القنيطرة (مقياس 100 ألف) ومكتوب فى كعب الخريطة بالإنجليزية: مصلحة المساحة والمناجم 1939 (طباعة إبريل 1941) وأسماء المهندسين الذين شاركوا فى رسمها: P.A.Clyton وG.F.Walpole وEl Sayer Afia. وموقعها على خريطة القنيطرة إحداثيات خط عرض 32، 35، °29 وخط طول 47 11 °26.

ويذكر أنه فى عام 1971 قامت الشركة العامة للبترول باستكشاف بترولى فى شمال الصحراء الغربية، ودقت فى هذا الموقع بئراً استطلاعياً وصل إلى عمق 2475 متراً حتى لامس صخور القاعدة تحت الصخور الرسوبية، وتحتفظ الشركة العامة للبترول بملف كامل فيه تفاصيل بيانات هذا البئر منسوبا إلى «جب عافية».

وكان المهندس «سيد عافية» قد التحق بمدرسة المساحة فى أواخر العقد الثانى من القرن العشرين وكانت المدرسة تابعة لمصلحة المساحة وتدرب على أيدى جون



35° 10'
24° 10'
Topo. by Dr. J. Ball, G.W. Murray and Saiyid Afia.
INDEX TO ADJOINING SHEETS
إحدى الخرائط المساحية
في العشرينات
لوحة "وادى الجمال" مقياس ١ : ١٠٠
NAZLET ABU KALHA
24° 30'
34° 40'
Topography by Dr. J. Ball 1907, Saiyid 'Afia 1924, 'Osman 'Allam and Hilmi Morcos 1943-1944
INDEX TO ADJOINING SHEETS
UMM RUS
NUGRUS
W. GIMAL
SHEIKH SHADLI
أسماء أجيال من مهندسي مساحة الصحراء
مسجلة على خريطة «نقرس»



جبّ عافية (بين واحة سيوة ومنخفض القطارة)

بول وموراى. وحينما أزمعت مصلحة المساحة إنشاء إدارة خاصة لمساحة الصحارى اختارت سيد عـافية ليكون أول مهندس مصرى يعمل مع أقـرانه مهندسى المساحة البريطانيين، فعمل فى مـساحة الصحارى منذ نشأتها. وقـد تبعه من الرعيل الأول بعـد ذلك من المهندسين المصريين: خـلف مرسى وإبراهيم عـبد العـال ثم شكرى مـرقس ثم إبراهيم راتب. ويذكـر لهذا المهندس سـيـد عافـية أنه فى عـام 1931 استصحب مـعه ابنه (مؤلف هذا الكتاب) وكان طفلاً صغيـراً فى أثناء قيامه برسم

خريطة للمسار الذى كان مقترحاً وقتئذ للطريق الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية ضمن مشروعات وزارة الأشغال.

وفى أوائل الثلاثينيات أصابت العالم أزمة اقتصادية، وبالتالى أصاب التقشف ميزانية الدولة المصرية وتقلصت ميزانية مساحة الصحارى حتى كاد أن يلغى هذا القسم بالكامل. وبعد سنوات معدودة حدث تغير جذرى فى ميزانية وأنشطة مساحة الصحارى نتيجة تحرك إيطاليا لغزو الحبشة واحتمال وجود تهديد لحدود الصحراء المصرية مع ليبيا التى كانت إيطاليا تحتلها. وكان مدير عام مصلحة عموم المساحة حسين بك سرى وقتها (أصبح سرى باشا وزيرا للحربية عام 1938 ثم أصبح رئيسا للوزراء مرتين عام 1941 ثم عام 1949). وقد دعت هذه المخاوف أن يكلف سرى بك مستر موراى مدير مساحة الصحراء بعمل خريطة مساحية شاملة لشمال الصحراء الغربية بالكامل. وحشد موراى لتنفيذ التكليف عدداً من مهندسيه، منهم خمسة مصريين على رأسهم «سيد عافية» ومعه أربعة من مهندسى القوات المسلحة. وقد شارك «سيد عافية» فى رسم عدد من الخرائط المساحية فى الصحارى الثلاثة وخاصة جنوب الصحراء الشرقية وكانت له هناك صداقات مع مشايخ قبائل العبابدة. كما قام ببناء نقط المثلثات المساحية على قمم أعتى الجبال فى سيناء والصحراء الشرقية.

ومن أواخر إنجازاته رسم خريطة مفصلة لجزيرة تيران على مدخل خليج العقبة. وقد برزت أهمية هذه الجزيرة بعد ذلك حينما أمر«عبد الناصر» عام 1967 بإغلاق الخليج بقوة التحصينات فى الجزيرة وما يقابلها فى جنوب سيناء. وتبرز حاليا أخبار جزيرة تيران مع التفكير فى إقامة جسر (كوبرى) عظيم الارتفاع يصل جنوب سيناء بالشاطئ السعودى.

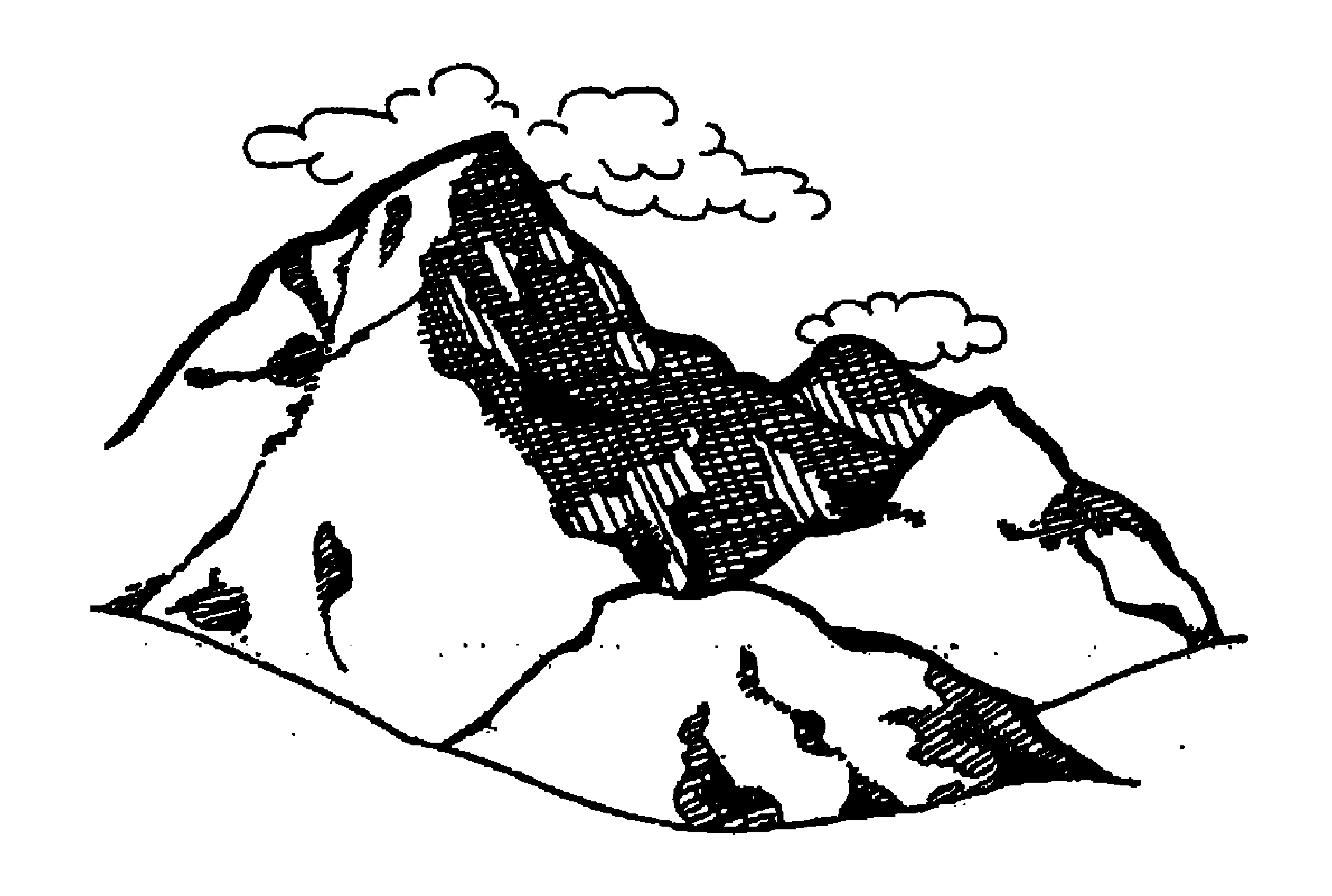
من رجال المساحة العسكرية:

إن جهود رجال المساحة العسكرية لم تنقطع منذ القرن التاسع عشر، وخرائطها هى المصححة والمعتمدة سواء ما كان للاستعمال المدنى أو غير ذلك.

ويحتاج سرد إنجـازات هؤلاء الرجال مجلداً منفصلا . ونكتـفى فى هذا المقام بذكر أمثلة لأسمـاء بعض الرجال من جيل منتصف القـرن العـشـرين، وهـم المهندسون «حسن رجب وعبد الفتاح عبد المحسن ومجدى على وعبد الله العزوني ومصطفى توفيق وفؤاد بكر وعلي حمدى وعبد الستار مجاهد» .

الفصل السابع

رواد الصحراء الشرقية



(أ) طبيعة الصحراء الشرقية وتطور بيئتها:

تختلف الظواهر السطحية فى الصحراء الشرقية عن ظواهر سطح الصحراء الغربية. فالصحراء الشرقية فى عمومها عبارة عن مجموعة متتالية من السلاسل الجبلية الممتدة بامتداد مواز لساحل البحر الأحمر، من الشمال عند جبل عتاقة (غرب مدينة السويس) إلى الحدود السودانية وما يجاوزها جنوبا، ويفصل هذه الجبال عن شاطئ البحر سهل ساحلى ضيق. كما يفصل خط تقسيم المياه اتجاه مصبات الوديان إما إلى ساحل البحر الأحمر أو إلى وادى النيل ويقترب هذا الخط من ساحل البحر عنه من نهر النيل.

(3) وتتخلل سلاسل الجبال وديان واضحة المعالم امتداداتها الرئيسية شرقا وغربا، ويستثنى من هذا الاتجاه العام وادى قنا الذى يمتد من الشمال إلى الجنوب مسافة حوالى 240 كيلو متر ويصب فى وادى النيل عند مدينة قنا. (70) ويتسع هذا الوادى فى بعض مواضعه إلى 50 كيلو مترا ويضيق أحيانا إلى خمسة كيلومترات. ويغطى أرضية الوادى رواسب وديانية يصل سمكها إلى أكثر من أربعة أمتار تصلح للزراعة فى أجزاء واسعة منها، وتدل آثار الإنسان القديم على انتشاره فى هذا الوادى خلال الفترات المطيرة، فالوادى مؤهل للتنمية.

(63) ومن الشمال إلى الجنوب نذكر أسماء بعض الوديان التى تصب فى البحر الأحمر: عربة، أبو حاز، الملاحة، سفاجا، الجمال، لحمى، رحبة، الحوضين، دئيب هاريترا، ونذكر أهم الوديان التى تصب فى مياه النيل من الشمال: سنور، طرفة، الأسيوطى، قنا، الحمامات، زيدون، شغب، عباد، نتش، شعيت، بيزح، الخريت، العلاقى، جبجبة، كوروسكو. وتعلو قمم بعض الجبال إلى الألف متر ويعلو القليل منها إلى قرابة الألفى متر. ومن هذه القمم من الشمال للجنوب: دارة 1977 متر، أبو دخان 1661 متر، قطار 1963، الشايب 2184 متر وهى أعلى قمة فى الصحراء الشرقية، عتود 908 متر، مجعف

1198 متر، حـماطة 1977 متر، أم سـمبوكى 1486 متر، علبة 1437 متر فوق مستوى سطح البحر.

(83) وفى أزمان ما قبل التـاريخ حظيت جبال البحر الأحمـر ووديانها بفترة مطيرة استمرت بين عامى 7000-5000 قبل الميلاد، وتلتها فترة قلّ فيها المطر، ثم حدثت فترة مطيرة أخرى زمن الأسرات الفرعونية استمرت بين عامى 3500-2200 قبل الميلاد. ثم قلت الأمطار وشحت وسادت ظروف الجـفاف الصحراوى تدريجيا وأصبحت منطقة جبال البحر الأحمر طاردة لروادها ليسكنوا وادى النيل إلا قلة من الرعاة. وكانت المراعى تغطى معظم سطح الصحراء الشـرقية خلال كل فترة مطيرة فكانت المياه تنساب من المستويات الجبليـة التى تغطيها الغابات إلى الوديان وتتجمع أحيانا على شكل بحيرات. ومن رسومات ونقوشات الصخور التى تركها إنسان ما قـبل التـاريخ وبداية التـاريخ أمكن تحـديد عـمـرها بالكربون (14) المشع تبين أن المجتـمعات الـرعوية سادت بدل مـجتمـعات الصـيد وخاصـة فى الفتـرة ما بين 3800-2400 عامـا قبل الميلاد، حـدث خلالها انتـقال للسكان الصـحراويين إلى حواف وادى النيل حيث مصادر المياه وافرة ومنتظمة مما يسّر انتشار الزراعة.

ويذكر بوتزر أن مخلفات العظام والرسومات والنقوش الجدارية تعطى صورة واضحة للحـياة الحيوانية فى أنحاء الصـحراء الشرقية، وفيـما يلى بعض الأمثلة: وادى العطوانى: الفيل والزراف والنعام والوعل والغزال.

وادى زيدون ووادى منيح: الفـيل والزراف والنعـام والأسـد والغنم البـرية والغزال. وادى الخريت: الزراف والنعام والفـيل والوعول والأيائل ووحيد القرن. وقد كان وجود الفـيل ووحيد القرن من الأسباب التى أدت إلى الـقول بأن متوسط هطول الأمطار فى تلك الفترة الزمـنية بالصحراء الشرقيـة تتراوح ما بين 100-150 ملليمتر فى العام مقابل 10 ملليمترات حاليا. وفى فـترة معينة قبل عام 3600 قبل الميـلاد تسنبب نقص هطول الأمطار فـى تقلص أعـداد الأفـيال ووحـيـد القـرن والزواحف وسميت بفترة الاضمحلال الحيـوانى الأول. وتلتها فترة أخرى فيما بين

الأسـرتين الأولى والرابعة من الدولة الفـرعونـية القـديمة. وفى الظروف المناخيـة الصحراوية السائدة حاليـاً بين جبال البحر الأحمر فإنه تصـيب بعض أجزائها صبة مطرية أو أكثر فى العام. وقد يحدث إعصار مطرى يتسبب فى حدوث سيول تتخذ من الوديان مجارى تجرف ما يقف فى سبيلهـا من منشآت. وتختزن صخور الجبال قدراً مما يصيبها من أمطار فتحتفظ بعض الشقوق الصخرية فى أحد الشعاب ببعض الماء ويتجـمع فى شكل برك صغيرة من الماء العـذب يسعد به رواد الصحـراء أياما حتى يـجف وهو ما يسـميه الـبدو «المجل «أو الجلت». كـما تحـتـفظ الرسوبـيات الوديانية بقدر محـدود مما يتسرب إليها من مياه الأمطار المتجـددة مما يتيح حفر آبار فى المواضع المناسبـة. وعلى مدى التاريخ اهتم رواد الصحـراء الشرقية بحـفر آبار المياه فى الوديان وهى حاليـا منتشرة فى كل أرجائها. ولعل أشـهر هذه الآبار «بئر الحمامات» الذى ظل حتى الآن معطاء لقدر صغير من الماء ولكنه عطاء دائم استمر منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام ومازال.

(31) ولا ترى فى الصحـراء الشرقـية من النخـيل إلا النذر اليسيـر بعكس منخفضات الصحراء الغربية. أما وديان الصحـراء الشرقية فتتناثر فى مجاريها أنواع بعينهـا من أشجار وشـجيرات وأعـشاب تتناسب مع الظروف الصحـراوية، فمن الأشجار نجد السيال أو السنط والسمـر والإتل والتندب. وشجرة الهجليج معروفة كذلك وتـعطى ثمرة إسمـها «اللالوب» تنسـب إليها بعـض الفوائد الطبـية. ومن النباتات الصحراوية الصالحة للرعى «البسلة» وهى نبات عشبى له أوراق إبرية تكون لينة صالحـة للمضغ حينـما تكون خضـراء ولكنها تصعب للأكل بعـد جفافـها إذ تصبح أوراقها الإبرية «سلة» أو إبر تؤذى فك الجمل. وتنمو أعشاب السلامكة (أو السنامكـة) فى بعض الوديان ويميـز البـدو نوعـين منهـا، السنامكة الغـنامى التى تستـسيغـها الغنم والماعز، والسنامكة الجمالى التى لا تسـتيسـغها الغـنم وتأكلها الجمال. ومن الشجيرات ما يتكاثف فى مواضع الرطوبة من الوديان، ومنها تقتطع أعواد ذات فـائدة. تقـتطع أعواد «الأراك» لاسـتخدامـها سـواك، وتقتطـع أعواد

مستقيمة من السلم تصلح عصيا مثل الخيزان. ويعرف البدو الحنظل الذى يشبه صغار ثمار البطيخ ويضرب به المثل فى المرارة. وتعرف أيضا أعشاب الحرجل والحلفا ولها فوائدها الطبية. ومن الأعشاب ذات الصفة الخاصة عشب «الربل» الذى تفوح من أوراقه رائحة عطرية تشبه رائحة «اللافندر»، فإذا أصابت الأمطار أحد الشعاب الوديانية التى تكون بذور الربل كامنة فيها انتظارا للغيث، فإن من يدخلون هذا الشعب بعد أسابيع محدودة من هطول المطر يدخلون حديقة فواحة العطر. وعلى المستويات المرتفعة من الجبال يمكن رؤية «السمبوك»، و«الأرا».

وفى بعض وديان جنوب الصحراء الشرقية ما زال يعيش الغزال بأنواعه وبعض التياتل كما قد تكون هناك أفراد معدودة من النعام فى أحراش جبل علبة فى أقصى الجنوب. والحشرات شائعة ومنها العناكب والعقارب والجعارين و«الُقراد»، كما توجد من الزواحف الثعابين، ويوجد «الورن» والضب.

(ب) سكان الصحراء الشرقية:

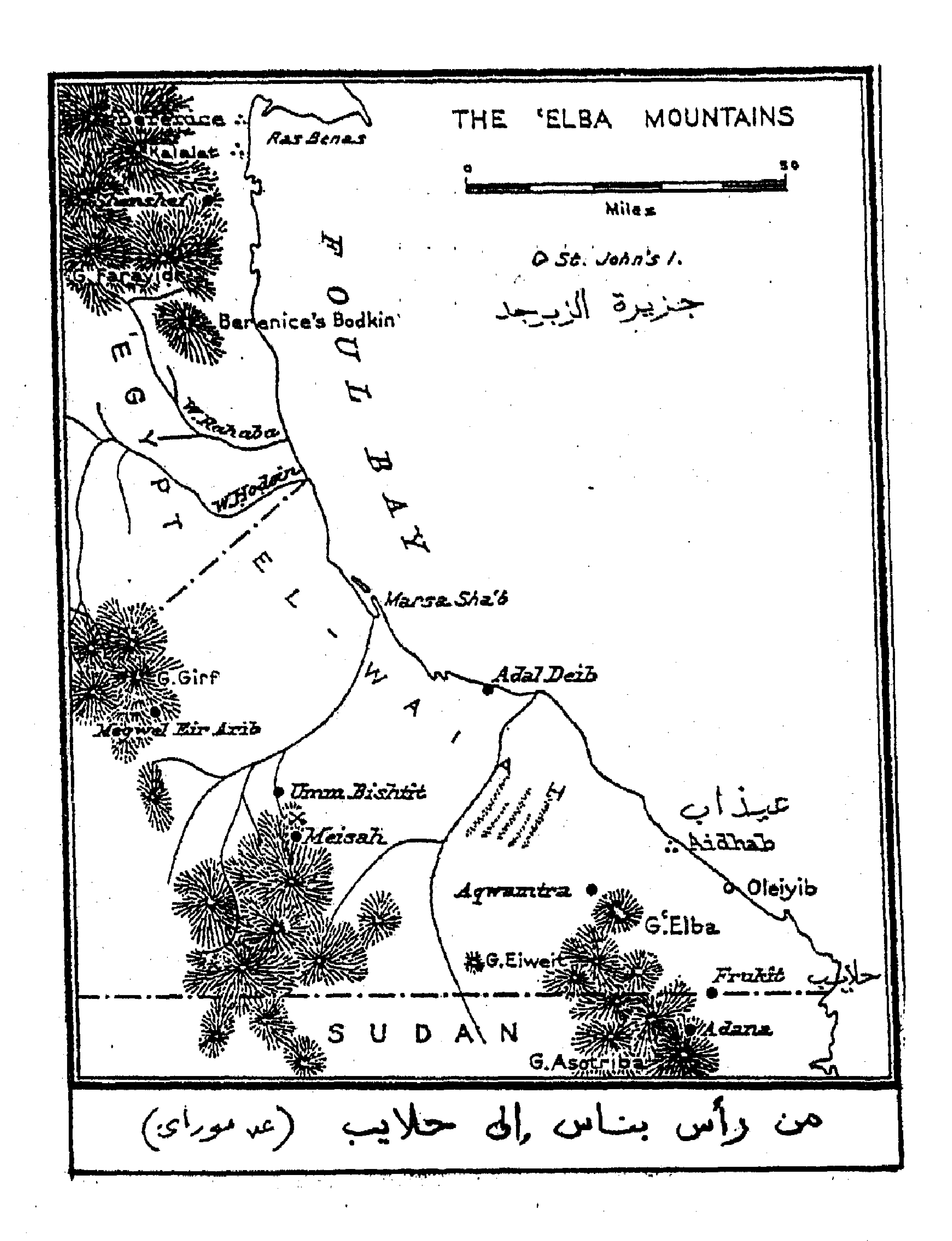
يطلق على سكان الصحراء الشرقية فى مصر والسودان اسم «البجة» جامعة لكافة القبائل، وهى تسمية تاريخية ظلت شائعة منذ الوجود الإسلامى فى هذه المناطق. وقد لا تكون هذه التسمية حاليا منطبقة على الواقع بعد ما استجد من اندماجات وهجرات منذ القرن التاسع عشر. والتقسيم المتعارف عليه بين الجغرافيين يجعل سكان الصحراء الشرقية المصرية ثلاث مجموعات قبلية: المعازة شمالا ويليها العبابدة ثم البشارين فى المناطق الحدودية الجنوبية.

(5) تسكن قبائل المعازة المناطق الممتدة من جبال الجلالة شمالا حتى الخط الواقع بين الغردقة وقنا. وهى تنتمى فى أصولها إلى قبائل المعازة فى أرض مدين والمقيمة بين البتراء وتبوك شمال غرب الجزيرة العربية. وقد تفرقت قبائل المعازة فى مصر ولم يعد يمارس حياة البدو منهم ألا القليلون. أما الغالبية فهى إما اندمجت فى التجمعات السكانية على ساحل خليج السويس والبحر الأحمر أو هاجرت إلى الدلتا والوادى.

(31) وتنقسم العبابدة إلى أربع قبائل رئيسية هى: الجميلية والعبودين والفقراء والعشاباب. وهم سكان منتصف وجنوب الصحراء الشرقية المصرية التى يطلق عليها الجغرافيون والرحالة أحيانا اسم «العتباى». والجميلات هى القبيلة التى اندمجت تماما فى داخل الوادى ولم يعد لها تقريبا أفراد فى الصحراء. ومن الصعب حاليا تحديد أماكن سكنى كل قبيلة من قبائل العبابدة إذ استقرت جماعات فى داخل الوادى شرق وغرب النيل وفى هامش الوادى وفى النطاقات التى تسمى «الحواجز» ومفردها حاجز أى نطاق فى الانتقال بين الهضبة الصحراوية والوادى المزروع. ولكل قبيلة رئاسة يلجأ إليها أفراد القبيلة للتقاضى والاحتكام. وفى القصير مقر لإحدى هذه الرئاسات كما يوجد مقر لرئاسات أخرى فى بلدة دراو ومدينة أسوان.

وكانت سكنى العبابدة تمتد جنوباً خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر إلى المنطقة المعروفة الآن بمثلث حلايب. ففى أوائل القرن التاسع عشر هاجرت أغلبية العبابدة شمالاً وحلت محلها مجموعات من البشاريين. ولأسباب قد يكون أهمها حدوث قحط عاد العبابدة يطالبون بحقوقهم القديمة للعودة إلى تلك الأراضى. وقد أدى هذا احتكاكات بين العبابدة والبشارية مما دعا ناظر الداخلية فى مصر إلى أن يصدر قرارا فى 4 نوفمبر عام 1903 بوضع خط إدارى يقسم جزءاً من أقصى الصحراء الشرقية جنوبا بين البشارية والعبابدة حسما للنزاع. وكانت السودان فى ذلك الوقت تحت الحكم المشترك المصرى الإنجليزى.

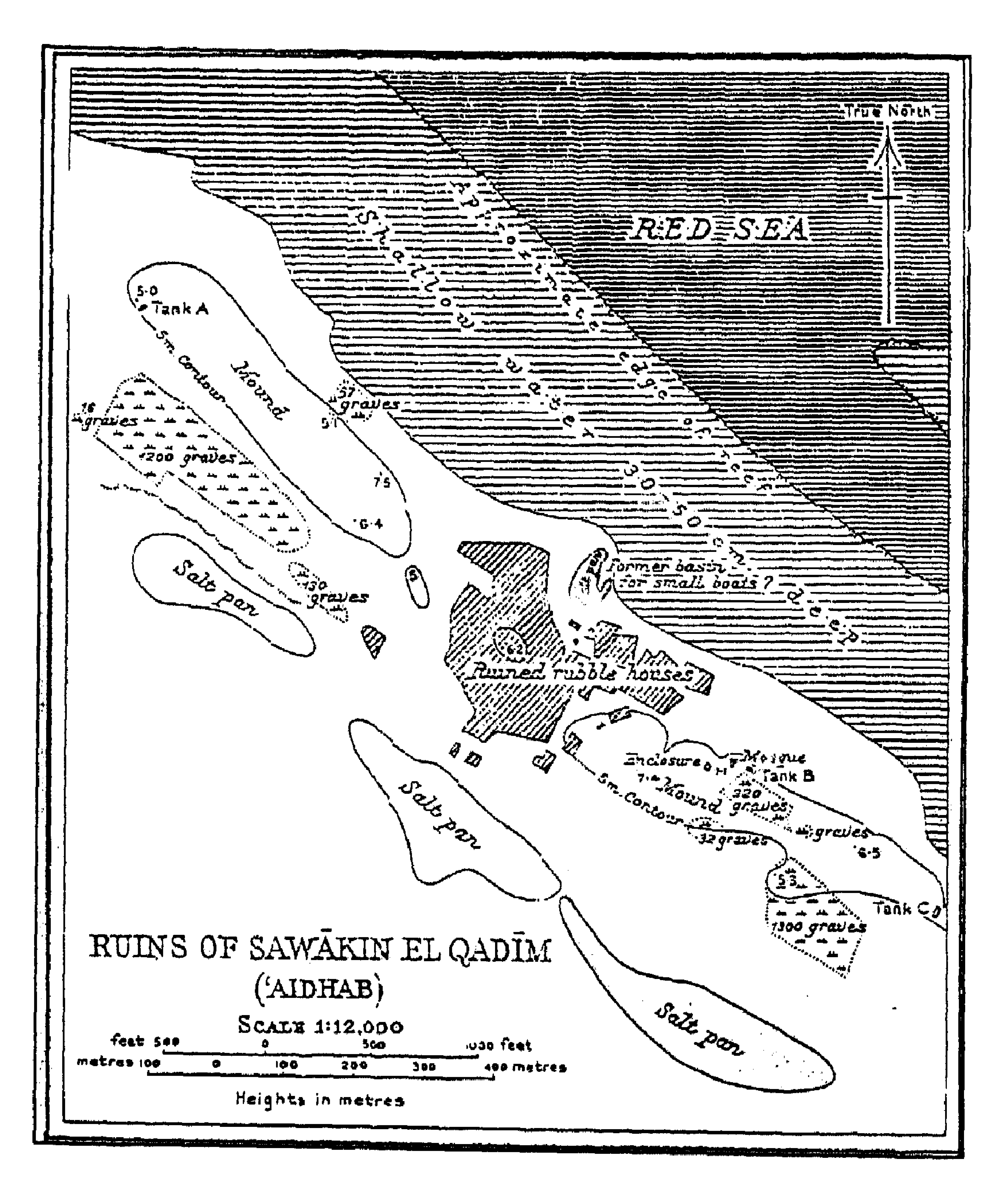
أما البشاريون فهم يسكنون الصحراء السودانية فيما يتاخم الحدود المصرية، وتمتد مناطق إقامتهم إلى مشارف نهر عطبرة. وقد وصف الرحالة بوركهارت عام 1822 البشاريين كما وصفهم لينان دى بلفوند. ويذكر أنه أثناء الحركة المهدية فى السودان وصلت قوات من الأنصار بقيادة عثمان دقنة عام 1889 إلى حلايب ولكنها جلت عنها سريعاً.



من رأس بناس إلى حلايب (عن موراى)

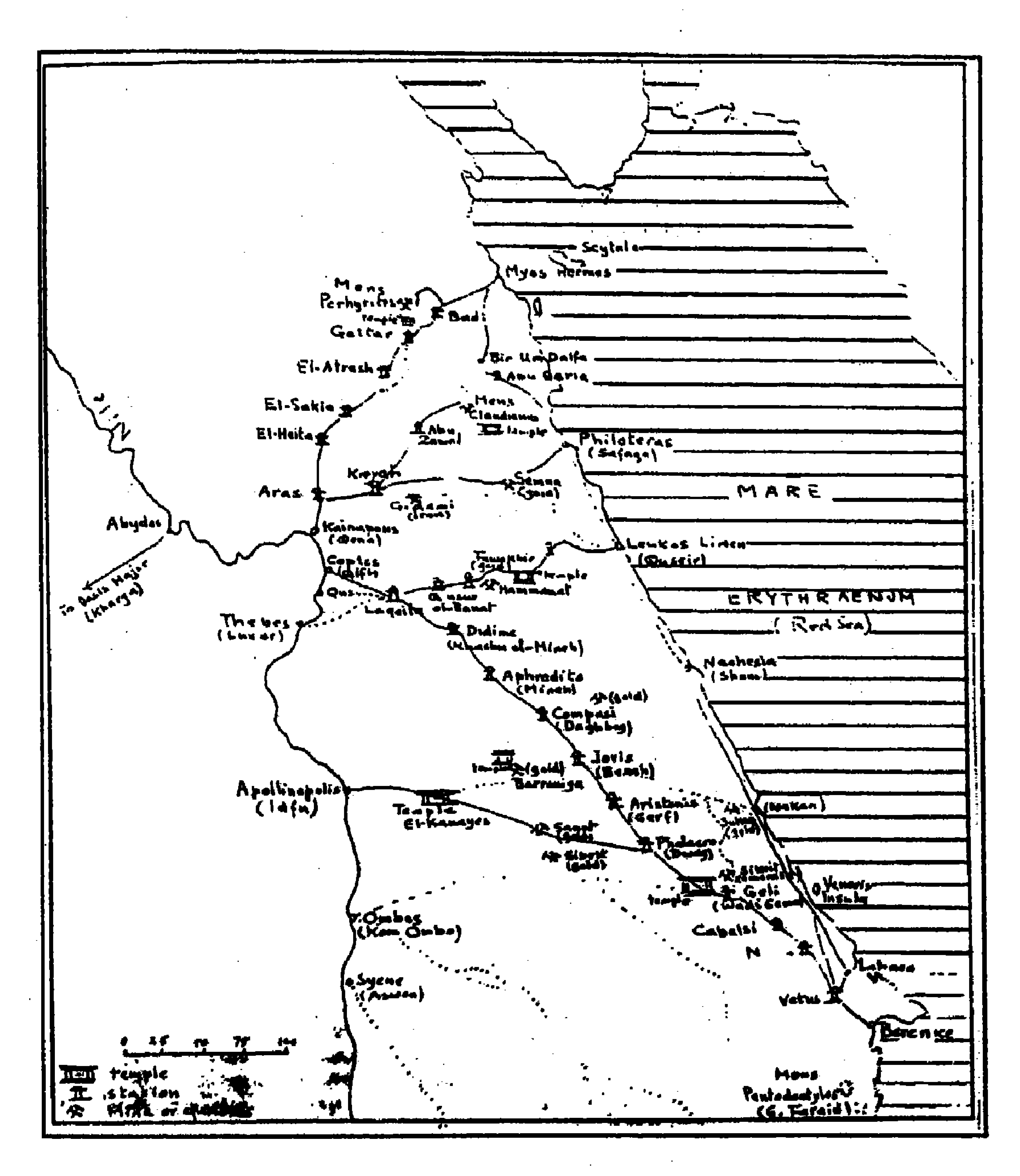
من رأس بناس إلي حلايب

[عن موراى]



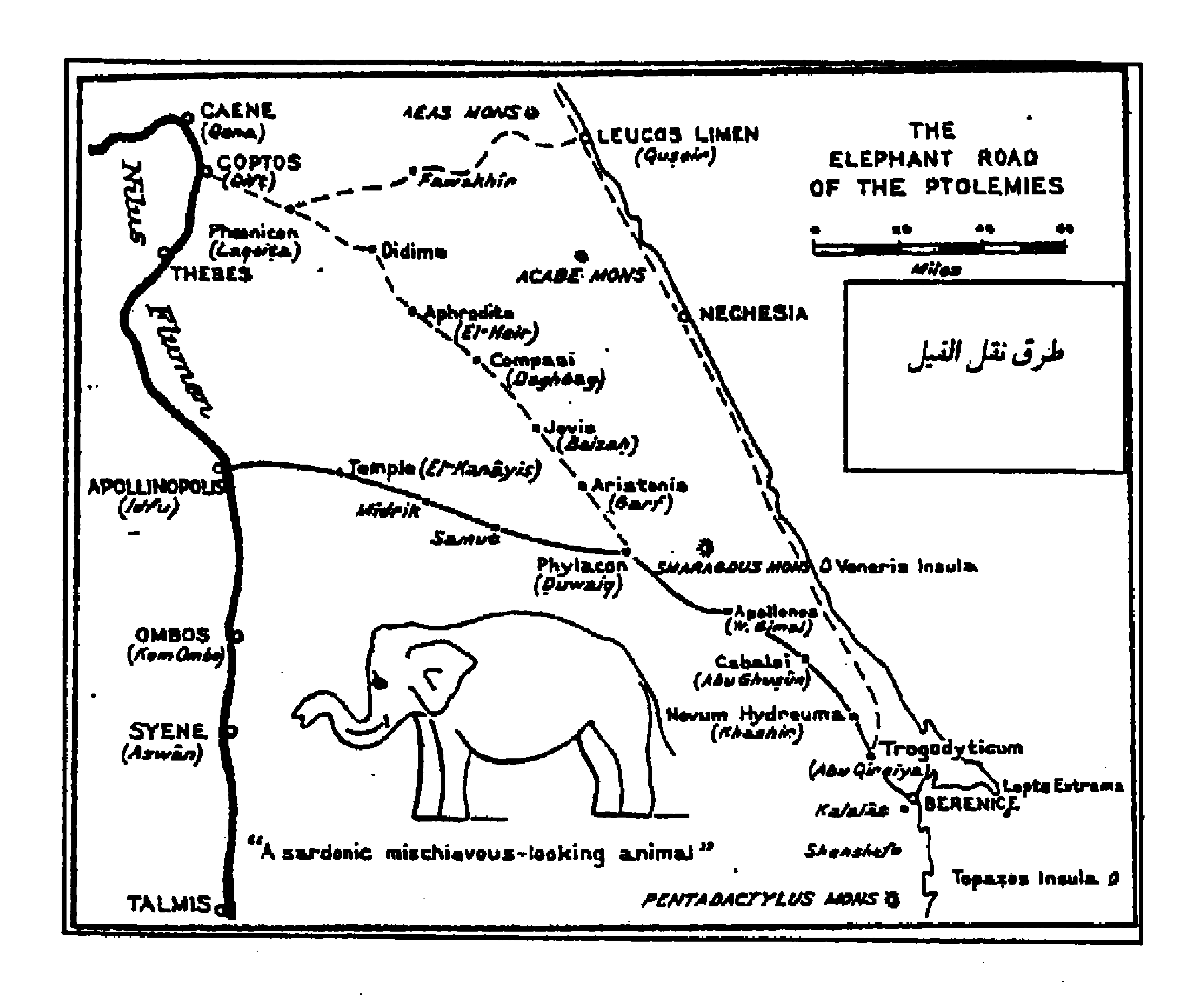
أطلال مرسى عيذاب

[عن موراي]



الطرق الصحراوية فى جنوب الصحراء الشرقية

(الطرق الرومانية)



(75) وقد ارتبط العبابدة بصفة خاصة بكل النشاط الاستكشافى للثروة المعدنية بالصحراء الشرقية منذ القرن التاسع عشر إلى الآن. ويتميز العبادى بذكاء واضح وقدرة على القيام بدور الدليل لدروب الصحراء وجبالها ومعرفة متوارثة بمواضع الخامات المعدنية والمناجم القديمة. فهم خير عون لكل من ارتبط عمله باستكشاف الثروة المعدنية بالصحراء الشرقية. وقد عرف عنهم ولاؤهم للسلطة المصرية والبعد عن إثارة المتاعب. ولا يتمتع العبادى بقدرة جسمانية تمكنه من العمل الشاق فى المناجم وخاصة داخل المغارات، لذلك فإن الاعتماد فى مثل تلك الأعمال يكون دائما على رجال وادى النيل سكان الصعيد الأشداء. ويخضع شباب العبابدة للتجنيد فى القوات المسلحة المصرية. ويشارك العبابدة فى الحياة النيابية ويعطون أصواتهم ولهم أكثر من ممثل فى مجلس الشعب والشورى.

(جـ) رواد الأسرات الفرعونية والتعدين:

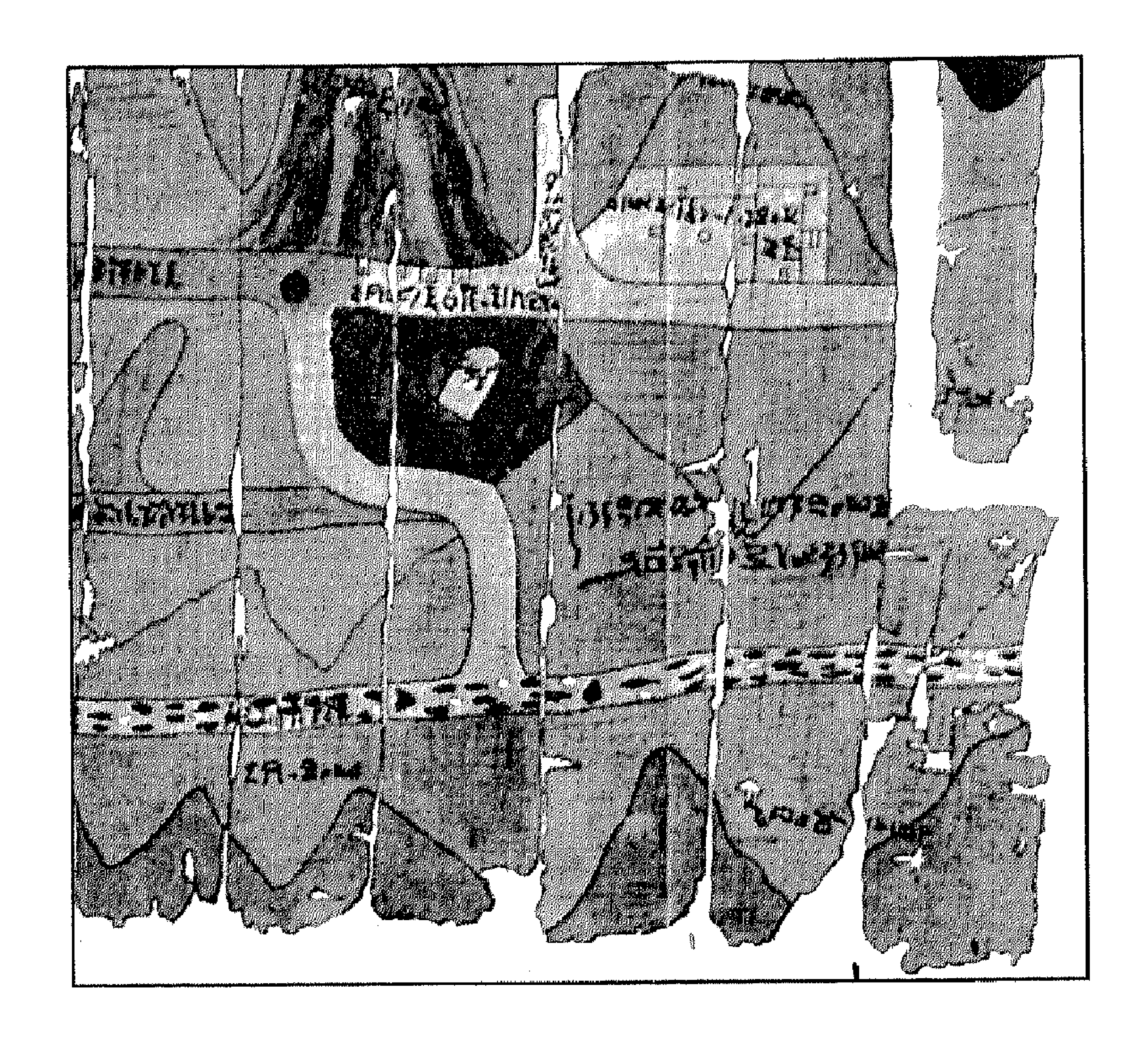
قبيل بداية الأسرات كانت الصحراء قد قلت أمطارها وتحدد التنوع الحيوانى القاطن للصحراء وهو هدف حرفة الصيد لرواد الصحراء وقاطنيها. وفى نفس الوقت أصبح الوادى والدلتا أكثر أمانا ولم تعد الأحراش تشغلها ولم تعد تسكنها التماسيح وفرس النهر. فاستقر الإنسان المصرى فى الوادى ودلتاه ومارس الزراعة واستأنس البقر والغنم والماعز والدواجن واستخدم الحمار فى الركوب والنقل.

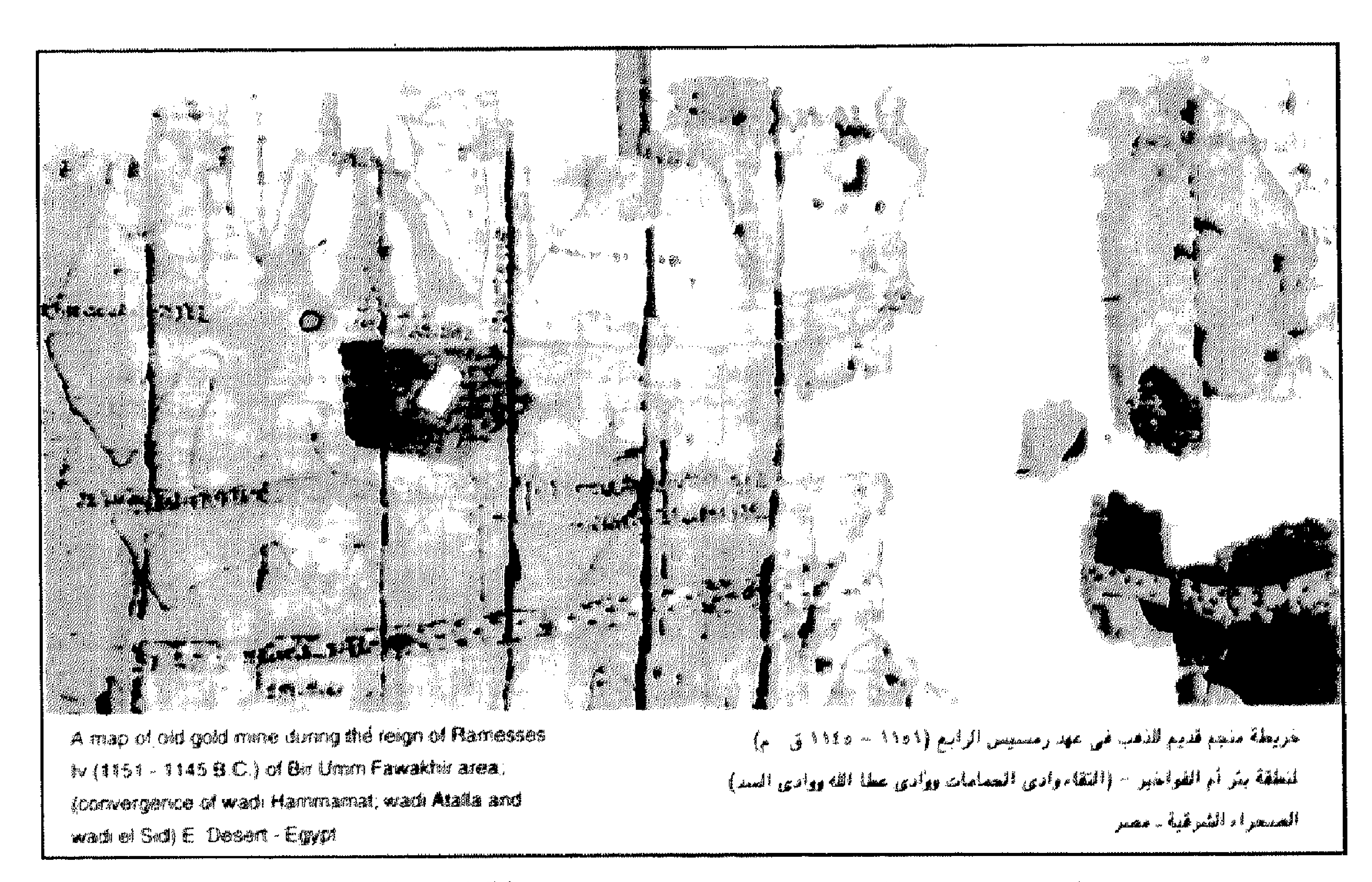
(42) وتكونت مجتمعات منظمة لها أصول فى التعامل ولها حرف ولها قيادة. وازداد تعداد المصريين مع تلك الظروف الآمنة وتكونت دولة بكل مقوماتها. والواقع أنه تكونت دولتان هما مملكة الشمال وعاصمتها «بوتو» قرب دسوق الحالية ومملكة الجنوب أى الصعيد وعاصمتها «هيراكونبوليس» وتقع على الضفة الغربية للنيل مقابل إدفو. ثم كانت الظروف مواتية لتوحيد المملكتين على يد «نارمر» أو مينا الذى أنشأ عاصمته فى منف لتكون فى مكان وسط بين شمال البلاد وجنوبه.

ولقد استمرت الصلة المباشرة بين سكان وادى النيل والصحراء الشرقية منذ ما قبل الأسرات صلة وثيقة دائمة. ولعل هذه الصلة تفوق صلة سكان وادى النيل بالصحراء الغربية وسيناء. فإن الصحراء الشرقية هى المستودع الرئيسى لخامات المعادن الفلزية وخامات المعادن الحجرية وأحجار الزينة والأحجار النفيسة وشبه النفيسة. ونعرض هنا جوانب من نشاط استخراج بعض المعادن والأحجار التى تميزت بها الصحراء الشرقية وأعطتها أهمية خاصة.

الذهب:

منذ ما قبل الأسرة الأولى الفرعونية عرف المصريون من رواد الصحراء الشرقية الذهب وأدركوا صفاته وندرته وبحثوا عن أماكن وجوده بين الصخور ونقبوا وحفروا الأنفاق فى أغوار الجبال واستخرجوه وخلصوه من شوائبه ونقّوه إلى درجة عالية من النقاوة وصاغوا منه مشغولات فائقة الجودة.





خريطة منجم قديم للذهب فى عهد رمسيس الرابع (١١٥١ - ١١٤٥ ق م)
لمنطقة بئر أم الفواخير - (التقاء وادى الحمامات ووادى عطا الله ووادى السد)
الصحراء الشرقية - مصر

A map of old gold mine during the reign of Ramesses Iv (1151 - 1145 B.C.) of Bir Umm Fawakhir area. (convergence of wadi Hammamat, wadi Atalla and wadi el Sid) E. Desert - Egypt

خريطة منجم قديم للذهب في عهد رمسيس الرابع (1151 - 1145 ق م)

(38) ومنذ الأسرات الأولى نظمت الحكومات كيفية التعدين لاستخراج الذهب وحراسته ونظمت استخداماته. ويحدثنا عالم المصريات عبد العزيز صالح أن الذهب ازدادت أهميته خلال الأسرتين الرابعة والخامسة فى تكوين مالية مصر. ففى عهد الأسرة الخامسة كان قد اكتمل نظام خزينة الدولة بإنشاء «بيت الذهب» أو «برنوب» حيث كان يخزن الاحتياطى من ذهب الحكومة، وكان بعض كبار موظفى الدولة فى القصر الملكى يشغلون وظيفة المسئول عن بيت الذهب. وكان الاحتياطى الحكومى من الذهب ألزم ما يكون للدولة لتمويل الأعمال الضخمة التى كانت تقام فى تلك العهود.

(82) ويستطرد عالم المصريات «برستيد» بأن النظام المالى للدولة تطلب وجود مسئول عن خزائن المال عالى المستوى وكان ملحقا بالبلاط الفرعونى وكان يعاونه اثنان من المساعدين، وكانت هذه المجموعة من المسئولين عن الجهاز المالى يعطى لها اسم «خزنة الآلهة». ومن ضمن اختصاصات هذا الجهاز الإشراف على مشروعات الدولة الكبرى، كما كان من اختصاصاته الإشراف على تحصيل الموارد ومنها الموارد الناتجة عن عمليات التعدين والتحجير والإشراف الحقلى إذا لزم الأمر.

(122) وخلال الدولة الفرعونية الوسطى (الأسرتان 11و12) زاد الطلب على الذهب من مصادره بالصحراء الشرقية. ويذكر «فيركوتير» أنه خلال الدولة الوسطى أضيفت مصادر جديدة للذهب جاء ذكرها تحت مسمى منطقتين هما «واوات» و«كوش». وتضم منطقة واوات مصادر الذهب بين أبى حمد وساحل البحر الأحمر.

وفى عهد الدولة الفرعونية الحديثة (الأسرات 18و 19و 20) كان نشاط التعدين فى يد الملوك مباشرة ومما يدل على ذلك قيام أحمس الأول (أمازيس الأول) أول ملوك الأسرة الـ 18 بالتفتيش بنفسه على المناجم. وكان فن صهر الفلزات (الميتاليرجى) واستخلاصها وتنقيتها من أسرار كبار رجال الدين، وكان كبير الفنيين فى صهر الفلزات يحمل أيضا لقب كبير حملة الأسرار.

ويذكر التاريخ أن أمنحتب الثالث (الأسرة الـ 18) تزوج من إحدى أميرات بيت ملك الميتان (بلاد دجلة والفرات) وأنجب منها أمنحتب الرابع (إخناتون) وكتب ملك الميتان مرة إلى صهره أمنحتب الثالث يقول له (أخي: أرجو أن تهديني ذهبا كثيراً لا يحصى وإني على يقين من أن أخي سوف يحقق لي ذلك. . أليس الذهب في بلد أخي كتراب الأرض؟).

وقد بلغ اهتمام الفراعنة بتعدين الذهب أن سيتى الأول (الأسرة الـ 19) ذهب بنفسه إلى مناجم ذهب وسط الصحراء الشرقية عن طريق إدفو وأمر بحفر بئر ماء في موقع يبعد عن إدفو مسافة 59 كيلو متر ووصل البئر إلى مستوى سطح الماء وأعطى كميات ذات فائدة لرواد هذه المنطقة من الصحراء وأمر ببناء معبد صغير بجواره وهو معبد الكنايس. وفي جولته أمر بحفر عدد من الآبار في مواقع أخرى متفرقة قريبة من المناجم، وأمر بإقامة بعض المحطات في أنحاء الصحراء لراحة الرواد المسافرين، والمحطات مزودة بخزانات لحفظ ما يلزم من الماء. كذلك أمر سيتى الأول بحفر بئر عميقة في أعالي وادي العلاقي ولم تصل إلى مستوى الماء، واهتم بعده رمسيس الثاني فأمر بتعميق البئر ووصل إلى الماء.

ومن المقتنيات الأثرية التي أعطتنا بيانا عن المصادر الصحراوية للذهب، ثماني علب صغيرة وجدت بغرفة الكنز بمقبرة رمسيس الثالث من الأسرة العشرين (1198-1166 ق.م) بمدينة هابو بالصعيد. إذ أن ستا من هذه العلب كان بكل واحد منها قدر يسير من الذهب ومعها بيان بمصدر هذا الذهب.

وهذه المصادر حسب الكتابات هي:

1. «نوب أن كوش» أي ذهب منطقة كوش وهي التي تقع في الأراضي السودانية بين أبي حمد والبحر الأحمر.

2. «نوب أن ست» أي ذهب الجبل وقد تكون منطقة واوات التي تضم وادي العلاقي ووادي جبجبة وما حولهما.

3. «نوب أن مـو» أى ذهب المـاء وقـد يقـصـد بهـا الـذهب المجلوب من الرواسب الوديانية التى تجرفها جداول الماء من الجبال.

4. «نوب أن تيب» وتيب يقصد بها إدفو التى ينتهى إليها الطريق الصحراوى القادم من منجم البرامية وما حوله من مناجم أخرى للذهب.

5. «نوب أن نوبيت ونوبيت يقـصـد بها كـوم أمبـو التى ينتهى إليـها وادى شعـيت. وتقع مجـموعة من المناجم عند رأس وادى شـعيت وروافـده ومن بينها منجم حمش وسموت وذنجاش.

6. «نوب أن كبت» وكبت يقصد بها قـفط التى ينتهى إليها عدد من الوديان وأهمها وادى الحمامـات الذى تقع على جوانبه مجموعة من المناجم منهـا الفواخير وعطا الله وسمنه.

(71) وبجانب مـا ذكرنا عن هذه المناجم، فهناك منـاجم أخرى للذهب تقع إلى أقصى شمال ظهور صخـور القاعدة بين خليج السويس ووادى قنا. فمنذ عام 1982 وحتى عام 1998 اهتم بدراستهـا محمد عبـد التواب من المساحة الجيولوجية وجورج كـاستل أحد خـبراء المعهـد الفرنسى للدراسـات الشرقيـة الأركيولوجـية بالقاهرة. ومن ضمن نتـائج الدراسات إلقاء الضوء على مصادر منجـمية للنحاس والذهب فـى وادى دارا ووادى أم بلاد ووادى العـــرف وتبين أن المنـاجم الثـلاثة استـخرج منها الذهب والنحـاس خلال الدولة الفرعـونية القديمة ثم خـلال القرن الثالث الميلادى (زمن الحكم الرومانى) ثم خلال القرن التاسع الميلادى (زمن الحكم العربى).

(42) ومن الدلائل مـا يـشـيـر إلى سـابق وجـود دار للوثـائق فى الأزمنة الفرعونية تودع فيها بيانات عن الصحارى لكى يطلع عليها كل من ينوى ارتيادها. ويظهر أن تلك البـيانات التى كانت تدون على أوراق البردى كـانت تدعم بخرائط للطرق ويبين عليهـا أهم المعالم مما يفيـد الرواد من التجار ورجال التـعدين. ومن

أبرز ما يدعم هذه المقولة خريطة منجم الفواخير التى لها قصة تستحق أن تروى. ففى أوائل القرن التاسع عشر كان لفرنسا قنصل فى مصر اسمه «دروفيتى» وكان له اهتمام بالتنقيب عن الآثار. وقد حصل على مجموعة من البرديات ومن بينها بردية مرسوم عليها خريطة. وباع دروفيتى هذه المجموعة للملك سردينيا وبيدمونت «شارل فيليكس عام 1824. وتنقلت هذه المجموعة بين عدة جهات حتى أصبحت محفوظة فى متحف الآثار بمدينة تورينو بإيطاليا. وقد أثارت هذه الخريطة المرسومة على البردى اهتمام الباحثين فى علم المصريات.

(98) تعددت الآراء حول موقع المناجم والمحاجر التى رسمت على الخريطة. وقد حدد موراى عام 1942 الموقع بوادى الحمامات وأن المنجم هو منجم الفواخير والمحجر هو لحجر «بخن» فى وادى الحمامات. كما أكد الباحث «رومر» عام 1984 أن الخريطة قد رسمت أيام حكم رمسيس الرابع من الأسرة العشرين (حوالى عام 1150 ق.م) وأن الذى رسمها هو الفنان المصرى العبقرى «أميناخت» من أهالى دير المدينة إحدى ضواحى طيبة.

ولفافة البردى التى رسمت عليها الخريطة عرضها حوالى 41 سنتيمتر وطولها حوالى 282 سنتيمتر، ومبين بالخريطة موقع منجم الفواخير ومحجر «بخن» فى وادى الحمامات، ومبين بالخريطة بعض الوديان الأخرى منها ما يؤدى للبحر ومنها ما يؤدى للنيل. وقد بينت الخريطة اختلاف الصخور بألوان متعددة، مع ملحوظات مدونة على الخريطة بالكتابة الهيروغليفية. فالخريطة تعطى بيانات جغرافية وتعطى بيانات جيولوجية لمختلف نوعيات صخور الموقع، فهى خريطة جيولوجية وتعتبر أقدم خريطة جيولوجية يعثر عليها حتى الآن على الصعيد العالمى.

النحاس والرصاص:

قسم علماء التاريخ حضارات البشرية إلى مراحل منسوبة للمعادن (الفلزات) فهى حضارة النحاس ثم حضارة البرونز ثم حضارة الحديد وهكذا. وقد كانت مصر فى مقدمة الدول القديمة مع بدء حضارة النحاس، إذ عرفت النحاس فى

صورته الطبيعية الفلزية ثم عرفت كيفية الحصول عليه من أملاحه ومعادنه، وكان ذلك قبل عصر الأسرات فى مرحلة حضارية استعملت فيها أدوات نحاسية بجانب استعمال الأدوات الصوانية لذلك سميت تلك المرحلة بمرحلة الحضارة الحجرية النحاسية (كالكوليثيك). وقد عثر فى حفائر ما قبل التاريخ فى المعادى على كومة من خام أملاح النحاس وفرن لصهره، وقد ثبت أن هذا الخام مجلوب من الصحراء الشرقية. لقد كان استخدام البشرية للنحاس من البداية استخداما عمليا مدنيا مرتبطا بضرورات الحياة. لذلك فقد اعتبرت بداية استخدام الإنسان للنحاس (وليس الذهب) بداية مرحلة حضارية.

(42) ولم تكن سيناء هى المصدر الوحيد للنحاس فى مصر القديمة، فقد عرفت له مصادر أخرى فى الصحراء الشرقية. ففى شمال هذه الصحراء عرفت مناجم دارا وأم بلاد والعرف ومنقول، وفى جنوب الصحراء عرفت مناجم أم سميوكى وأبو سويل وحمش. (71) وفى عهد سنوسرت الأول (سيزو ستريس 1928- 1962 ق.م) من الأسرة الـ 12 من الدولة الوسطى استغلت مناجم نحاس فى الصحارى المقابلة للنوبة المصرية والسودانية.

(4) وعرفت مصر صناعة البرونز وهو سبيكة من صهير النحاس والقصدير عن طريق الوجود الحضارى للهكسوس فى مصر الذى استمر قرابة قرن ونصف (1730-1580 ق.م) واستخدمت مصر البرونز بجانب استخدامها للنحاس فى الصناعة بدءاً من الأسرة 18 من الدولة الحديثة، وقد تكون مصر قد استخرجت قدرا محدوداً من خام القصدير من منطقة المويلحة.

(84) وعرف المصريون زمن الفراعنة فلز الرصاص واستخدموه على نطاق محدود. ومن مصادر خام الرصاص على ساحل البحر الأحمر جبل الرصاص وأم غيج. وفى عام 1978 بينما كان أحد الجيولوجيين يقوم بمسح جيولوجى لحساب إحدى شركات البترول فى خليج السويس (منطقة خليج الزيت)، عثر على مناجم قديمة لاستخراج خام الرصاص فى جبل الزيت. وقد تولى المعهد الفرنسى

للدراسات الأركيولوجية الشرقية دراسة هذا الكشف خلال الفترة 1982-1986 . وبينت الدراسة وجود عشرات من المناجم القديمة التى كانت مستغلة خلال الدولتين الوسطى والحديثة الفرعونية، ثم توقفت بعد ذلك.

الأحجار:

(42) من أشهر ما اهتم المصريون باستخراجه من أحجار الصحراء الشرقية خلال الأسرات الفرعونية «حجر بخن» والألبستر. ويوجد حجر بخن فى وادى الحمامات على بعد حوالى 3.5 كيلومتر إلى الشرق عن بئر الحمامات الذى يبلغ عمقه حتى منسوب الماء 32 مترا. والثابت علمياً أن هذا الحجر هو «الجراى واكى» أو «التوفة البركانية» وهو الحجر الذى أطلق عليه المؤرخ اليونانى «بلينى» اسم Ferri coloris atque duritiae وهو حجر داكن اللون دقيق الحبيبات يقبل الصقل والتلميع وقد خلط بعض علماء المصريات أحيانا بين هذا الحجر وحجر البازلت كما أسماه بعضهم الشيست الأسود. وقد ترك العاملون فى محجر الجراى واكى (بخن) على جدران المحجر نقوشا سجلت أنشطتهم، ويتبين منها أن الملك «إيسبس» من ملوك الأسرة الخامسة هو أول من سجل نقوشا حائطية، كما توجد نقوش ترجع لملوك الأسرة السادسة ومنهم تيتى وبيبى الأول وميرنزع. ومن الأمثلة البديعة لتماثيل الجراى واكى التمثال الثلاثى الذى يضم منقاورع وعلى جانبه اثنان من الآلهة، ومن الأمثلة أيضا تمثال رأس الملك «وسركاف» من الأسرة الخامسة. وخلال الدولة الوسطى نقش على الجدران أسماء ملوك من الأسرتين 11 و12 وكانت تقتطع منه أحجار كبيرة الحجم. وخلال الدولة الحديثة نجد أن مصنوعات هذا الحجر لا تكاد تقع تحت حصر.

أما الألبستر فقد كان مُفضلا لجماله وسهولة نحته لعمل الفازات والموائد وبعض التماثيل الصغيرة. عرفه أهل الدولة القديمة واقتطعوا أحجارا من محجرى حاتنوب ووادى الأسيوطى. والأشهر هو حاتنوب الذى يقع على بعد 25 كيلو متر إلى الجنوب الشرقى لتل العمارنة. ومن ملوك الأسرة السادسة الذين تركوا نقوشاً

على جدران المحجر خوفو وبيبى الأول وميرنرع وبيبى الثانى. وقد عنى حكام الدولة الوسطى بتحجير ألبستر حاتنوب. وهناك نقش فى مقبرة أحد حكام أقاليم الصعيد واسمه «دهوتى حتب» الموجودة فى البرشة أمام بلدة الأشمونين قرب ملوى بالصعيد الأوسط. ويبين هذا النقش كيفية نقل تمثال هائل زمن الملك سنوسرت الثالث كما جاء ذكره سابقاً. وقد استمر استخراج الألبستر من محجر حاتنوب ومن محجر وادى الأسيوطى الذى بدأ استغلاله خلال الأسرة الـ 18 حيث نقش اسم الملكة نفرتارى على حائطه. ومن الأمثلة النادرة لاستخدام الألبستر النعش الذى صنع لسيتى الأول.

الطرق بين النيل والبحر الأحمر:

(34) لم تكن تجارة مصر البحرية فى مياه البحر الأحمر مزدهرة خلال الحكم الفرعونى، ومن بين المعلومات القليلة التى وصلت إلينا عن هذا النشاط التجارى نجد تسجيلا للرحلة البحرية التى أوفدتها حتشبسوت (1503- 1484 ق.م) من القصير إلى بلاد بونت، والتى جرى فيها تبادل سلعى. ويظهر أن المراكب كانت تبنى فى وادى النيل وتنقل عبر الصحراء مجزأة حتى تصل إلى ساحل البحر فتجمع. ولعل الرحلة التى سجلت زمن حتشبسوت قد سبقتها رحلات إلى بونت وإلى غيرها من موانى الساحل الإفريقى. وميناء القصير هو أقرب الموانئ للنيل عند قنا (قفط) ولذلك فإن وادى الحمامات كان مطروقا أكثر من غيره من المسالك الصحراوية. وطوال العهود الفرعونية لم تكن هناك كثرة من الموانئ، فبجانب ميناء القصير كان يوجد ميناء تجارى آخر هو ميناء الجاسوس المقابل لوادى الجاسوس الفوقانى (جنوب ميناء سفاجا بحوالى 20 كيلو متر). وكان اسم هذا الميناء قديما «ساوو» وكان الطريق إليه من قفط عبر وادى الحمامات حتى بئر «سالة» (على بعد 130 كيلو متر من قفط) ثم ينحرف فى اتجاه الشمال الشرقى كما يمكن الوصول لنفس الميناء من قنا بالسير فى وادى قنا شمالا حتى بئر عرس (على بعد حوالى 100 كيلو متر من قنا) ثم الانحراف شمال شرق فى اتجاه جبل

الدخان. وبجانب الطرق الرئيسية الثلاثة كانت هناك طرق أخرى غير رئيسية تنتهى فى مكان يبدأ من الرديسة أو الكاب أو كوم أمبو أو إدفو عبر وادى عبّاد.

(د) الرواد خلال الحكم البطلمى والرومانى والبيزنطى:

منذ أن غزا الإسكندر المقدونى مصر عام 332 قبل الميلاد إلى أن فتح عمرو ابن العاص مصر عام 641 ميلادية، مرت على مصر طوال 973 عاما ثلاث مراحل من الحكم، البطلمى ثم الرومانى ثم البيزنطى.

(42) بعد موت الإسكندر عام 323 ق.م تقسمت الإمبراطورية وتولى حكم مصر أحد قادته وهو بطليموس عام 306 ق.م وأنشأ عائلة حاكمة هى دولة البطالمة التى استمرت حتى عام 30 ق.م. حينما غزا الرومان مصر، وكانت العاصمة هى الإسكندرية حتى الفتح العربى. أما الرومان لقد حكموا مصر من روما على اعتبار أن مصر إحدى ولايات الإمبراطورية. وفى عام 285 ميلادية انقسمت الإمبراطورية إلى شرقية وغربيـة وآلت مصر إلى الإمبراطورية الشرقية (البـيزنطية) التى اتخذت لها عـاصمة على بحـر مرمرة فى «نيكومـيديا»، وفى القرن الثـانى نقل قسطنطين العاصـمة إلى «بيـونتيوم» التى عـرفت باسم «القسطنطينيـة» وطوال فتـرة الوجود البطلمى والرومانى والبـيزنطى سادت مصر نمطيـة متقاربة من الحيـاة تعارف علماء التاريخ على تسـميتها بـالحضارة «الهيلينيـة» التى صبغت مصـر بلغتها وبمقـوماتها الثقافية.

(4) ومما يذكره التاريخ أن مملكة تدمر التى نشأت فى الصحراء الواقعة شرق الأراضى السورية أمكنها فى أحد الأوقات تحت قيادة الملكة زنوبيا (الزّباء) أن تغزو مصر فى عصر الحكم الرومانى لفترة قصيرة.

الأنباط فى الصحراء الشرقية:

(34) لم تثبت وجود قرائن مادية لصلات مباشـرة بين مصر الفرعونية وشبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر. ولكن منذ أواخر العصر الفرعونى وخلال عصر

البطالمة وما تلاه أخذ التجار العرب يتوافدون من خلال الصحراء الشرقية فى اتصال بحرى مباشر، واكتشفت نقوش وكتابات عربية قديمة على صخور تحف جوانب الطرق القادمة من الموانئ القديمة فى سواحل الصحراء الشرقية. ودلت دراسة هذه النقوش على أنها نقوش نبطية تشبه النقوش النبطية فى مدائن صالح وما حولها من شمال الحجاز.

بلغ عدد النقوش المكتشفة فى أنحاء الصحراء الشرقية 81 نقشا أقدمها يرجع للعصر البطلمى المتأخر(50-30 ق.م) ويرجع أحدثها إلى منتصف القرن الثالث الميلادى، وأقصى امتدادها الشمالى عند قرية «المحمدية» (باليونانية Gerra) إلى الشرق من بورسعيد وأقصى امتداد جنوبا بين وادى الحمامات ووادى عباد. وكل النقوش المكتشفة من نوع النقوش التذكارية Grafitti التى يسجل فيها المسافر عبر الصحراء اسمه واسم والده وأحيانا اسم جده أو قبيلته مصحوبة بكلمات تعبر عن تمنيات المسافر فى رحلته مثل «سلم أو شلم» بمعنى سلام وكلمة «دكير» بمعنى للذكرى وكلمة «بطب» بمعنى حظ سعيد.

وقد كانت طرق التجار الأنباط تبدأ من ساحل البحر الأحمر عند مرسى «ميوس هورموس» (أبو شعر القبلى) شمال الغردقة بحوالى 30 كيلو متر، أو عند مرسى «فيلوتيرا » (جواسيس) وموقعها جنوب سفاجا بمسافة حوالى 22 كيلو متر، أو عند مرسى القصير القديم.

الرهبنة والأديرة فى الصحراء الشرقية:

(54) دخلت المسيحية مدينة الإسكندرية فى وقت مبكر على يد القديس مرقس الذى استشهد فى عام 62 ميلادية ودفن بالإسكندرية. وأخذت المسيحية خلال القرن الأول الميلادى تنتشر سراً فى البلاد مع انتشار المدارس الدينية واستمر الحال كذلك خلال القرن الثانى. وتنبه الرومان لظهور هذا الدين الجديد وبدأوا اضطهادا لمسيحيى مصر خلال حكم قيصر روما سبتيموس سيفروس (193-211 ميلادية) الذى أمر بمجازر فى البلاد. وفى عهد ديكياس «داكيوس» (249-250)

استؤنفت المجازر واستمرت حتى عهد حاليناس (253-268) مما سبب هروب عدد المؤمنين إلى أقاصى البلاد وإلى الصحارى. ثم حدثت فترة من الهدوء إلى أن انتهت بتعليمات دوقليديانوس عامى 302 و303 بمجازر فى أنحاء مصر.

ثم أحرزت المسيحية نصرا مبينا باعتراف الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الاول (323-337) بالمسيحية دينا مسموحاً به ضمن الديانات الأخرى ثم أصبحت المسيحية الدين الرسمى الوحيد فى جميع أنحاء الإمبراطورية فى عهد الإمبراطور البيزنطى ثيودوسيوس الأول(379-395) الذى أصدر مرسوما بهذا المعنى عام 390 ميلادية.

(53) ويشرف الصحراء الشرقية فى مصر أنها احتضنت منشأ الرهبنة إذ يرجع تأسيس الرهبانية المصرية بشكلها المعروف إلى الآباء القديسين بولا وأنطونيوس وباخوميوس ومكاريوس المصرى. وكانت جبال الجلالة فى شمال الصحراء الشرقية بما فيها من كهوف منذ بداية المسيحية ملاذا للرهبان.

الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس:

(53) كتب القديس جيروم سنة 374 ميلادية سيرة الأنبا بولا واعتبره أول «المتوحدين»، والمتوحد Anacboretes هو الراهب الذى يعيش منفردا بعيدا عن الناس. وقد اتخذ الأنبا بولا كهفا لسكناه فى أحد شعاب جبل الجلالة القبلية، ويقع جنوب الزعفرانة مسافة 26 كيلو متر على الطريق الساحلى ثم داخل أحد الشعاب الوديانية الوعرة مسافة 13 كيلو متر. وبجانب الكهف نبع ماء يكاد يكون صالحا للشرب(الأملاح الذائبة 1228 جزءاً فى المليون). يقول القديس جيروم نقلاً عن القديس أنطونيوس إن الأنبا بولا كان شابا عمره 16 عاما وقت اضطهاد داكيوس عام 250 وكان يتقن الخط القبطى واليونانى وأنه خرج باختياره من العالم وفضل حياة الرهبنة والتوحد إلى أن مات فى كهفه الذى اتخذه مسكنا.

(108) وقد بدأ الأنبا أنطونيوس حياة الرهبنة مبكراً. ويقص الأنبا إثناسيوس تاريخ حياة أنطونيوس بأنه ولد عام 251 فى بلدة كوما «قمن العروس» وخرج شابا

من حيـاة المدن إلى حياة التوحـد على أطراف المدن ثم تركها إلى الصـحراء. وفى عام 285 توقف عند قلعة قديمة مهجورة فى منطقة صحراوية جنوب إطفيح اسمها «بسبير» ومكانهـا الآن دير الميمون واتخذها مقراً مدّة عشـرين عاما، وذاعت سيرة تدينه فالتف حوله عدد من مريديه. وفى عام 305 تكونت منهم أول رهبانية بالحياة المشتـركة التى عـرفت باسم «كينـوبيوم» Cenobium وتعنى مكان «دير» به قلالى أصحـابها متـحدون فى نظام الحـياة. لذلك يعتـبر القـديس أنطونيوس أب لأول كيـنوبيوم وكـان يمثل التجـمع الرهبانى فى صـورته الأولى المبسطة. وانتـقل هذا التجمـع إلى كهف فى جبال الجـلالة القبلية يطل على وادى عربة بجـانب نبع ماء صالح للشرب (نسبة الأملاح الذائبة 1158 جزء فى المليون).

ويفصل الكهف الـذى سكنه الأنبا أنطونيوس عن الكهـف الذى سكنه الأنبا بولا ممر جبـلى وعر امتـداده بضعـة كيلومتـرات. وفى سنة 343 حين علم الأنبا أنطونيـوس أن الأنبا بولا على وشك أن يلفظ أنفـاسه الأخـيرة أسرع إليـه ولكنه وصل بعد وفاته فكفنه ودفنه فى الكهف الذى كان يقيـم فيه. أما الأنبا أنطونيوس فقد توفى عام 365. وقد بنى حول مقـر كل من الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس دير عرف باسم كل منهما.

ويذكر أنه خلال القرون الثلاثة 17 و18 و19 كان بطريق أقباط مصر منتخبا من بين رهبان دير الأنبا أنطونيوس. ويشغل هذا الدير حوالى ستة أفدنة ويعلو عن مستوى سطح البحر 410 مترا ويحوطه سور يمتد 1120 متراً يضم حديقة يرويها نبع يعطى يوميا 100 متر مكعب من الماء. وحـتى القرن التاسع عشـر كان للسور فتحة فى أعلاه يقوم الرهبان بتدلية حبل ينتهى بمقعد لرفع الزوار إلى داخل الدير، أما الآن فللدير بوابة.

أما دير الأنبا بولا فمساحته لا تتجـاوز واحداً من سبعة من مساحة دير الأنبا أنطونيـوس. وبالدير لوحة كـتب عليهـا أن الأنبا بولا ولد بالإسكندريـة عام 228 ومات عام 343. ويحيط بالدير سور طوله 455 مترا وكان الدخول بالرفع كما كان الحال فى دير الأنبا أنطونيوس.

طرق الصحراء الشرقية وموانيها:

لقد كانت الصحـراء الشرقية محل اهتمام المسئـولين فى مصر طوال الوجود الهيلينـى فهى طريق القوافل التـجارية للوصـول إلى المرافئ التى استـحدثت على طول ساحل البحر الأحـمر، إذ أن هذا البحر وملاحته وتجارته كـانت علامة مميزة لتلك الفـترة من تاريخ مـصر. كـمـا أن الصحـراء الشرقـية هى مـصدر المعـادن والأحجار التى استغلت منهـا مصادر محجرية لم تستغل من قبل، كـما استخرج من الأحجار الكريمة الزمرد والزبرجد.

(42) ذكر أجاثاركيـدس (عاش فى الفترة من 170-100 ق.م) وجود ميناء اسمه إفروديت وفى مواجهته ثلاث جزر وهذا يُطلق على مرسى أبو شعر القبلى.

وذكر المؤرخ «سترابو» ميناء إفروديت تحت اسم «ميـوس هورموس». وكان هناك ميناء آخـر اسمه «فيلوتيـرا» يقع مكان مرسى الجاسوس وقـد أطلق عليه هذا الاسم وهو اسم أخت بطليموس الثانى (فيـلادلفوس). وقد أنشأ هذا الحاكم ميناء برانيس عام 270 قبل الميلاد فى أحضان الخليج الذى يحده شمالاً رأس بناس.

(111) لقد كان مـيناء برانيس مزدهراً زمن البطالمة وعن طريقه كـانت تصدر من مصـر بضائع وتأتى إليهـا بضائع من الساحل الإفـريقى داخل البحر الأحـمر وخارجه. ومن أعجب ما كان مستـوردا من البضائع: الأفيال. وكانت الأفيال عند وصولهـا لميناء برانيس تساق فى الطريق الصـحراوى المتجه إلـى قفط، وعند نقطة متوسطة عند «الدويق» كانت تساق غرباً إلى إدفو لاختصار الطريق مارة بالكنايس، تلك كانت حالات نادرة. أمـا بضائع الشرق الإفريقى المعتادة فكان منـها البهارات والعطور وسن الـفـيل والأصبـاغ، ومن الهـند كـانت تأتى الأحـجـار الكريمة والمنسوجـات. وتعانى برانيس من نقص حـاد فى مصدر الماء الصـالح للشرب مما أجبرها على أن يكون تعـداد سكانها محدوداً. وكان مصـدرها للماء بئر «شنشف» ملحى بعد 13 كيلومترا إلى الجنوب وماؤه فيه ملوحة.

(103) ومن المراسى التى كانت مستخدمة مرسى يقع إلى الشمال عن القصير الحالية ببضعة كيلومترات وأعطى له اسم القصير القديم. وقد بينت التنقيبات فى أطلاله أنه استخدم فى القرن الأول من الحكم الرومانى وظل مستخدما إلى ما قبل الوجود الإسلامى فى مصر.

(115) ومن الإنجازات التى أفادت الملاحين الذين ارتادوا البحر الأحمر كتاب وضعه مؤلف يونانى مجهول أسماه «Periplus of the Erythrean Sea» أو «الطواف حول البحر الإبريثرى» وقد ترجم عن اليونانية، وقد وصف المؤلف تطوافه فى البحر الأحمر وسواحله الشرقية والغربية. واتخذ هذا الكتاب دليلا ومرشدا بحريا لمدة طويلة.

(78) ومن أهم مؤرخى المرحلة الرومانية البيزنطية «سترابو» و«بلينى» ومن الجغرافيين «بطليموس». وفى هذه المرحلة من تاريخ مصر وضع «دليل أنتونين» وعنوانه الأصلى «Itinerarium Provinciarum Antonini Augusti» الذى تم تأليفه زمن الإمبراطور دقلديانوس (305-385 ميلادية) وفيه بيانات تفصيلية عن الطرق فى مصر وخاصة فى الصحراء الشرقية والتى عرفت منذ ذلك الحين بالطرق الرومانية. وقد جاب سترابو أرجاء مصر عامى 25-24 قبل الميلاد ووصف طريقين هما الأكثر أهمية يقطعان الصحراء الشرقية، يبدآن من قفط ويذهب أحدهما إلى مرسى ميوس هورموس ويذهب الآخر إلى مرسى برانيس، وكانت السلع من الهند والبلاد العربية والأثيوبية ترد عن طريق هذين الميناءين. وذكر بلينى (23-79 ميلادية) فى معرض حديثه عن التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند عن طريق مصر، لنقل البضائع من قفط على ظهور الجمال إلى برانيس قاطعة مسافة 257 ميلاً رومانيا (الميل الرومانى يساوى 1482.40 متر) أى حوالى 380 كيلو مترا. وكان هذا الطريق الرومانى ممهداً ومجهزاً بثمانى محطات للراحة والتزود بالماء والغذاء، وبكل محطة خزان يحفظ فيه الماء لخدمة المسافرين وكان يسمى «هيدروما Hydroma» وكانت المسافة تقطع فى 12 يوما. ومن العلماء المصريين الجغرافى

الفلكى السكندرى «كلوديوس بتوليماوس» المعروف اسمه بطليموس الذى عاش فى الفترة 90-169 ميلادية وألف كتاب «الجغرافيا» ومن ضمن أجزاء هذا الكتاب الثمانية وصف للصحراء الشرقية وطرقها.

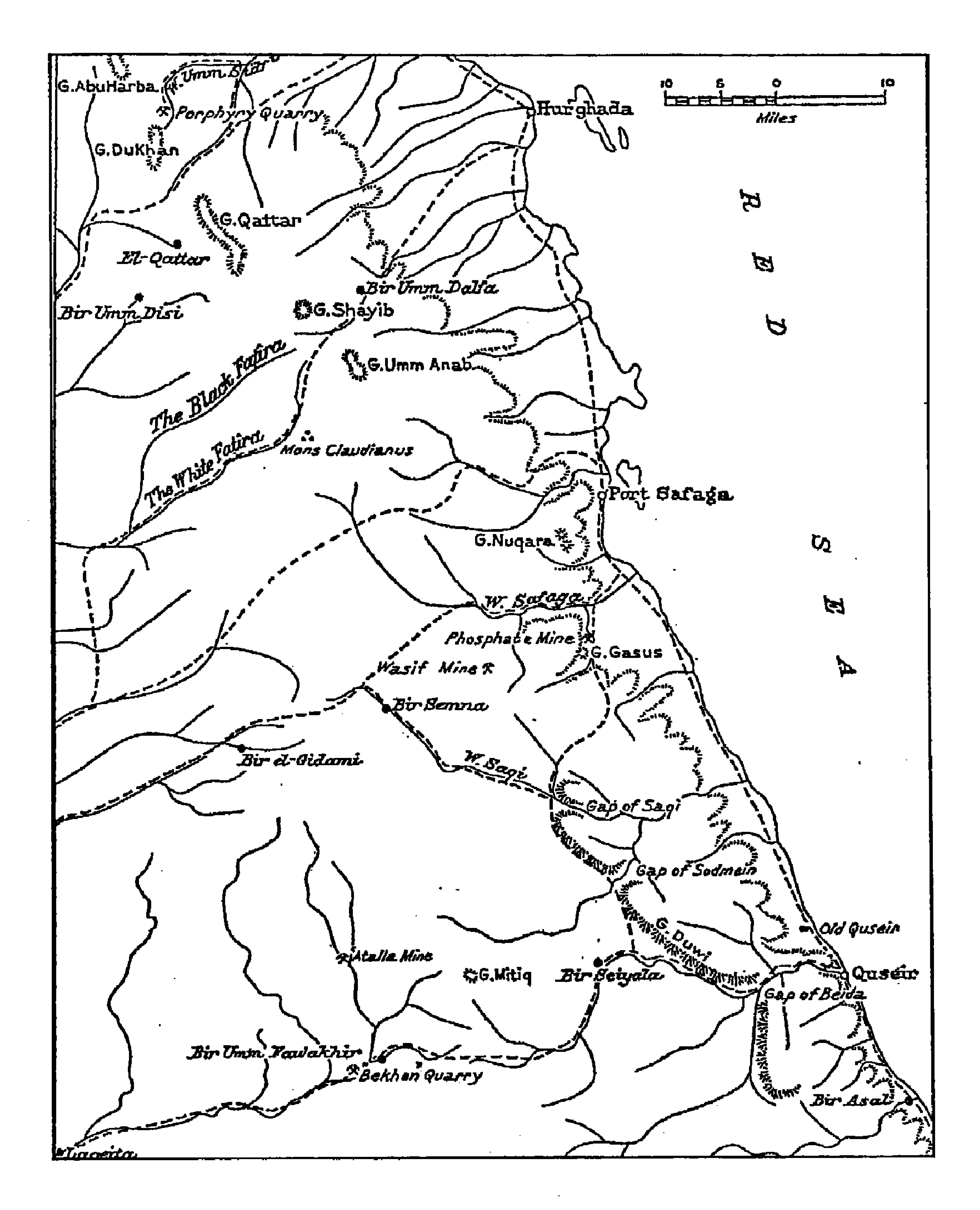
(98) ويعتبر بئر الحمامات أشهر آبار الصحراء الشرقية، وقد أعطى البئر باسم للوادى ولمحاجر «بخن» التى تقع على بعد 4.3 كيلو متر إلى الشمال الشرقى للبئر. والأرجح أنه حفر زمن الأسرات الفرعونية ثم توالت عليه العناية جيلاً بعد جيل. ويقع البئر عند التقاء وادى الحمامات مع وادى أم حاد ويبلغ عمقه حتى منسوب الماء 32 متراً، وقد اكتمل بناء حوائط البئر زمن الرومان فى شكل دائرى. وفى الوقت الراهن يمكن النزول فى هذا البئر بدرجات تلتف دائرياً حول جوانبه داخل بناء يحفظ الجوانب من الانهيار وفى هذا البناء فتحات لدخول الهواء والضوء للدرجات، أما وسط البئر فهو مكشوف للسماء.

(110) وقد رسم مورای فى كتابه عن الطرق والمحطات فى الصحراء الشرقية خريطة موقعا عليها ما كان موجودا زمن البطالمة وما استكمله الرومان ومهدوه وزودوه بوسائل الراحة وعلامات الطريق. ويتبين من هذه الخريطة أن شبكة الطرق كانت تربط ما بين مدن الصعيد وموانئ البحر



معبد منحوت فى بطن الجبل. أطلال مدينة سكيت لتعدين الزمرد

(زمن البطالمة)



محاجر: مونز بورفوريتس، مونز كلوديانوس، حجر بخن

[عن موراي]

الأحمر، فتربط ما بين قنا وقفط وإدفو وكوم أمبو وأسوان من جانب، وبين موانئ البحر الأحمر وأهمها أبو شعر القبلى وجاسوس والقصير ونكرى وبرانيس وآخرها فى الحدود المصرية حلايب.

مناجم ومحاجر الصحراء الشرقية:

(72) استمر استخراج الذهب نشيطا أثناء حكم البطالمة، ويظهر أن منجم الفواخير كان مركزا هاما لاستخراج الذهب بحيث أقيمت بالقرب منه قرية تضم مساكن دائمة للعاملين وأقيم لهم معبد بناه بطليموس الثالث إيورجيتس الأول (حوالى 240 ق.م). وقد أجريت دراسة عامى 1992 و1993 على تلك القرية التعدينية وتبين أنها كانت مسكونة منذ المرحلة البطلمية حتى المرحلة البيزنطية وتأكد وجود آثار بالقرية ترجع للقرنين الخامس والسادس الميلادى كما تبين أن من بين السكان من كان على الديانة المسيحية. (42) وكانت منطقة العلاقى هى الأخرى زاخرة بالنشاط خلال المرحلة البطلمية. وقد جاءنا عن المؤرخ أجاثاركيدس وصف مفصل لطريقة التعدين وطريقة استخلاص الذهب من الأحجار. وجاءنا عن المؤرخ ديودورس الصقلى أن تعدين الذهب كان احتكاراً للدولة، وأنه كان يساق إلى مناجم الذهب أحيانا بعض من المجرمين وأسرى الحرب. ويظهر أنه فى المرحلة الرومانية والبيزنطية كان الاهتمام بتعدين الذهب محدودا ومقتصرا على المنطقة المقابلة لقفط وإدفو، ويظهر أن مصادر الذهب جنوبا فى واوات وكوش لم تكن تحت السيطرة الكاملة لمصر.

(114) واستغلت خامات النحاس فى أبى سويل وسميوكى والمعطوى وفى أبى جريدة وحمش. ووجدت بقايا لصهر الحديد فى حمش وفى أبى جريدة، وكان هناك اهتمام بتعدين خامات الرصاص على طول ساحل البحر الأحمر كما كان هناك اهتمام بمصادر الكبريت فى رأس جمسة والرنجة ورأس بناس.

(58) وينسب المؤرخون إلى البطالمة اكتشاف وجود الحجر الكريم «الزبرجد» "Peridot" فى جزيرة صغيرة بالبحر الأحمر مقابلة للطرف الشرقى لرأس بناس

وتبعد عنه حوالى 55 كيلو متـر. والجزيرة على خط عرض 16، 36، °23 وخط طول 42، 11، °36 وهى مثلثة الشكل مساحتهـا حوالى 4 كيلومـترات مـربعة وأقصى ارتفاع لها 235 متراً فوق البحر. (42) وقد عرف المؤرخ أجاثاركيدس هذه الجزيرة باسم «جزيرة الثعـبان» وذكر أنه كان يستخرج منها حـجر كريم هو التوباز فهى جزيرة التوباز Topazios. وذكر بلينى أن أول حجر كريم استخرج منها أهدى إلى برانيس أم بطليـموس الثـانى فيـلادلفوس. ويرى عـالم المصريات البـريطانى «بيتـرى» أن الزبرجد كان معـروفا للمصـريين منذ الأسرة الثامنة عـشر من الدولة الحديثة الفرعونية.

(110) وفى زمن البطالمة استخـرج الحجر الكريم الزمرد Emerald ذو اللون الأخضر الجـميل على نطاق واسع واستمـر استغلاله حتى الجـزء الأول من العصر الرومانى فى مـصر. وهناك رأى لم تؤيده القـرائن المادية بأن قدمـاء المصريين أهل الدولة الحديثة اسـتخرجوه وكانوا يسمون منطـقة مناجمه Mafekma، أما الإغريق والرومان فكـانوا يسمون المنـطقة Mans Smargadus. كذلك ذكـرها سـترابو فى موسوعتـه الجغرافية وذكرها بطليموس السكـندرى. وتقع مناجم الزمرد فى الجبال التى تصب من الشـمال فى وادى الجـمـال، وأهم هذه المناجم سكيت وزيارة وأم كابو. وفى سكيت مـستعـمرة سكنية كـبيرة وملـحق بها ثلاث معـابد نحتت فى الصخور وعلى مداخـلها كتابات باللغة الإغريقيـة. وفى وادى نجرس الذى يتوسط منطقة المناجم عدد كبير من المساكن.

(42) ويذكر للبطالمة (الإغريق) أنهم أدخلوا مونة تسـتعمل فى المبانى مكونة من الرمل والجير الحى بعـد أن كانت مونة البناء المستخدمة قـبل ذلك العهد مكونة من الطين والجبس المحمص. ثم أدخل الرومان بعـد ذلك حرق الطوب اللبن فشاع استعماله فى المبانى.

ولـم يكتف الرومان فى مصر باقتطاع الأحجار من المصادر المألوفة حول وادى النيل بل أطلقـوا روادهم فى أرجاء الصحـراء الشرقيـة يتخذون أنواعـاً أخرى من مصادر الأحجـار ذات الرونق. ونورد هنا مثالين أحدهما لمحـجر لاقتطاع نوع من الجرانيت الرمادى اللون، والآخر لمحجر لاقتطاع نوع من حجر البورفير.

ويقع الاختيار على جبل من الجرانيت الرمادى برغم بعده عن وادى النيل فهو موجود فى سلسلة الجبال غرب سفاجا. والمحجر عبارة عن عدة واجهات لاقتطاع الحجر على امتداد حوالى الكيلو متر، والجرانيت هنا صالح لاقتطاع أعمدة ضخمة متماسكة. وما زال بأرض المحجر عدد من الأعمدة الإسطوانية أطوالها خمسة وسبعة وعشرة أمتار كاملة القطع والصقل معدة للنقل. وملحق بالمحجر منطقة سكنية ومعبد على جدرانه كتابات عرف منها أن المكان له اسم منسوب للقيصر الرومانى كلوديوس فهو Mons Claudianus. لذلك فإن العمل به يرجع إلى منتصف القرن الأول الميلادى. وبعد كلوديوس استغل المحجر كل من القياصرة تيتوس وتراجان وهادريان، ويظهر أن العمل توقف بعد ذلك فجأة.

والى الغرب من الغردقة تقع سلسلة جبال شاهقة الارتفاع منها جبال أبو حرية وأبو دخان وقطار وضمت تكوينات هذه السلسلة الجبلية صخوراً بركانية ذات قوام يورفيرى وسمى الجبل المكون من هذا النوع من الحجر بجبل البورفير Mons Porphyrites. واختار مهندسو الرومان نوعا منه لونه أحمر دقيق الحبيبات تنتشر فيه حبيبات أكبر حجما بيضاء اللون وتعطى عند صقلها أسطحا جميلة، وقد أعطى لهذا النوع من الحجر اسم «السماق الإمبراطورى Imperial Porphyrt» ويقع المحجر الذى اختاره الرومان قرب قمة الجبال المرتفعة وأقاموا حوله سكنى مستقرة للعاملين. وعلى الجدران نقوش تدل على زمن استخدام المحجر، وأحدث هذه النقوش ترجع إلى عام 335 ميلادى وأقدمها يرجع إلى عام 29 ميلادى.

وجدير بالذكر أن بعضا من أعمدة محجر مونزكلوديانوس والكثير من مشغولات أحجار مونز يورفيريتس موجودة حتى الآن فى أنحاء المدن التى كانت تضمها الإمبراطورية الرومانية شرقها وغربها.

(هـ) الرواد من الفتح العربى حتى الحملة الفرنسية:

(42) استغرقت هذه المرحلة من حياة مصر ألفا ومائة وسبعة وخمسين عاما منذ الفتح العربى لمصر عام 641 ميلادية إلى وقت قدوم الحملة الفرنسية لمصر عام

1798. فكانت مصر تحت حكم الولاة الموفـدين من ثلاثة من الخلفاء الراشدين ثم اثنى عشر خليفة من الخلفاء الأمويين (661-750) ثم ثلاثة عشر خليفة من الخلفاء العبـاسيين (750-870) ثم حكمت مصـر الدولة الطولونية (868-905) ثم الدولة الإخـشيـدية (935-969) ثم الدولة الفـاطميـة (969-1171) ثم الدولة الأيوبيـة (1171-1250) ثم دولة المماليك البحرية (1250-1382) ثم دولة المماليك البرجية (1382-1516) ثم كانت مصر تحت الحكم العثمانى (1516-1796).

الرحالة والمؤرخون:

لقد تناول مـوضوع صحراء مـصر الشرقـية جمهـرة من الرحالة والمؤرخين العرب ضمن مـا قاموا بتأليفه من مـصنفاتهم على مدى قرون متـتالية من المرحلة الإسلامـية. ونعطى فيمـا يلى سجلاً بأسـماء ومصنفات عـدد من هؤلاء الرحالة والمؤرخين على التوالى خلال ثمانى قرون هـجرية بدءاً من القرن الثالث إلى القرن العاشر الهجرى، مع ذكر تاريخ الوفاة بالتقويم الهجرى.

ممن عاش خلال القرن الثالث:

* ابن عبد الحكم (257 هـ): «فتوح مصر وأخبارها» (ليدن1920م).
* ابن خرداذبة(272): «المسالك والممالك».
* البلاذرى (279): «فتوح البلدان» (القاهرة 1956).
* اليعقوبى (284): «كتاب البلدان» (بريل 1860).

ممن عاش خلال القرن الرابع الهجرى:

* الطبرى (310): «تاريخ الرسل والملوك» (ليدن 1893).
* ابن عبد ربه (328): «العقد الفريد» (القاهرة 1953).
* الإصطخرى (340): «مسالك الممالك» (ليدن 1927).
* المسعودى (346): «مروج الذهب ومعادن الجوهر» (القاهرة 1958).

* المقدسى (378): «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» (بريل 1877).

* ابن حوقل: «صورة الأرض» (ليدن 1938).

ممن عاشوا خلال القرن الخامس الهجرى:

* البيرونى (440): «الجماهر فى الجواهر» (نسخة خطية بدار الكتب).

* ناصر خسرو (476): «سفرنامة» (القاهرة 1945).

ممن عاش خلال القرن السادس الهجرى والسابع الهجرى:

* الإدريسى (560): «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» (ليدن1866).

* أبو صالح الأرمنى (605): «كنائس وأديرة مصر» (أكسفورد 1895).

* ابن مماتى (606): «قوانين الدواوين» (القاهرة 1943).

* ابن جبير (614): «مذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار» (القاهرة 1955).

* ياقوت الحموى (626): «معجم البلدان» (طهران 1965).

* البغدادى (629): «الآفاق والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة» (مصر 1296 هـ).

* التيفاشى (651): «أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار (مخطوط بدار الكتب).

* ابن بعرة: «كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية» (القاهرة 1966).

ممن عاش فى القرن الثامن الهجرى:

* ابن الوردى (739): «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» (القاهرة 1910).

* النويرى (732): «نهاية الإرب فى فنون الأدب» (القاهرة 1923).

* ابن الأكفانى «السنجارى» (749): «نخب الذخائر فى أحوال الجواهر» (القاهرة 1939).

* ابن بطوطة (779): «تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

ممن عاش خلال القرن التاسع الهجرى:

* ابن خلدون (808): «العبر وديوان المبتدأ والخبر».

* القلقشندى (821): (أ) «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» (القاهرة 1915).

(ب) «نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب» (القاهرة 1959).

* المقريزى (845): (أ) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (القاهرة 1922).

* ابن تغدى بردى (874) «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة».

ممن عاش خلال القرن العاشر الهجرى:

* ابن إياس (930): «بدائع الزهور فى وقائع الدهور».

وقد استقيت ما يناسب هذا الكتاب مما نشره لفيف من الباحثين المعاصرين الذين شرحوا وحققوا هذا التراث العلمى.

القبائل والبطون العربية:

(4) لقد توالى قدوم قبائل من الجزيرة العربية إلى مصر خلال القرون الثلاثة الأولى من السنين الهجرية. وقد دخل الإسلام مصر مع قدوم عمرو بن العاص سنة 20/19 هجرية أى بعد سبع سنوات فقط من بدء تحرك الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية. ويذكر المحللون الاجتماعيون أنه قد طرق الأرض المصرية فى تاريخها الطويل أجناس مختلفة من البشر، امتزجوا بالمصريين بالتزاوج وارتباط المصالح دون أن يؤدى هذا إلى تغيير الخصائص الأصلية للشعب المصرى لأن هؤلاء الوافدين كانوا يفلحون فقط فى تجديد دماء الإنسان المصرى دون تغييرها إذ لا

يلبث الشعب المصرى أن يهضمهم، وكان ذلك أحد عوامل احتفاظ المصريين بحيويتهم عبر العصور.

وقد تعددت القبائل والبطون العربية التى وفدت إلى مصر وأقامت بها سواء مع الفتح الإسلامى أو بعده. وقد أوصل أحد الباحثين أسماء هذه القبائل وبطونها إلى 244 توزيعها كما يلى:

- قبائل عدنان وبطونها: وهم عرب شمال الجزيرة 30 قبيلة و30 بطناً.
- قبائل قحطان وبطونها: وهم عرب جنوب الجزيرة 61 قبيلة و111 بطنا.

وقد بلغ عدد الرجال الذين اشتركوا فى فتح مصر سنة 20 هجرية حوالى اثنى عشر ألفًا، وفى زمن مروان بن الحكم(64/ 65 هـ) كان جند رباط مصر أكثر من ثمانين ألفا، ثم استمر تدفق القبائل العربية بعد ذلك وأحضروا عائلاتهم كما تزاوجوا مع المصريين، وانتهى الأمر بالذوبان التام فى المجتمع المصرى وهو ما عبر عنه المقريزى بقوله إنهم «قد أبادهم الدهر». والواقع أن العرب فى مصر انتهى أمرهم كأفراد وقبائل إلى أن أصبحوا جزءا من نسيج الأمة.

(13) ومن الثابت أن جماعة من عرب «هوازن» عبرت البحر الأحمر فى أعقاب فتح مصر واستقرت فى أرض البجة (بين النيل والبحر الأحمر فى مصر والسودان) وعرفوا هناك اسم «الحلانقة». وتلت هذه الجماعة جماعة أخرى قدمت من حضرموت أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى عام 73 هجرية واستقرت هى الأخرى بين البجة وأصبحت جزءاً منهم وعرفوا باسم «الحدارية أو الحدارب».

دولة الكنوز والذهب:

(4) من بين القبائل العربية التى نزحت لمصر كانت قبائل مصرية اتجهت إلى جنوب مصر سعياً وراء ذهب العلاقى وأقامت فى أسوان وملكت الضياع فى بلاد النوبة خلال دولتى بنى أمية وبنى العباس. ومن ضمن من وفد إلى مصر قوم من بنى سُليم من أهل الحجاز وهم ممن مارسوا حرفة التعدين وعرفوا أسرارها فلا غرو

أن يتنقل جزء منهم إلى منطقة العلاقى لاستخراج ما بها من ذهب عن دراية وخبرة.

(13) ولعل أكبر الهجرات العربية إلى بلاد البجة هى التى حدثت بتكليف أحمد بن طولون (عام 254 هـ) لأحد رجاله وهو أبو عبد الرحمن العمرى بأن يقود حملة عسكرية إلى بلاد النوبة وبلاد البجة، وكانت تصحبه أعداد كبيرة من قبيلتى ربيعة وجهينة. وبسط العمرى نفوذه على أراضى البجة وتمت اتفاقات بين عرب ربيعة وجهينة من جهة ورؤساء البجة، بموجبها أعطت الحق للقبائل العربية النازحة فى الاستقرار الدائم بين البجة وسمحت لهم بالزواج منهم. وتوالت الأحداث بعد ذلك بأن انفرد بنو ربيعة بالأمر فى وادى العلاقى وأقاموا لهم شبه إمارة كانوا هم سادتها وكانت رعيتها قبائل البجة. وقد دأب بعض المؤرخين على إطلاق اسم «دولة الكنوز» على هذه الإمارة أو شبه الإمارة، وكان نفوذها يمتد على كامل أراضى جنوب الصحراء الشرقية ما بين البحر الأحمر والصعيد الأعلى وبلاد النوبة. ولعل فى هذه التسمية دلالة على سيادتها على مصادر الذهب فى وادى العلاقى وما حولها. وقد استمرت دولة الكنوز قائمة بضع مئات من السنين.

وقد وصف بعض المؤرخين العرب ومنهم ابن حوقل وياقوت الحموى والإدريسى والمقريزى استخراج الذهب من العلاقى وكيف أن رجال بنى ربيعة هم وحدهم الذين كانوا يعملون فيها. كانوا يذهبون ليلا فى أوائل ليالى الشهر العربى وأواخره إلى وادى العلاقى وفروعه حيث يحتمل وجود حبات التبر فى رماله ويعلّمون المواقع التي يضيئها الذهب «التبر» أى يظهر بريق لما بها من حبيبات الذهب وسط ظلام الليل، ويبيتون بها للصباح حين يحملون أكوام الرمل التى علّموها إلى حيث يعالجونها. ووصف الإدريسى وابن الوردى أن هذه الرمال تؤخذ إلى آبار الماء فتغسل لفصل الذهب بمساعدة الزئبق ثم يسبكونه. وقد ذكر ابن بعرة اهتمام الخليفة الفاطمى الآمر بالله (595-524هـ) بذهب هذه المناجم وتشجيعه بنى ربيعة (بنى الكنز) على استخراج المزيد من الذهب، بل أقام الخليفة الآمر بالله دارا لسكّ النقود الذهبية بمدينة قوص فهى أهم المدن وقتئذ للدخول لمناطق مناجم الذهب.

وفى أيام الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين، قيل إن موارد ذهب رمال وادى العلاقى قد نضبت ولهذا زهد بنو الكنز الإقامة فى الصحراء ورحلوا عنها إلى وادى النيل فى النوبة وفى السودان فى بداية حكم صلاح الدين الأيوبى. ولم يقتصر استغلال بنى الكنز للذهب وحده، إذ يذكر المقريزى فى «الخطط» أنهم استخرجوا خامات النحاس والحديد والرصاص و«حجر المغنطيس».

دولة الكنوز والزمرد:

اهتم عرب الكنوز باستخراج الزمرد من معادنه(مناجمه) وتسويقه داخل البلاد وتصديره واحتكار تجارته فى العالم. وقد وصف اليعقوبى الطريق من قفط إلى موقع مناجم الزمرد، وذكر أن الحفائر التى يخرج منها الجوهر تسمى «شيم» واحدتها «شيمه». كما وصف المقريزى والقلقشندى والتيفاشى وجود الزمرد فى مغارات مظلمة كان يدخل إليها بالمصابيح، وتُمد فيها الحبال ليستدل بها على الرجوع للمخارج خوف الضلال. ويحفر عليها بالمعاول فيوجد إما عروقا خضراء فى طبقات من الحجر الأبيض وإما مختلطا بالتراب. وكان ما يوجد فى العروق يسمى فى اصطلاح الجوهريين «القصب»، أما ما يوجد فى التراب فيعرف «بالفص». وقسم المسعودى درجات جودة الزمرد المصرى بأن أجودها يعرف باسم «المر» وهو شديد الخضرة يليه «البحرى» ثم المغربى ثم «الأصم». وذكر التيفاشى تقسيما آخر بأن أجودها «الذبابى» يليه «الريحانى» ثم «السلقى» ثم «الصابونى».

وقد أمد بنو الكنز البلاط الفاطمى بكميات من الزمرد، وقد بالغ المؤرخون فى تقدير هذه الكميات. إذ يروى المقريزى أن الأميرة عبدة بنت المعز لدين الله قد تركت عند وفاتها سنة 442 هجرية ثروة منها «أردب من الزمرد» كما يروى ابن إياس أنه وجد ضمن ما تركه جوهر الصقلى عند وفاته ألف قصبة من قصب الزمرد. وذكر ابن الأثير أن من ضمن مخلفات الخليفة العاضد التى استولى عليها صلاح الدين الأيوبى بللورة من الزمرد طولها أربع بوصات. وذكر القلقشندى أن بنى الكنز استمروا فى استغلال مناجم الزمرد مع احتكار تصديره إلى أن بدا لهم أنه قد نضب، وكان ذلك فى أواخر العهد الفاطمى.

التعدين زمن المماليك والعثمانيين:

تناقص تعدين الذهب والزمرد زمن المماليك إلى حد التوقف. وقد ذكر القلقشندى أن مصر اضطرت إلى استيراد الذهب من بلاد التكرور (فى غرب أفريقيا). أما الزمرد فيظهر أنه كانت تجرى محاولات لإعادة تنشيطه إلا أن المماليك انشغلوا عنه بالتجارة، فأخذ استخراجه يتناقص إلى أن انعدم تماما فى عهد السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون (709-741 هـ) (1309 - 1340م). وبرغم قلة النشاط التعدينى فى الصحراء الشرقية خلال الحكم المملوكى إلا أن ثروتها المعدنية كانت تتواتر أخبارها بين المؤرخين.

يقول المقريزى: (وبلدانهم كلها معادن وفيها الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس والمرقشيتا والجمشت والزمرد و«حجارة شطبا» فإذا بُلت الشطبة منها بالزيت وقدت مثل الفتيلة، وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه). و«حجارة شطبا»، كما وصفها المقريزى تنطبق على الحرير الصخرى (الأسبستس) الذى عرف وجوده فى الصحراء الشرقية فى وادى حفافيت الذى لا يبعد عن الجبال التى بها الزمرد.

بعد ذلك سكن التعدين فى الصحراء الشرقية زمن الحكم العثمانى. ويذكر المؤرخون حالة فريدة لتعدين الزمرد لفترة قصيرة خلال القرن الثامن عشر الميلادى. فقد اشتهر عن أحد البكوات المماليك اسمه على بك الجرجاوى معرفته لمواضع مناجم الزمرد، فكان فى كل عام يهيئ لوازم السفر والقافلة من الجمال تحمل الأرزاق وأدوات التنقيب ويأخذ معه المعدّنين. ويشتغل المعدنون جهد طاقتهم حتى إذا قاربت المؤن على النفاد قفلوا راجعين محملين بكتل الصخر التى بها حبيبات الزمرد. وقد خصص فى قصره بالقاهرة حجرات لاستخلاص الزمرد من الصخر وصقله. وبوفاته لم يستأنف أحد من بعده هذا النشاط.

موانئ البحر الأحمر:

ميناء القلزم (السويس):

ظل هذا الميناء يؤدى دوره على مدى التاريخ يربط بين مصر وموانئ البحر الأحمر والمحيط الهندى. وفى بداية القرن الثانى عشر الميلادى استولى الصليبيون على ميناء أيلة (العقبة) فهددوا أمن الملاحة فى الجزء الشمالى من البحر الأحمر كما هددوا طرق القوافل عبر سيناء فانتقلت معظم أنشطة التجارة البحرية إلى موانئ أخرى فى الجنوب بعيداً عن موطن الخطر.

ميناء القصير:

ذكر ابن سعيد الذى عاش فى القرن السابع الهجرى أن القصير «فرضة» «وص الشهيرة»، غير أن ميناء القصير لم يبلغ فى نشاطه التجارى وعدد ما وصل إليه من مراكب ما بلغه ميناء عيذاب.

(103) وقد بينت التنقيبات وجود ميناء صغير شمال ميناء القصير المعروف وأن هذا الميناء استخدم زمن المماليك البحرية فى القرن الرابع عشر الميلادى.

ميناء عيذاب: (42)

تقع أطلال عيذاب إلى الشرق من جبال علبة القريبة من الحدود السودانية فى رقعة قاحلة من الشاطئ. ومن وادى النيل إلى عيذاب كان يوجد طريقان للقوافل أحدهما يبدأ من قوص والآخر من أسوان كما كان يصلها درب غير مطروق خلال وادى العلاقى. وكان أهل عيذاب يعيشون على صيد السمك، ثم أخذت المرسى (الميناء) تنمو تدريجيا إلى أن صارت تنافس ميناء القصير إذ ازدهرت خلال القرنين الخامس والسادس الهجرى وأصبح كثير من التجار يفضلونها عن القصير. وصف الطريق من قوص إلى عيذاب كل من اليعقوبى والمقريزى وابن حوقل والإصطخرى، وكانت القوافل تقطعه فى 17-19 يوما كما وصف المقدسى وناصر خسرو وابن بطوطة طريق أسوان إلى عيذاب وكانت القوافل تقطعه فى 15 يوما، كذلك وصف ابن رستة واليعقوبى درب العلاقى إلى عيذاب.

بدأ المؤرخون يذكرون ميناء عيذاب من القرن الثالث الهجرى وازدادت أهميته فى القرن الخامس. واستمر حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتى عام لا يذهبون إلى مكة إلا عن طريق عيذاب. كان الزاد والماء يأتيها من مسافات طويلة. وكان أهل المنطقة من البجة يسيطرون على نقل البر والبحر من وإلى عيذاب. وقد أفادها من نقل الحجاج ومن التجارة فوائد عميمة فكانت قبائل البجة مسئولة عن حماية قوافل التجارة وتزويدها بالماء والزاد والغذاء. وكان البجة يفرضون ضريبة معلومة عن كل حمل يحملونه للحجاج من عيذاب بحرا إلى ميناء جدة إذ لم يكن بين أهل عيذاب إلا من كان يمتلك مركبا أو أكثر. وقد وصف كل الرحالة الذين عاصروا تلك الحقبة الزمنية والذين زاروا عيذاب رداءة جوها وفظاظة أهل البجة والمخاطر والأهوال التى كان يلاقيها المسافر عن طريقها.

(29) ورجعة إلى الحروب الصليبية التى حدد المؤرخون عدد حملاتها العسكرية الصليبية بثمانى حملات استمرت بين عامى 1095 - 1291 ميلادية والتى أعلن بدءها البابا الكاثوليكى أوربان الثانى فى مؤتمر دينى عقد بفرنسا. ونذكر هنا أن صلاح الدين الأيوبى بعد أن حرر بيت المقدس توصل إلى هدنة بينه وبين قادة الصليبيين. إلا أن الفارس الفرنسى(رينو شاتيون) أمير قلعة الكرك أو «أرناط» كما يسميه المؤرخون العرب انتهك الهدنة بل تمادى بأن قرر عام 1182 ميلادية الزحف إلى المكانين المقدسين للمسلمين مكة المكرمة والمدينة المنورة. وبدأ بالاستيلاء على ايلة وجزيرة فرعون وأعد مراكب فى خليج العقبة أغار بها على الموانئ المصرية فى البحر الأحمر مما أثار الرعب فى قلوب الأهالى وأغار على ميناء عيذاب وخربه ونهب ما كان به من متاجر ومراكب. ثم انتقل إلى الجانب الشرقى للبحر الأحمر فأعمل التخريب فى مرسى الحوراء قرب ينبع ثم أتبعها برابغ. وقد أمر صلاح الدين الأسطول المصرى بقيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ مقام بمطاردة مراكب الصليبيين وعاد للقاهرة بعدد من الأسرى فى إبريل 1183. ولم يغفر صلاح الدين له تلك الفعلة النكراء إذ تمكن فى يوليه 1187 من القبض عليه فى الشام وحوكم وأعدم. (42) وانتهت الحروب الصليبية وعاد الأمان للمنطقة ولموانئ

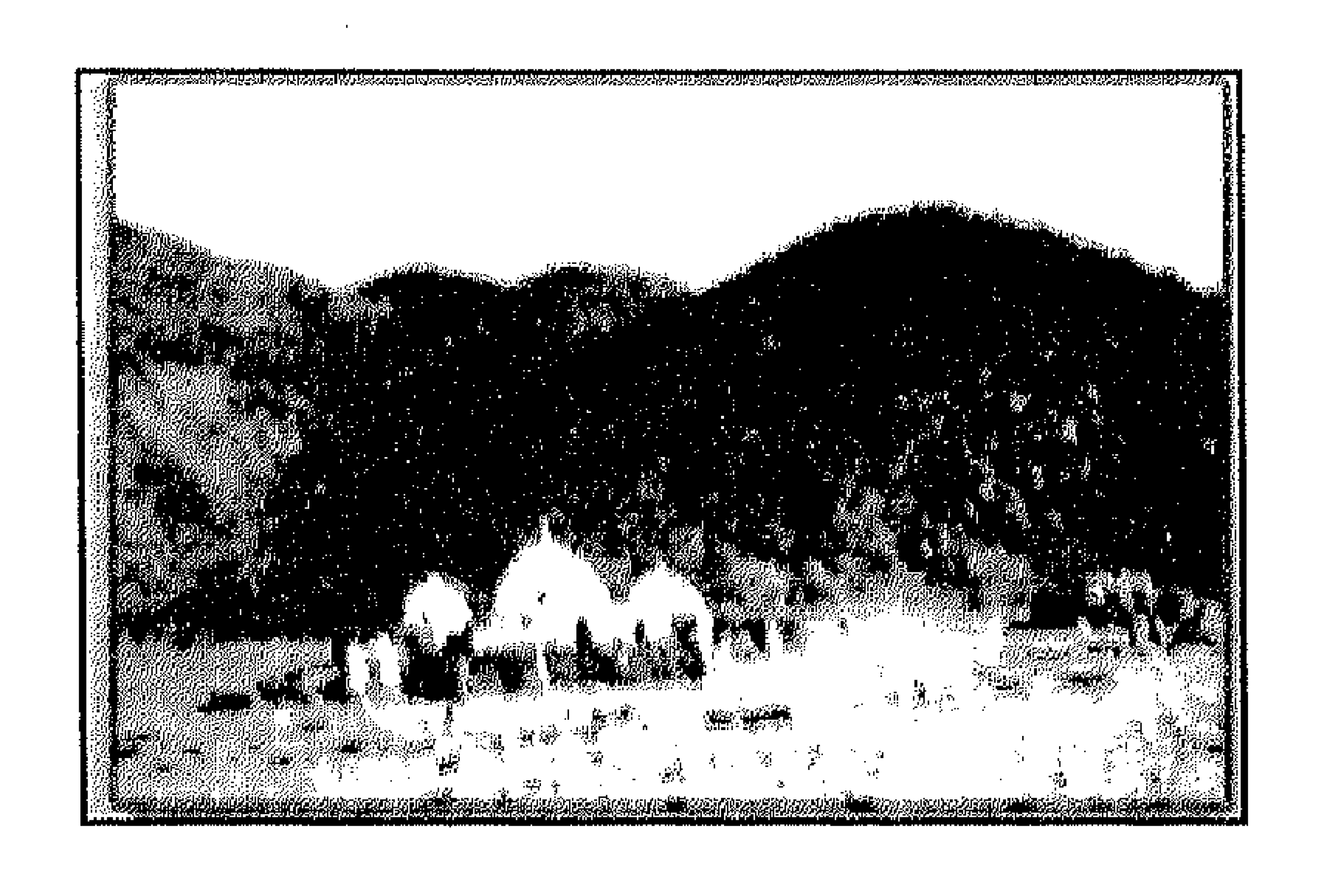
البحر الأحمر وعاد النشاط التجارى إلى عـيذاب. وقد وصفها ابن جبير (1217م) بأن بيوتها أخصاص من الجريد، وزارها ابن بطوطة (1326 م) وسجل فى كتبه أن رئيس البجة «الحدربى» كان يحصل لنفسه ثلثى ما يتم تحصيله من مكوس ويرسل الثلث للسلطان فى مصر.

وبسبب غير واضح تاريخيا جـرى تدمير عيذاب عام 1426 على يد السلطان الأشرف بارسـباى وهو من المماليك البـرجية الذى حكم فى الفـترة 1422-1438 وطارد سكانها من البجة مما حملهم على الفـرار إلى ميناء دنجوتاب بالسودان. وقد وصفـها بعد نكبـتهـا كل من ابن إياس عام 1523 والأسد الأفـريقى عام 1527. والأسد الأفريقى اسم شهرة للرحالة والمـؤرخ العربى الحسن بن محمد الوزان وهو من مواليد غرناطة بالأندلس عام 1490. وانزوت عيذاب فى ركن من النسيان بعد ذلك، وأصبحت أطلالـها موقعة على الخـرائط المساحية تحت اسم «زبيـد» وأحياناً تحت اسم «سواكن القديمة».

أبو الحسن الشاذلى:

يلاحظ من يرتاد الصحراء الشرقية وجود أضرحة لبعض أولياء الله الصالحين منتشـرة فى وديان هذه الصحـارى. وقد يكون الضـريح غاية فى التـواضع تحدده أحجار من حـوله وترفرف فوقه رايات من أقمـشة بيضاء أو خضـراء.. وقد تقام فوق الضريح قبة يقيمها مريدوه ويتوقف عنـدها السائر فيقرأ الفاتحة ويستريح ساعة من الزمن. وقد يجد السائر المتوقف عند الضـريح وعاء به ماء للشرب والوضوء، وقد يجد أيضا بعضا من السكر والشاى يكون قد تركها أهل الكرم لمن يحتاج إليها من السيارة. ومن أمثـلة هذه الأضرحة مقام الشيخ سالم ومـقام الشيخ بناس، إلا أن أكثر الأضرحـة الصحـراوية شهرة هو ضريح أبو الحسن الشاذلى.

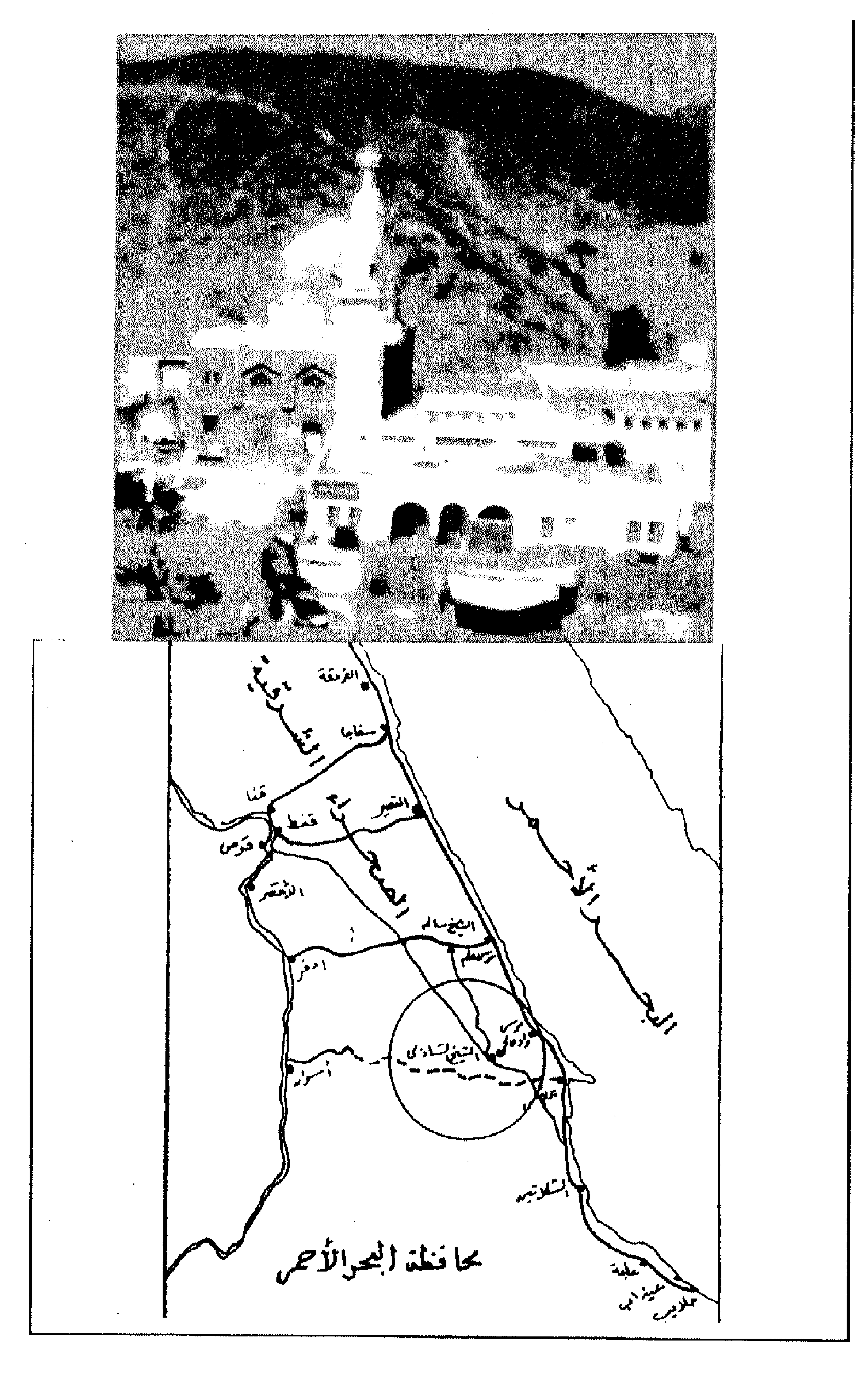
(48) يقع ضريح أبو الحسن الشـاذلى على بعد حوالى 300 كيلومتر جنوب شرقى مدينة إدفو فى وادى صغير اسمه «حـميثرة» أو حميثراء على خط عرض 12 °24 وخط طول 39 °34. وبجانب الضريح بئر وصف الإدريسى ماءه بقوله: «وإنما



المسجد والضريح القديم



ضريح الشيخ أبى الحسن الشاذلى



أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه

إذا شربه الإنسان لم يلبث أن ينزل من مقعدته مسرعاً»، كما وصف ابن بطوطة هذا الماء بقوله: «حيث قبر ولى الله أبو الحسن الشاذلى وبها عين ماء زُعاق. فهذا الماء شديد الملوحة يسبب الإسهال لمن يشربه».

ولد أبو الحسن الشاذلى (أبو الحسن على الحسنى بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلى) سنة 593 هجرية (1197م) بقرية «غمازة» قرب مدينة سبتة بالمغرب الأقصى، ويوافق هذا التوقيت أواخر عهد الملك أبى يوسف يعقوب المنصور (580/ 595هـ - 1184/1199م) من ملوك دولة الموحدين التى حكمت المغرب وتونس والأندلس. ورحل الشاذلى إلى بغداد فى مستهل حياته طلبا لمزيد من العلم وتتلمذ هناك على الشيخ أبو الفتح الواسطى ولم يلبث طويلاً ثم نزل فى تونس ببلدة «شاذلة» وتعبد فى جبل زغوان قريبا من بلدة شاذلة التى اكتسب منها اسمه. ومن شاذلة رحل إلى مدينة تونس مقر حكم السلطان أبو زكريا يحيى وكان من أمراء بنى حفص الذين تولوا أمر تونس لحساب دولة الموحدين. وذاع صيت أبو الحسن فى تونس وصار له مريدون كثيرون يحضرون مجالس العلم التى يعقدها. ثم يمم شطر مصر فى طريقه للحج ومعه بعض مريديه عام 620 هجرية (1223م) وكان سلطان مصر وقتها الملك الكامل محمد الأيوبى (1218-1238م). وبعد إتمام الحج رجع أبو الحسن إلى تونس عن طريق مصر. وفى تونس التقى الشاذلى بأبى العباس المرسى الذى التزم بالشاذلى تلميذا له ومريدا. وفى عام 642 هجرية (1244م) عاد أبو الحسن إلى مصر مهاجراً ومعه خاصة أتباعه وعلى رأسهم أبو العباس المرسى ومعه أبو العزايم ماضى بن سلطان تلميذا وخادما واستقر بهم المقام فى الإسكندرية وكان ذلك زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب (1240/ 1249م). وداوم أبو الحسن على إلقاء دروسه بين مريديه كما دأب على الالتقاء بالعلماء ومنهم الشيخ عز الدين عبد السلام وذلك ما بين الإسكندرية والقاهرة. وكانت لقاءات القاهرة تجرى فى دار المدرسة الكاملية (مازالت بقاياها موجودة بشارع المعز لدين الله وتعرف بجامع الكاملية). وكانت لأبى الحسن

مدرسته الخاصة فى أصول الصوفية وممارستها عرفت باسمه وذاعت على أيدى مريدية من بعده. وحينما جاء أبو الحسن إلى مصر مهاجراً كان بصيراً ولكنه فقد بصره بعد سنوات معدودة من حضوره.

وحدث فى سنة 647 هجرية (1249م) أن أغار الصليبيون على دمياط فى الحملة الصليبية السابعة بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع واستولت الحملة على دمياط وتقدمت جنوبا وكان خط دفاع المصريين مدينة المنصورة. وأثناء الاستعداد لملاقاة الصليبيين توفى الملك الصالح فى 22 نوفمبر 1249، فأخفت زوجته شجرة الدر الخبر حتى أعلن ابنه توران شاه سلطانا عند وصوله إلى المنصورة فى 21 ذى القعدة 647 هجرية (1250 م). وكان للأئمة الدينيين دور مشهود فى الدعوة للجهاد وكان منهم أبو الحسن الذى وفد للمنصورة وهو ضرير مساهما فى تثبيت عزائم المقاتلين من أفراد الجيش ومن أهل المنصورة. وكانت معركة المنصورة فى شهر ذى الحجة من نفس عام 647 هجرية التى انهزم فيها الصليبيون وأسر الملك لويس التاسع ثم أطلق سراحة بفدية، ويعود السلام إلى الديار المصرية.

ثم ينوى أبو الحسن الحج وفى صحبته أبو العباس المرسى وبعض المريدين وتتحرك القافلة من قوص متجهة إلى ميناء عيذاب. وفى الموقع الذى يقال له وادى حميثرة يتوفى أبا الحسن بحضور أبى العباس الذى يقوم بكفنه ودفنه فى عين المكان، وكان ذلك فى شهر شوّال عام 656 هجرية (أكتوبر 1258 م)، وكان الشاذلى قد استخلف أبا العباس فى إمامة الطريقة الصوفية. وقد أرسى دعائم مدرسة الصوفية السنية الشاذلية من بعد أبى الحسن كل من أبى العباس المرسى وابن عطاء الله السكندرى (المتوفى 709هـ / 1309).

(59) وكثيرون هم من كتب فى سيرة أبى الحسن الشاذلى. فمن قدامى الكتاب ابن عباد الشافعى (كتاب المفاخر العلية) ومنهم ابن عطاء الله (كتاب لطائف المنن). ومن المريدين المعاصرين من له كتب فى سيرة الشاذلى ومذهبه فى التصوف، منهم كمال الدين حسين على (كتاب أبو الحسن الشاذلى). وأهم من كتب عن الشاذلى والشاذلية الإمام عبد الحليم محمود «أحد مشايخ الأزهر» (كتاب

قضية التصوف - المدرسة الشاذلية - إصدار دار المعارف عام 2003) وله أيضا (كتاب أبو الحسن الشاذلى - الصوفى المجاهد والعارف بالله). وفى هذا الكتاب شرح الإمام عبد الحليم محمود سيرة أبى الحسن وبين معارج ومراقى الطريق الصوفى من خلال رؤيته، كما أشار إلى كرامات نسبت إلى الشاذلى واستند إلى مقولة الشيخ محمد رشيد رضا (قد تحدث بعض الخوارق للعادات على أيدى بعض الصالحين، فى بعض الأحوال، فيعد ذلك من الكرامات). وأورد الإمام عبد الحليم محمود بعضا من أبيات قصيدة صاغها الإمام البوصيرى فى مدح الشاذلى:

أما الإمام الشاذلى طريقه ... فى الفضل واضحة لعين المهتدى

قطب الزمان وغوثه وإمامه ... عين الوجود لسان سر الموجد

أو ما مررت على مكان ضريحه ... وشممت ريح الند من ترب ندى

(8) وأحدث ما كتب عن الشاذلى كتاب (أبو الحسن الشاذلى- رحلة الاغتراب من زغوان إلى عيذاب) أصدره أحد مريدى الصوفية الشاذلية وهو محمد رجائى جودة الطحلاوى عام 2007.

(و) الرواد بعد الحملة الفرنسية:

الحملة الفرنسية:

كان من حسن الطالع لمصر أن تصحب نابليون فى حملته لمصر مجموعة منتقاة من العلماء والفنيين والفنانين عددهم 146 فردا، تلك الحملة التى استمرت حوالى ثلاث سنوات منذ نزول القوات الفرنسية فى أبى قير فى 2 يوليه 1798 إلى أن غادرت مصر فى سبتمبر 1801. وبرغم قصر هذه المدة إلا أنها زلزلت كيان مصر وجعلتها تتحفز للخروج من ظلمات جهالة القرون الوسطى إلى نور العلم

والمعرفة الغربية. ثم جاء «محمد على» بعد انتهاء الحملة مباشرة ليقود انفتاح مصر على النهضة الغربية ولم تنغلق مصر بعدها. وليس هنا مجال الإفاضة فى سرد انجازات الحملة من الناحية الثقافية التى كان حصادها وضع موسوعة «وصف مصر» إلا أن نصيب الصحراء الشرقية من جهد علماء الحملة كان شيئا بارزا يستحق الإشادة.

(43) من إنجازات علماء الحملة دراسة جيرار عن منشأ برزخ السويس، ودراسة لوبير عن إمكانية إيصال البحرين الأحمر والمتوسط. ولقد حرصت الحملة الفرنسية على أن يكون لها وجود عسكرى فى القصير للدفاع عنها فى حالة هجوم من الأسطول البريطانى. وقد أتيحت للعالم روزيير الفرصة لمصاحبة التجريدة التى قادها بيليار عبر الصحراء الشرقية وصولا للقصير. وقد دوّن روبير ملاحظاته عن المعالم الجيولوجية وأفرد لها الفصل الخامس من كتاب «وصف مصر»، وقد شغلت ملاحظاته 325 صفحة. وممن عاصر الحملة، عالم الجيولوجيا الألمانى كارستبن، ولم يكن ضمن الحملة إلا أنه أتيحت له دراسة صخور البريشيا الخضراء فى محاجرها بوادى الحمامات.

محمد على ومن جاء بعده:

بدأ عصر محمد على حين نصّبه زعماء الشعب للحكم فى 13 مايو عام 1805 وكان صاحب عزم أكيد لجعل مصر ممسكة بأسباب وأساليب الحضارة الغربية. وكان طموحه أن ينشئ دولة بها نهضة صناعية تعتمد على مواردها المحلية أساسا. وركز على تنمية القوى البشرية وتنشئة جيل من الشباب المصرى مزوداً بعلوم الغرب ليقود نهضة التصنيع. ففى خلال الفترة من 1826 إلى 1846 بلغ عدد الطلبة الذين أوفدهم محمد على للدراسة فى أوروبا 319 طالبا فى تسع بعثات. وجدير بالذكر أنه من بين البعثة الخامسة التى ضمت 80 طالبا عام 1844 ثلاثة متخصصين فى التعدين هم: محمد إبراهيم وعلى عيسى وأحمد ندا. وقد ألف أحمد ندا كتابا بعنوان «الأقوال المرضية فى علم الطبقات الأرضية» طبعته

مطبعة بولاق عام 1881. والحقيقة أن هذا الكتاب هو أول كتاب ينشر فى العلوم الجيولوجية يكتبه مصرى باللغة العربية فى العصر الحديث بمصر.

من هذا المنطلق نشط الاستكشاف الجيولوجى والجغرافى والمعدنى، وأرسل محمد على علماء لمختلف الأراضى المصرية وخارج الأراضى المصرية، نذكر منهم جهود بعضهم من رواد الصحراء الشرقية.

ارتاد كايو الصحراء الشرقية فى الفترة من 1815 - 1818، فزار عام 1816 موقعا للكبريت على ساحل البحر الأحمر، ثم زار موقع مناجم الزمرد التى لم يكن قد زارها أحد من الأوروبيين منذ أن هجرت فى القرون الوسطى. واهتم الوالى محمد على بالزمرد وأمر كايو بإعداد حملة لفتح المناجم فأعد الحملة وقصد المناجم أوائل عام 1818 ومعه اثنا عشر مهندسا وستون عاملاً متخصصا وكان مع القافلة 120 رجلاً للخدمات ولم تكن مهمة كايو موفقة ولم تستمر.

وقام بلزونى بحملة بدأت من إدفو فى 21 سبتمبر 1818 ووصلت إلى مناجم الزمرد فى أوائل أكتوبر 1818 ودخل المغارات إلا أنه لم يمكث طويلا. ومن القصير استقل مركبا لجزيرة الزبرجد فوصلها فى 16 مارس 1819 ثم عاد إلى رأس بناس وزار حفائر قديمة للكبريت وزار كبريت الرنجة.

وقام فورنى بجولة في الصحراء الشرقية بدأت فى 17 سبتمبر 1819 من قنا وزار منجمى عطا الله والفواخير للذهب ثم زار مناجم الزمرد وأعطى وصفا مفصلا وتجول فى محجرى مونز كلوديانوس ومونز بورفيريتس. وزار مواقع لخام الرصاص على ساحل البحر وتوجه إلى جبل الزيت لبحث احتمالات العثور على الفحم ووصف وجود الكبريت ووصف عددا من مواقع استخراج الذهب القديمة. وقام بيرتون بزيارة للصحراء الشرقية اعتبارا من عام 1822 ومسح أجزاء منها جيولوجيا ولم تنشر له مذكرات وإنما حفظت تلك المذكرات في شكل مسودات فى المتحف البريطانى.

وقام ويلكنسن برحلات عامى 1826 و1827 وصف فيها منجم نحاس وادى عربة ومنجم نحاس دارا، ووصف بورفير جبل الدخان وجرانيت جبل فطيرى ووصف كبريت جمسة ووصف البريشيا الخضراء فى وادى الجمامات ووصف مناجم الزمرد ووصف مناطق الطلق (الهمر) الذى كان العبابدة تجليه لوادى النيل لصناعة البرام لزوم الطهى، كما وصف بعض الطرق الصحراوية. وقام بروشى برحلة خلال عامى 1822 و1823 زار خلالها معظم الأماكن التى زارها من سبقوه من رواد هذه الصحراء.

وقام لينان دى بلفوند برحلتين عامى 1831 و1832 ودخل الصحراء من وادى العلاقى ووصف عدداً من مناجم الذهب القديمة بالمنطقة وأحضر عينات جعلت الوالى يتحمس لفتح مناجم العلاقى ولكن الصعوبات التى واجهت عمليات التشغيل جعلته يُحجم عن المضى فى المشروع.

ومات محمد على عام 1849 بعد أن ترك رصيداً كبيراً من المعرفة بكثير من خامات الصحراء الشرقية المعدنية. أما محاولات استغلال بعض هذه الخامات فقد كانت محاولات غير ناجحة.

ولم تتوقف جهود الاستكشاف التعدينى بعد ذلك، ففى السبعينيات من القرن التاسع عشر أوفد الخديوى إسماعيل بعثة علمية برئاسة الأمريكى «ميتشل» وهو مهندس عالم فى طبقات الأرض وكان ملحقا بأركان حرب الجيش المصرى وكان يصحبه الضابط المصرى المهندس/ عبد الفتاح فتحى فى جولة بالصحراء الشرقية رصدت عددا من المعلومات عن الخامات المعدنية وأعدت تقريرا نشر فى مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية عام 1879.

ومن الدراسات المتخصصة التى جرت زمن الخديوى إسماعيل دراسة قام بها «كلونزينجر» الذى بين بها عدم وجود ما يدل على احتمال العثور على الفحم الحجرى فى الأراضى المصرية. ومن الدراسات ما قام به ديليس على الجرانيت والبورفير وكانت دراسة ميكروسكوبية. وبرغم استنتاجات كلونزينجر فقد استمر

البحث عن الفحم، وحُفر بئران فى وادى عربة شمال الصحراء الشرقية تحت إشراف المهندس هيكيكيان عام 1850.

وفى عهد الخديوى توفيق قام «فلوير» برحلة زار خلالها مناجم الزمرد وكان هذا حافزاً لإحدى الشركات الأجنبية لكى تبحث احتمال استغلال هذا الحجر الكريم. وأوفدت الشركة مجموعة من الفنيين بقيادة «دونالد ماك أليستر» التى وصلت موقع المناجم فى 28 ديسمبر 1899 وفحصت داخل عدد من الأنفاق القديمة ولم توصى بأى خطوة للاستغلال.

التعدين مع بداية القرن العشرين:

كما ظهر من السطور السابقة فقد زاد الاهتمام بالصحراء الشرقية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. وتناقلت وسائل الإعلام بين المهتمين بالثروة المعدنية فى أوروبا نتائج الرحلات الاستكشافية فى الصحراء الشرقية المصرية، ورغبت بعض شركات التعدين الأجنبية الدخول فى مجال استخراج الذهب. وكانت أول هذه الشركات «شركة وادى النيل» التى ركزت على منجم أم الجرايات فى وادى العلاقى للاستغلال، وجهزته عام 1904 بأول «دقاق» لطحن خام المرو الحامل للذهب بطريقة الأهوان الميكانيكية وكان لديها خمسة أهوان تدار لأول مرة بالمناجم المصرية بآلة بخارية.

وفى مستهل القرن العشرين كانت الحكومة المصرية قد قسمت الصحراء الشرقية وسيناء إلى اثنتى عشرة منطقة امتياز تعدينى أتاحتها للشركات.

وكان الذهب من أوائل اهتمامات شركات التعدين، وقد استمر تعدين الذهب فى الصحراء الشرقية منذ بداية القرن العشرين على نطاق محدود إلى أن توقف عام 1958 ثم حدثت التأميمات عام 1963 التى طبقت على قطاع التعدين بالكامل. ولم يستأنف استخراج الذهب حتى وقت تأليف هذا الكتاب وكانت المساحة الجيولوجية المصرية قد أنشئت عام 1895 وساهم أبناؤها من الرعيل الأول

فى ارتياد الصحارى شرقها وغربها وسيناء. واستمر ارتياد الصحراء قصرا على الأجانب من العلماء إلى أن تأهل عدد محدود من الجيولوجيين ومهندسى المساحة المصريين فحملوا جزءاً من مسئولية هذا النشاط منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، وكان أول علماء الجيولوجيا المصريين فى عصرنا الحديث هو «حسن صادق» الذى التحق بالمساحة الجيولوجية عام 1918.

وقد اكتشف الفوسفات فى الصحارى الواقعة شرق السباعية بالصعيد والذى اتضح امتداده حتى شرقى قنا فى وادى حمامة. كذلك اكتشف الفوسفات فى جبال البحر الأحمر عند القصير وعند سفاجة وتكونت شركتان لاستغلاله. وأنشئت مصلحة المناجم فى أكتوبر عام 1905 لتنظيم النشاط التعدينى. وقد انتشر الاستخراج الصغير فى أنحاء الصحراء الشرقية لاستخراج خامات الرصاص والزنك والطلق، الكبريت والولفرام والكروميت والأسبستس واستمر حتى عام 1963 حينما تأممت الأنشطة الخاصة وقامت شركات عامة حكومية آلت إليها المسئولية.

وفى أواخر العشرينيات من القرن العشرين أوفدت الحكومة المصرية عدداً من الشباب للحصول على تأهيل فى هندسة التعدين وعادوا تباعاً بدءاً من عام 1930، وكان «محمود إبراهيم عطية» قد التحق بالمساحة الجيولوجية عام 1929. وبدءاً من عام 1930 ظهرت أسماء: إدوارد الألفى، ونجيب نسيم، والحنفى السيد فهمى، ومحمد محمود إبراهيم. وفى عام 1933 ظهرت أسماء: محمود الهوارى ومصطفى صادق وزكى حسن. بعد ذلك ظهرت أسماء: عثمان محرم محجوب ومصطفى عزت. ثم توالت بعدهم أجيال متعاقبة من الجيولوجيين ومهندسى التعدين وخاصة منذ تخرج أول دفعة من مهندسى التعدين من جامعة القاهرة (فؤاد الأول) عام 1947. وقد ارتادوا أرجاء الصحارى المصرية وحققوا إنجازات مشهودة.

البدايات البترولية:

كما كـان للثروة المعدنيـة حظوة من الاهتمام بحثـاً واستغلالاً فى الـصحراء الشرقية خلال القرن التاسع عشر، فقد كان للبحث عن البترول نصيب.

(73) لقد سـبق أن عرف قـدماء المصـريين المواد البتـرولية التى كـانت تنضح من شقوق بعض الصخور الرسوبية المطلة على خليج السويس واستخدموها فى طلاء المراكب وفى التحنيط.

(11) وقد ظهر أول كشف بترولى فى مصر فى عصرنا الحديث مصادفة أثناء حفر كانت تقوم به «شركة الكبريت» بمنطقة شـبه جزيرة جمسة حيث كان الخواجة «باديروس» قد حصل من الحكومـة على رخصة رقم 180 بتاريخ 19 سبتمـبر عام 1859. (73) ففى أحـد الأنفاق التعـدينية لاستـخراج الكبريت رشح بتـرول خام داخل المنجم وكان ذلك عام 1868 وأثار اهتماما كبيرا. فقد كان هذا الكشف المبكر يحدث فى مصر بعد تسـع سنوات فقط من تاريخ أول بئر دقّه الكولونيل «درايك» فى ولاية بنسلفانيا فى الولايـات المتحدة. وعلى أثر كشف جمسـة قامت الحكومة المصرية بحـفر 13 بئراً اسـتكشافـيا خلال الفـترة من 1884 حتى 1888 ولـم تأت بنتائج اقتصادية. (11) وفى عامى 1887 و1888 قام كل من الكولونيل ستيورات والمستـر ميتـشل باستكشاف بتـرولى فى مناطق الغردقـة وأبى منقار ورأس الديب ورأس العش. وأشار ستيورات بعد ذلك إلى وجود نزازات بترولية عند شاطئ أبى درية بغرب سيناء عام 1889. وفى عام 1904 منحت الحكومة المصرية امتياز تنقيب عن البترول لبعض الشركات على جانبى خليج السويس ولـم تأت بنتيجة إيجابية.

(73) فى عام 1908 عاودت إحـدى الشركـات التنقيب فى منطقـة جمـسة وأمكن الوصول إلى مورد للبـترول على عمق 585 متـراً وجرى الاستـغلال على نطاق محـدود بدءاً من عام 1910 على يد شـركة آبار الزيوت الإنجليزيـة المصرية (شل). (69) وفى عام 1913 وفقت هذه الشركة إلى اكتـشاف حقل الغردقة وبدأ استغلاله عام 1914. وفى عام 1918 جرت دراسات حقليـة حول خليج السويس

وحفر 11 بئراً فى أبـى دربة. واستمـرت الدراسات الحـقلية حـتى عام 1929 ثم توقفت ثم استؤنفت عام 1935. وفى عام 1938 اكتشف حقل رأس غارب وكان أكبر كشف بترولى حتى ذلك الحين وكـان له أثر هام حينما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام 1939 إذ أن إنتاجه كان عاملا حاسـما فى تحول البلاد من الاعتماد على الفحم المسـتورد إلى الوقـود البترولى المحلى. ومـع انتهاء الحـرب عام 1945 كان حقل جمسة قد نضب وكان حـقل أبو دربة فى المرحلة الأخيرة من قدرته الإنتاجية وكان حـقل الغردقة قـد أصبح شحـيح الإنتاج، أما حـقل رأس غارب فقـد كان أساس الإنتاج وظل كذلك لسنوات تالية.

ورجوعاً إلى وقت أن كان الإنتاج البترولى يأتى من حقل جمسة عام 1910 فقد قـررت شركة آبار الزيوت الإنجليزية المصريـة إقامة معمل للتكرير فى ضـاحية لمدينة السويس وهـى «الزيتية» لتكرير مـا ينتج من بترول خـام وتوزيع الإنتاج فى السوق المحلى، وبدأ الإنتـاج عام 1913 بطاقة مائة ألف طـن فى العام زادت بعد بدء إنتـاج رأس غارب حـتى وصل إنتـاج المعمل عـام 1960 إلى 3.5 مليون طن سنويا. وبجانب هذا المعمل أنشـأت الحكومة المصرية معملاً صـغيراً للتكرير باسم «معمل تكرير البترول الأميرى» الذى بدأ الإنتاج عام 1922 معتمداً على ما تحصل عليه الحكومة كـأتاوة عينية من الشركات العاملة فى الاسـتخراج. وفى عام 1954 وصل إنتاج المعمل الحكومى إلى 1.2 مليون طن سنوياً.

هذه صورة عـامة عن بدايات اكـتشاف واسـتخراج البـترول فى مـصر. ثم تطورت تطوراً هائلاً غطى أجزاء من الأراضى المصرية اليابسة وشمل أيضا ما تحت مياه خليج السويس وما تحت المياه العميقة فى البحر المتوسط.

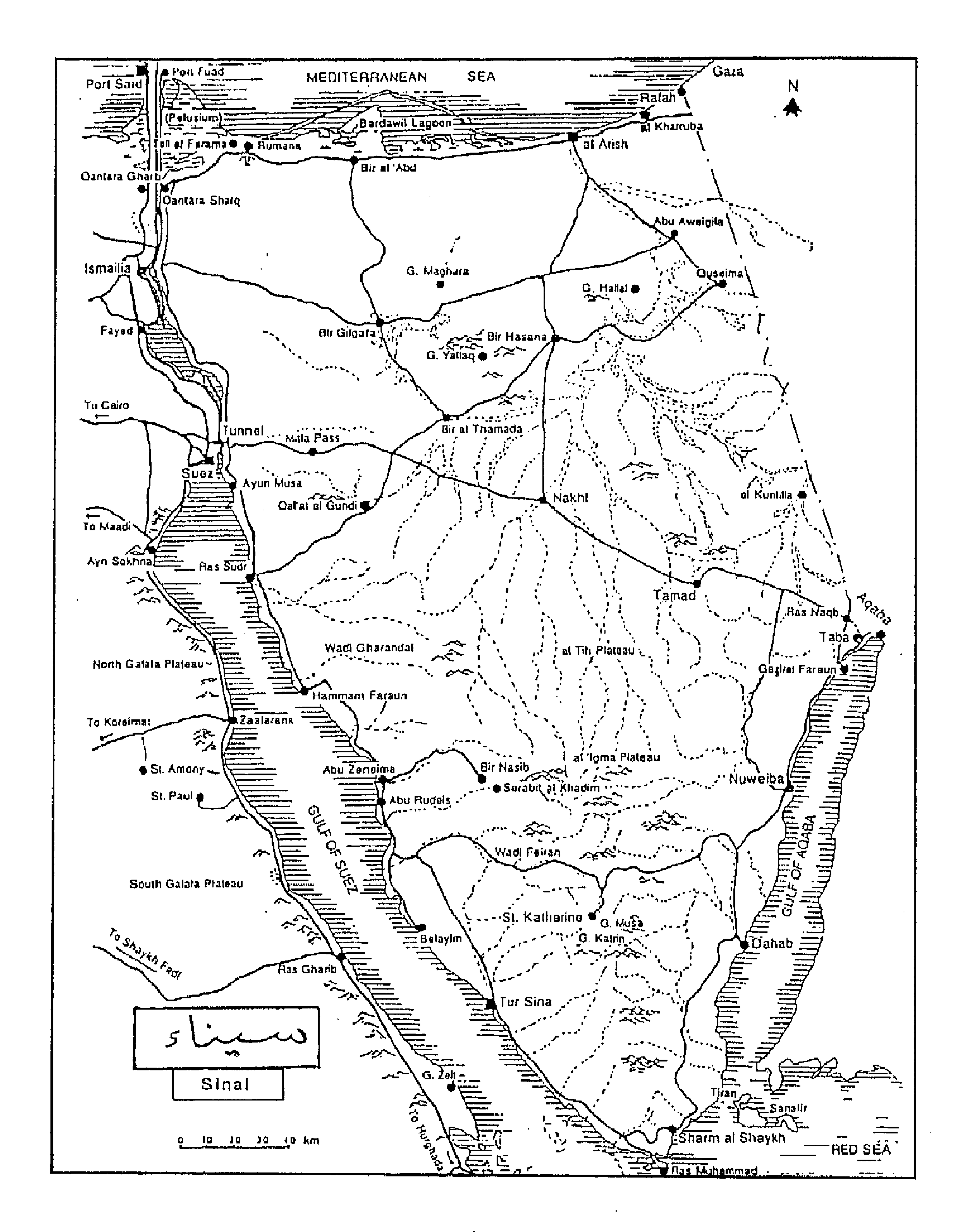
بشائر التعمير المبكر:

يرجع التعمير المبكر لساحل البحـر الأحمر إلى نشاط تصدير الفوسفات من ميناءى القصيـر وسفاجا، ويرجع أيضا إلى نشاط إنتاج البـترول حيث أنشئت بلدة صغـيرة بجـانب حقل بترول الغـردقة وتم إنشـاء بلدة أخرى بجـانب حقل رأس

غارب. وفى بلدة الغردقة أقامت الحكومة مركزاً علميا لدراسة الأحياء المائية هو «معهد الأحياء المائية» وكان ذلك فى الثلاثينيات، وقد نما هذا المعهد وهو مستمر حتى الآن وله فرع فى الإسكندرية. وكانت للحكومة المصرية فى الثلاثينيات باخرة استخدمت أحيانا للأغراض العلمية وكان اسمها مباحث وفى الفترة من ديسمبر عام 1934 إلى فبراير 1935 قامت بجولة بحرية علمية فى البحر الأحمر وخليج عدن وعلى ظهرها لفيف من العلماء المصريين. وهكذا بدأ التعمير بنشاط تعدينى ونشاط بترولى. وفيما عدا الشركتين الكبيرتين لإنتاج الفوسفات فقد انتشر صغار المعدنيين فى أرجاء الصحراء الشرقية من مصريين وأجانب. ونخص بالذكر والتكريم «لبيب نسيم» الذى تنبه لخام حديد شرق أسوان واستخراج الأكاسيد الحمراء، وأقام عليها صناعة الألوان، وهو الذى تنبه إلى خام النحاس فى أبى سويل، والذهب فى وادى العلاقى. وساعدته فى أعمال الاستكشاف والتعدين ابنته «جرترود لبيب نسيم» أول مصرية تحصل على الدكتوراه فى الجيولوجيا.

ولم يكن للسياحة الصحراوية نصيب يذكر فى تلك المرحلة. ولم يزر الصحراء الشرقية من المسئولين المصريين إلا عدد محدود فى زيارات عابرة. وكانت الشركة الإيطالية التى استخرجت الفوسفات من منطقة القصير تعتز بزيارة قام بها ملك إيطاليا عمانويل لمقر الشركة بالقصير وكان ذلك قبل الحرب العالمية الثانية.

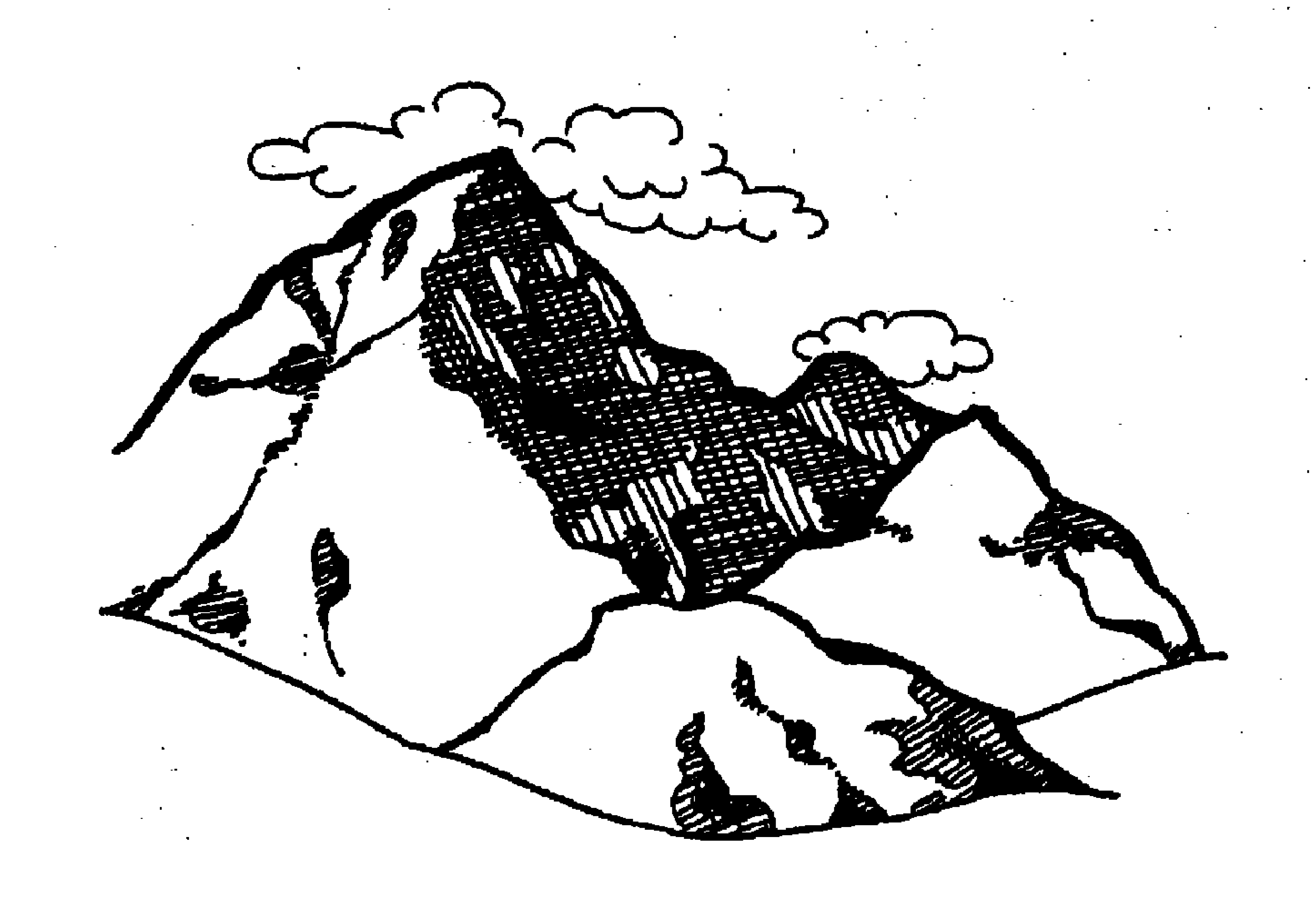
ونشيد برجال ارتادوا الصحراء الشرقية يتمون لمساحة الصحراء وللمسح الجيولوجى، ونشيد برجال مكافحة الجراد، ونشيد برجال سلاح الحدود. وكانت الطرق فى الصحراء الشرقية حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية لا تعدو مسالك ترابية فيما عدا الطريق الأسفلتى بين السويس ورأس غارب والطريق الذى يربط قنا بالقصير والطريق الذى يربط إدفو بمرسى علم. وقد أقامت الحكومة عدداً من «المكثفات» فى مواقع التجمعات السكانية على ساحل البحر. وكان الوقود المستخدم هو الفحم الحجرى، وقد قدّر أن طناً من الفحم يكفى لإنتاج خمسة أطنان من الماء المقطر (89)، ثم شاع استخدام البترول.


MEDITERRANEAN SEA
Port Said
Port Fuad
(Pelusium)
Bardawil Lagoon
Tell el Farama
Rumana
Bir al 'Abd
al Arish
Rafah
Gaza
al Kharruba
Qantara Gharb
Qantara Sharq
Ismailia
Abu Aweigila
Qusaima
G. Maghara
G. Hallal
Fayed
Bir Gilgafa
Bir Hasana
G. Yallaq
To Cairo
Tunnel
Mitla Pass
Bir al Thamada
Suez
Ayun Musa
Qal'at al Gundi
Nakhl
al Kuntilla
To Maadi
Ayn Sokhna
Ras Sudr
Tamad
Ras Naqb
Aqaba
Taba
Wadi Gharandal
al Tih Plateau
Gezirat Faraun
North Galala Plateau
Hammam Faraun
To Koraimat
Zaafarana
al 'Igma Plateau
St. Antony
Abu Zenaima
Bir Nasib
Serabit al Khadim
Nuweiba
St. Paul
Abu Rudeis
GULF OF SUEZ
Wadi Feiran
GULF OF AQABA
South Galala Plateau
St. Katherine
G. Musa
G. Katrin
Belayim
Dahab
To Shaykh Fadl
Ras Gharib
Tur Sina
سيناء
Sinai
G. Zeit
Tiran
Sanafir
To Hurghada
Sharm al Shaykh
RED SEA
Ras Muhammad
0 10 20 30 40 km
N

سيناء

الفصل الثامن

رواد سيناء



(أ) الأرض والسكان:

تبلغ مساحة أرض سيناء أكثر قليلاً من 61 ألف كيلو متر مربع وتمتد من خط حدود مصر الشرقية بين رفح وطابا إلى صحراء شرق الدلتا متضمنة البحيرات المرة وبحيرة التمساح. وحينما حفرت قناة السويس قاطعة للبحيرات فى طريقها اعتبرت القناة هى الحد الغربى الإدارى لسيناء. وفى السنوات الأخيرة من القرن العشرين اقتطعت لمحافظات القناة الثلاثة أجزاء من الأطراف الغربية لسيناء إدارياً فأصبحت مساحة شبه جزيرة سيناء إدارياً (محافظتى شمال سيناء وجنوب سيناء) حوالى 56 ألف كيلو متر مربع.

ويشغل الجزء الشمالى والأوسط من سيناء هضبتان من الصخور الرسوبية هما العجمة والتيه (112) وتنتهى هضبة التيه من أطرافها الجنوبية بصخور جنوب سيناء العالية المكونة من الصخور النارية والمتحولة. ويفصل الهضبة عن الصخور النارية نطاق من الحجر الرملى يمتد ما بين خليج السويس وخليج العقبة تعرف باسم (دبة الرملة). وفى هذا النطاق تكمن مصادر الفيروز ومصادر النحاس التى سعى إليها المصريون منذ أقدم العصور، كما توجد مصادر أخرى للنحاس فى الجنوب الشرقى لسيناء. ومن مراجعة خريطة التوزيع السكانى القديم نلاحظ تركيزاً سكانيا فى مناطق تعدين الفيروز والنحاس وفى المسالك المؤدية إليها.

وفى زمن النيوليتى مما قبل التاريخ سعى الإنسان إلى مصادر حجر الفيروز وإلى حجر الملاكيت الأخضر(كربونات النحاس) وإلى حجر الصوان، إذ تكثر مصادر الصوان جنوب جبل العجمة وغرب وادى سريال. ولم يمارس أهل النيوليتى صهر الملاكيت لاستخلاص النحاس بل كان استخدام الملاكيت للألوان. وقد عثر على بعض قطع من النحاس الطبيعى native copper فى وادى بعيع إلى الغرب من سرابيط الخادم.

(51) ومهما تدافعت تعـريفات حدود مصر الشرقية تاريخيـاً فإن شبه جزيرة سيناء كلها حتى وادى غزة جزء لا يتـجزأ من أرض مصر. ولقد سبق أن انضمت أرض سوريا كلها لمصر خلال عصـر الإمبراطورية الفرعونية (1540- 1350 ق.م) كما انضمت أرض فلسطين إلى مصر خلال العصر البطلمى.

(11) **وتنقسم قبائل بدو سيناء إلى قسمين رئيسين:**

بدو الشمال وهم السواركة والرميلات والبيـاضية والأخارسة وبلّى والمساعيد والإحيوات والثياها والحويطات والتربين والعبابدة والملاطة.

وبدو الجنوب وهم مزينة والعليـقات والصوالحة والتيـقة والجباليـة والعوارمة والقرارشة والزهيرات والحماضة.

وكان تعداد أهل محافظة سيناء عام 1967 يقارب مائة وخمسين ألفا، ومنهم ثلثان بدو والثلث حضـر مستقرون. وقد بقيت سـيناء لا تتمتع بنظام الحكم المحلى حـتى أكتـوبر 1976 بينمـا طبق هذا النظام منذ عـام 1960 فى باقى الصـحارى المصرية.

(ب) سيناء قبل التاريخ:

(52) كان سكان سـيناء وامتدادها الشمـالى الشرقى (جنوب فلسطين) أنواع من البشـر من أزمان سـحيقـة أيام أن لـم يكن الإنسان يعـرف من الأدوات إلا ما اقتطع من حـجر الصوان (الظران). وأول من أشار إلى وجـود أدوات الصوان فى سـيناء هو «بالمر» عـام 1871، ثم تبـعـه على التـوالى عـدد من البـاحـثين منهم «كـوريلّلى» عـام 1906 ثم البـاحـثـان «وولى ولورانس» عـامى 1913 و 1914 ثم ألبرايت ومعه العالم المصرى سليمان حزيّن عامى 1947 و 1948.

(102) وحسـب التسـميـات التى أطلقهـا «روتينبرج» (من منظـوره الخاص المتحيز) فـقد كانت توجد قديما فى جنوب فلسطين وصحـراء النقب وأقصى شمال شرق سيناء حضارتان، حضارة «إيلات» وحضارة «تمناع». وقد قدّر روتينبرج زمن

حضارة إيلات فـى الفترة 4500-3800 ق.م وخلالها بدأ الأهالـى ممارسة الزراعة واستخدام أدوات نحاسية بسيطة بجانب استخدام الأدوات الصوانية. كما قدّر زمن حـضارة تمناع (نسـبة لوادى تمناع) جـنوب فلسطين فى الفتـرة 3800-2650 ق.م وخلالـها اسـتأنس الأهالى الحـيوان وتوسـعوا فى تعـدين خام النحـاس وصهـره وتصنيعه. وكان من مـظاهر حياتهم إقامة مدافن دائرية الشكل مـدخلها من ناحية الغرب أسـوة بما كان متبـعاً فى مقابر المصـريين القدماء من جـعل اتجاه دفن الموتى جهة الغرب، وتسـمى المقابر السينوية «النواميس»، ومنها ما اكتـشفه روتينبرج فى الجانب الشرقى لسيناء مقابل نويبع.

(جـ) سيناء والفيروز:

(52) اشتهرت سيناء بأنها أرض الفيروز لأن هذا الحجر شبه الكريم لا يوجد إلا بأرض سيناء. ويعـتبر وادى المغارة أقدم المناطـق التى استغلها قـدماء المصريين للحصول على حجـر الفيروز منذ ما قبل الدولة الفرعونيـة القديمة. وعدد النقوش المحفورة على مداخل مناجم فيروز وادى المغارة 45 نقشاً منها 22 من الدولة القديمة و 21 من الدولة الوسطى واثنان من الدولة الحديثة. وأقدم هذه النقوش هى للملك «سمرخت» سابع ملوك الأسرة الأولى. (46) ومن الفراعنة الذين اهتمـوا بتعدين فيروز المغارة سنفرو (الأسرة الرابعة من الدولة القديمة) وقد ترك نقوشاً على جدران مدخل أحد المناجم. وخلال الدولة الوسطى كان الاهتمـام واضحاً لتعدين الفيروز بتوجـيه الملكين «أمنحتب الثالث وأمـنحتب الرابع» وخلال الدولة الحديثـة ضعف ارتياد وادى المغارة بعد الأسرة الـ 18 وتحول الاهتمام إلى منطقة سرابيط الخادم.

فى عام 1845 ميلادية زار مناجم المغارة البريطانى الميجور ماكدونالد وتحمّس لاستخراج فيروزها، إذ عاد إليها عام 1854 ومعه زوجته وابنتـه وتفرغ لاستخراج الفيروز حتى عام 1866 ثم غادرها إلى سرابيط الخادم حيث مكث بها عاما واحدا، وكان فى مغامرته قد أنفق رأسمـاله ولم يجنى أرباحا فتوقف ورجع للقاهرة حيث مات عام 1870. وفى عام 1901 تكونت شركة بريطانية لاستـخراج فيروز المغارة

واستخدمت أساليب أضرّت بسلامة النقوش الجدارية حول مداخل المناجم ولم تستمر طويلاً.

(د) سيناء والنحاس:

(52) كانت سيناء من أهم مصادر النحاس التى دعمت أركان نهضة مصر القديمة وقوتها. وقد عرف من أماكن خامات النحاس المواقع التالية:

* وادى خريط وبه منجم قديم يحمل أملاح النحاس ومعها أملاح الحديد والمنجنيز، ولم يهتم القدماء إلا بأملاح النحاس فقط.

* وادى ثمايم وهو قريب من وادى المغارة حيث كان يستخرج الفيروز أيضا.

* سهل سند فى جنوب شرق سيناء.

* سهل نبك - شرم فى جنوب شرق سيناء.

* وادى رمثى الذى يصب قرب دهب على خليج العقبة.

* وادى نصب أو نصيب حيث توجد كميات كبيرة من خبث صهر خام النحاس فى أرض الوادى بقرب بئرين غزيرى الماء. وقد قدر الخبث بحوالى مائة ألف طن وهذا يؤكد أن هذا الموقع كان مركزاً هاماً لصهر الخام من مصادر قريبة أهمها سرابيط الخادم ووادى خريط. (112).

وحسب أحد التقديرات فإن نفايات وادى نصيب تكون قد تخلفت عن إنتاج حوالى خمسة آلاف طن من فلز النحاس من هذا الموقع وحده ومن نشاط الدولتين الوسطى والحديثة أساسا. (102). إذ توجد على جدران جوانب الوادى نقوشات للفرعون أمنمحعت الثالث من الأسرة الـ 12 من الدولة الوسطى. وتوجد نقوشات على جدران منجم للنحاس فى وادى خريط للفرعون ساعورع وللفرعون سيزوستريس الأول. ويرى روتينبرج أن أعظم الفراعنة فى تعدين نحاس سيناء هو أمنمحعت الثانى من الأسرة الـ 12 (1842-1798ق.م). ويؤكد الأثريون أن العمل

فى مناجم سيناء للنحـاس والفيروز لم تكن به عبودية ولكنه كـان نظاماً أهليا تحت إشراف الحكومـات الفرعـونية. (87) وقد ذكـر روتينبرج وشـو أن نشاط قـدماء المصريين فى تعدين خام النحاس قد وصـل إلى مصادر خامات نحاس تمناع جنوب النقب حيث وجدا ما يؤكـد هذا فى نقوش على جدران المنجم ترجع للأسرتين الـ 19، 20 من الدولة الفرعونية الحديثة.

(112) ومن أقدم مواقع صـهر خام النحاس وادى الرقيطة شـمال شرق دير سانت كـاترين، كذلك وادى الشلاّل جنوب شرق الدير، كـذلك فى مدخل وادى نصيب بين سرابيط الخـادم ووادى بعبع، كذلك وجدت مصـاهر قديمة للنحاس فى وادى سمـرة إلى الطرف الجنوبى الشرقى لسيناء. وكـانت الأفران الأولى صغـيرة الحجم تخلط فيـها قطع من الملاكيت مع بعض من أكسيد الحـديد وفحم نباتى من شجر السنط.

(51) وكان ألبرايت قد عثر جنوب أبى زنيمة بحوالى 5 كيلومترات فى سهل المرخة على فخار يرجع لعام 1500 ق.م، وربما كانت هذه البقعـة هى موقع ميناء قديم كان يخدم نقل كتل النحاس من إنتـاج سيناء عبر خليج السويس إلى الجانب الغربى للخليج عند مصب وادى عربة ثم يتجه غربا إلى وادى النيل.

(هـ) سرابيط الخادم والكتابة البروتوسينائية:

(52) يرى المؤرخون أن سرابيط الخادم هى أهم المعـالم الحضارية لسيناء زمن العصور الفـرعونية. وسرابيط الخادم هضبـة وسط سيناء متوسط ارتفاعـها حوالى 850 متراً فوق سطح البحر. وتضم المنطقة مجموعة من مناجم النحاس بدأ العمل المنتظم بها فى أيام الأسرة الحادية عشرة من الدولة الوسطى الفرعونية وخاصة زمن الفرعـون منتوحـتب الثالث. ويظهـر أن ارتياد المنطقـة بدأ قبل هذا الوقت بفـترة طويلة، إلا أن البعثات التعدينية ازداد عددها ونشاطها عاما بعد عام واختيرت بقعة معيـنة من الهضبة لتكون مـستقراً وإقـامة مستـمرة لفئة من روادها. وهـذا ما دعا الفرعون سنوسرت الأول (هو سـيزوستريس 1962-1928 ق.م) إلى أن يقيم بها

معبداً للإله «حتحور». ومن بعده ازدادت قاعات المعبد وأبهائه على يد من خلفه من ملوك الأسرة الثانية عشرة ثم من ملوك الدولة الحديثة. وكانت البعثات التعدينية للمناجم يرأسها موظف كبير من موظفى الخزانة، ونجد بين النقوش اسم رئيس البعثة وكذلك أسماء عدد من كبار الموظفين المرافقين له. ولا بد أن مجتمعا على جانب من الثقافة قد توافر وجوده فى سرابيط الخادم فترة من الزمان ضم أفراداً ينتمون إلى حضارة مصرية خالصة كما ضم أفراداً من حضارة سامية لسكان عاشوا فى شمال شرق الدلتا قبل خروج بنى إسرائيل من مصر بحوالى قرن ونصف قرن أو قرنين من الزمان. وقد أفرز هذا الاحتكاك الحضارى نتاجا هاما هو استحداث أبجدية جديدة للكتابة عرفت باسم «الكتابة البروتوسينائية».

(102) فمن ضمن ما وجد منقوشاً على جدران دهاليز مغارات الفيروز وعلى جدران معبد سرابيط الخادم كتابة غير مألوفة لأنها كتابة ليست هيروغليفية إذ أن لها شكلها الخاص، اكتشفها «بيترى» عام 1905 حين وجد أن 12 نقشاً عليها كتابة أبجدية لم تكن معروفة من قبل وفى بعض حروفها تشابه مع بعض العلامات الهيروغليفية. وفى عام 1917 استطاع «ألن جاردنر» أن يفك معظم رموزها ثم جاء بعد ذلك علماء أضافوا مزيدا من الضوء على هذه الطريقة فى الكتابة. وقد زار سرابيط الخادم علماء من جامعة هارفارد الأمريكية عام 1927 وعلماء من فنلندا عام 1929 ثم علماء من هارفارد سنوات 1930 و1935 وأوصلوا عدد ما اكتشف من هذه النقوش إلى 25 نقشاً. وفى يناير 1948 زار المنطقة ألبرايت وبصحبته «سليمان حزين» وأعطيا للنقوش اسم «الكتابة البروتوسينائية». (4) وقد جاء ابتكار هذه الكتابة نتيجة تفاعل الوجود المصرى والوجود السامى معا فى منطقة سرابيط الخادم ووادى المغارة، وهدف هذا الابتكار إلى تبسيط الكتابة الهيروغليفية وقصرها على الحروف الأبجدية. إذ أن الهيروغليفية تحتوى على 24 حرفاً أبجدياً إلا أن عدد العلامات المصاحبة تصل إلى 650 علامة مما يجعلها صعبة التداول. وتتكون الأبجدية البروتوسيناوية من 23 حرفاً. ويرى بعض الباحثين أن الوصول إلى هذه

الأبجدية المبسطة ترجع للقرن الـ 19 قبل الميلاد بينما يرى آخرون أنها ترجع لما قبل ذلك.

(34) ويرى فريق من علماء اللغات القديمة أن جميع الأبجديات المعاصرة فى المناطق المحيطة بحوض البحرين المتوسط والأحمر وما يتاخمهما شمالا فى أوروبا وجنوبا فى الحبشة وشرقا حتى الهند، كلها ترجع لأصل واحد مشترك يطلقون عليه «الأبجدية الأم»، ويرى هذا الفريق من العلماء أن الأبجدية الأم لها علاقة بالأبجدية البروتوسينائية. ويرون أن هذه الأبجدية قد انتقلت إلى الشام حيث تفرعت منها الأبجدية السامية الشمالية التى منها الأبجديات الفينيقية فى لبنان والآرامية فى سوريا ثم العراق والكنعانية فى فلسطين. ومن الأبجدية الآرامية اشتقت الأبجديات السريانية والعبرية المتأخرة والنبطية. ومن الأبجدية النبطية اشتقت الأبجديات العربية، وانتقلت الأبجدية الأم إلى الجزيرة العربية حيث اشتقت منها الأبجدية السامية الجنوبية المبكرة أو ما يسمى «الخط المُسند» فى اليمن.

(و) سيناء وبنو إسرائيل:

(102) لقد استخدم الطريق الساحلى الشمالى لسيناء على مدى الزمان للتجارة وللحرب، وعرف باسم «طريق حورس». وقد استخدمه العموريون الرعاة وهم المعروفون باسم الهكسوس فى تسللهم إلى أطراف الأراضى المصرية واستقر منهم من استقر فى شرق الدلتا فى الأرض التى عرفت باسم «جاسان» أو «جوشن» واتخذوا عاصمة لهم أفاريس، واستمر وجودهم خلال 1652-1532 ق.م.

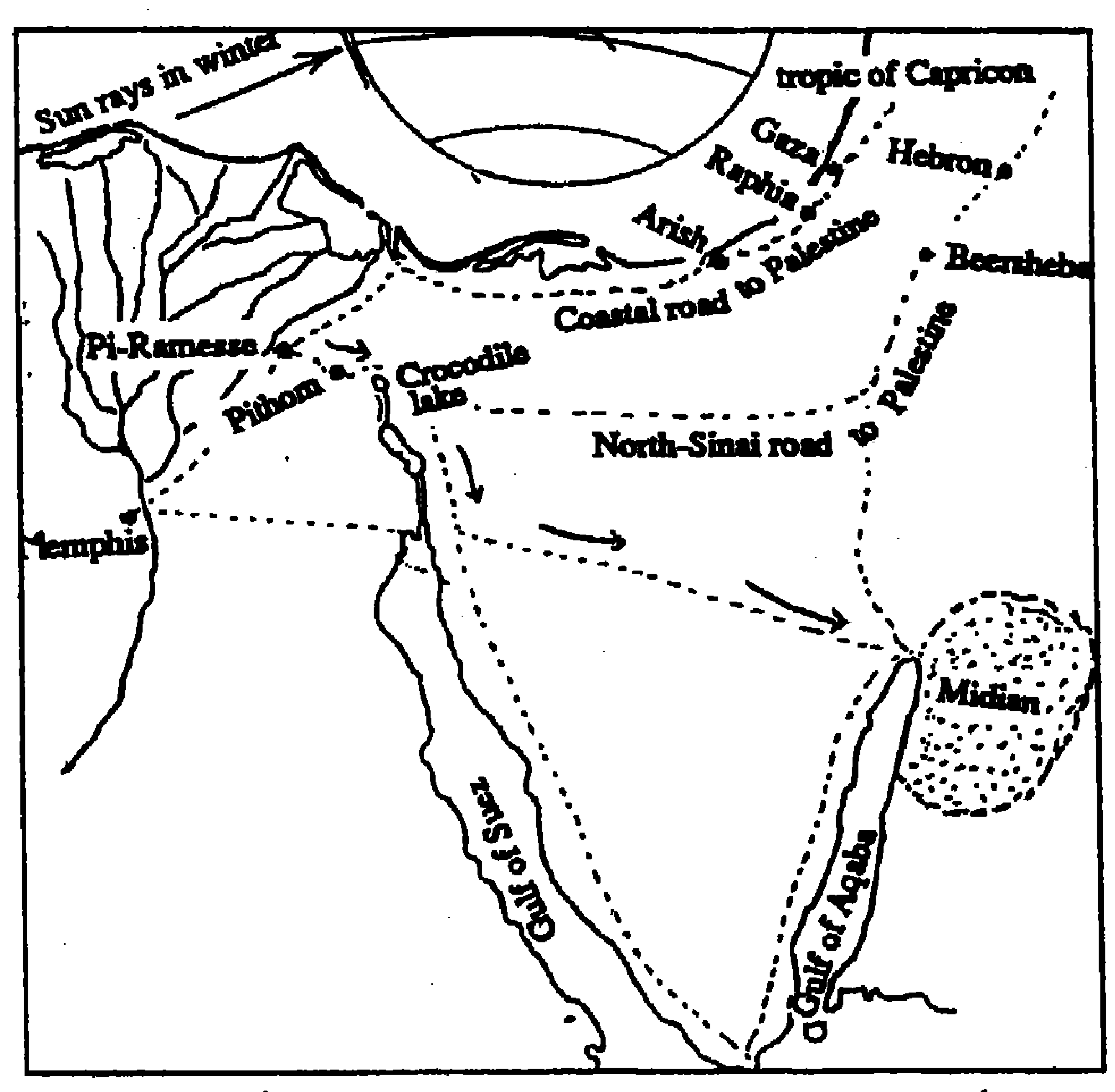
يوسف عليه السلام:

(105) من الثابت أن يوسف عليه السلام بن يعقوب(إسرائيل) عليه السلام قد حمله «السّيارة» معهم غلاما بعد عثورهم عليه وساروا به فى دروب شمال سيناء إلى حيث باعوه فى «أرض مصر». ومن الثابت أن هذه الدروب من شمال سيناء قد شهدت مسيرة بعض أبناء يعقوب عليه السلام ذهابا وإيابا حاملين من

مصر زادا وطعاما. وتنتهى قصة يوسف عليه السلام فى الرواية القرآنية المحكمة بحضور أبويه وإخوته أجمعين بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿...ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف]. واستوطن شرق الدلتا من أرض مصر قوم من بنى إسرائيل وتكاثروا وأصبحوا جزءا من الطبقة الدنيا من الشعب المصرى. وبعد طرد الهكسوس من مصر تعرض بنو إسرائيل للاضطهاد أثناء حكم فراعنة الأسرة الـ 19 من الدولة الحديثة.

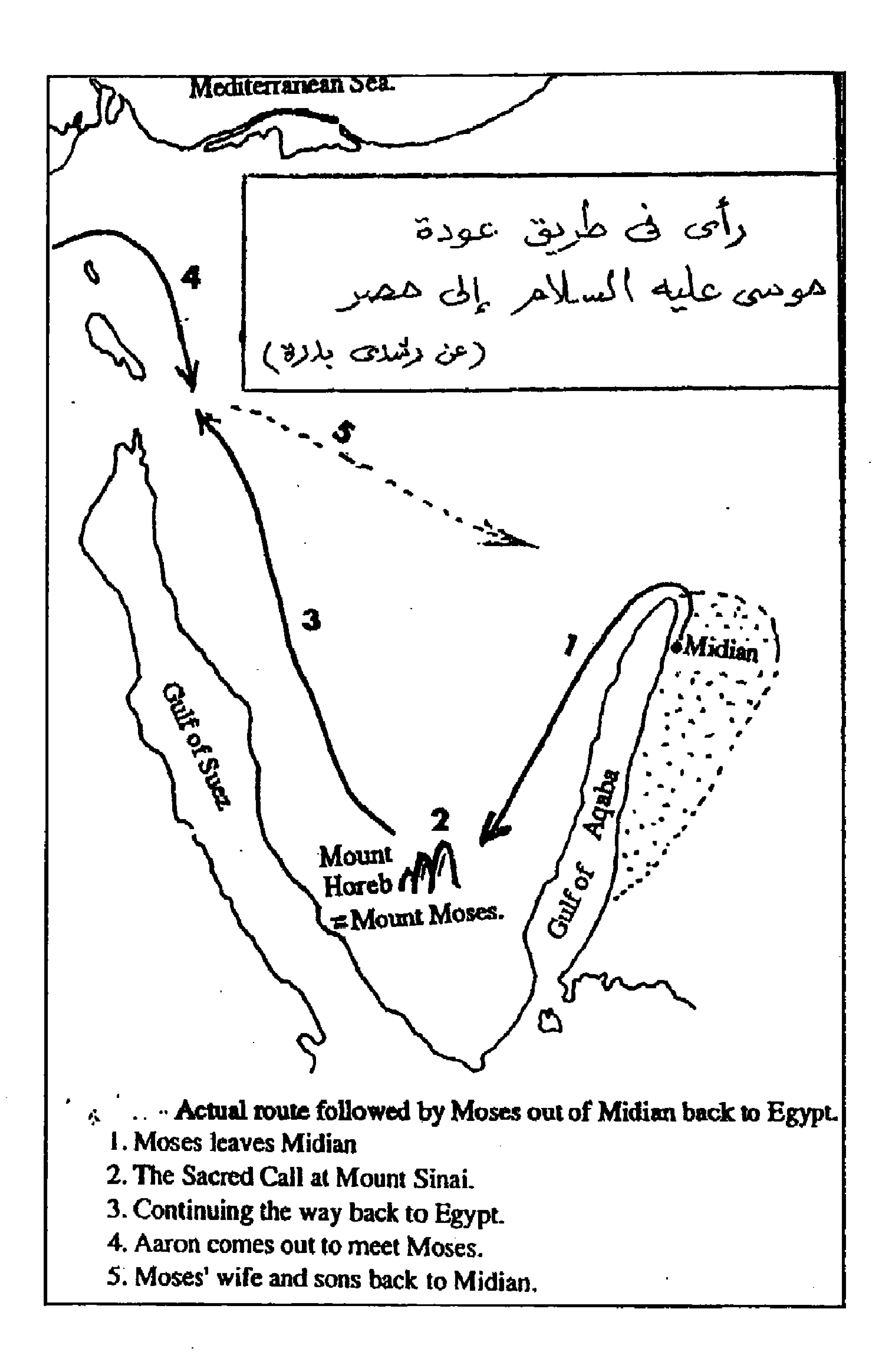
موسى عليه السلام:

(77) يروى لنا القرآن الكريم قصة نبي الله موسى عليه السلام منذ ولادته وكيف تربى فى قصر فرعون وكيف عرف أنه من بنى إسرائيل وكيف حدث أنه



رأى فى طريق هروب موسى عليه السلام من مصر إلى أرض مدين

[عن رشدى بدرة]



رأى فى طريق عودة موسى عليه السلام إلى مصر

[عن رشدى بدرة]

نـصر أحـد بـنى ديـنه عـلى غيره ﴿...فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ... ⑮﴾ [القصص] وكيف جـاءه تحذير وكيف ترك الديار المصرية نجاة بحياته ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ⑳ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ㉑﴾ [القصص].

فكان خـروج موسى منفـرداً قاطعاً صـحراء سـيناء إلى أن وصل إلى أرض مدين وهناك استقر وتزوج وبقى بضع سنين حسب مـيثاقه مع والد زوجته. بعدها تأتى المرحلة التاليـة التى يقطع فيها مـوسى عليه السلام صحراء سـيناء فى طريقه لأرض الدلتا، فسار بأهله فى أواسط سيناء حيث رأى ناراً من جانب الطور ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ㉚﴾ [القصص] ثم إن مـوسى عليه السـلام طلب من ربه أن يعينه بأخـيه هارون عليـه السلام على أداء الـتكليف وأُجيب إلى طلـبه. ثم كـان لقاء مـوسى وهارون مع فرعون وما تبـعه من أحداث فى مصر أثناء إقامتهـما بها، إلى أن جاء أمر الله بخروج بنى إسرائيل من مصر.

وتأتى مـرحلة الخروج ومـلاحقة فـرعون وجنوده لهـم، ومعجـزة شق الماء واجتياز بنى إسـرائيل وغرق فرعون وجنوده: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ㊆ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ㊇﴾ (طه: 78).

ونقلاً عن بعض مـا يروى، أنه لما تقرر الخروج دأبت نسـاء من بنى إسرائيل على استـعارة حلى من ذهب وفضة من نـساء مصريات بدعـوى استخدامـها أثناء طقوس دينية سوف يقومون بها لمدة ثلاثة أيام فى منطقة خلوية على أن يعيدوا تلك الحلى إلى أهلهـا بعد ذلك. ونقلاً أيضـاً عن بعض ما يروى، فـقد اجتـهد بعض البـاحثين فـأعطوا أرقامـاً متـباينة لأعـداد بنى إسرائيل الذين خـرجوا مع مـوسى وهارون، ومن هذه الأرقام ما هو مبالغ فيه تماماً.

مسار الخروج إلى سيناء:

لقد تعددت الاجتهادات فى تحديد مسار الخروج من مدينة تانيس (بيراميس)، وهنا نعرض لبعض هذه الاجتهادات باختصار. (112، 42).

* رواية «مارتن كلو يفينشتاين» Martin Klopfenstein التى دعمها بخريطة تقدم احتمال أن يكون عبور الماء وغرق فرعون وجنوده عند اللسان الذى يفصل البحر المتوسط عن بحيرة البردويل Sirbon فى موقع أسماه Baal Zephon.

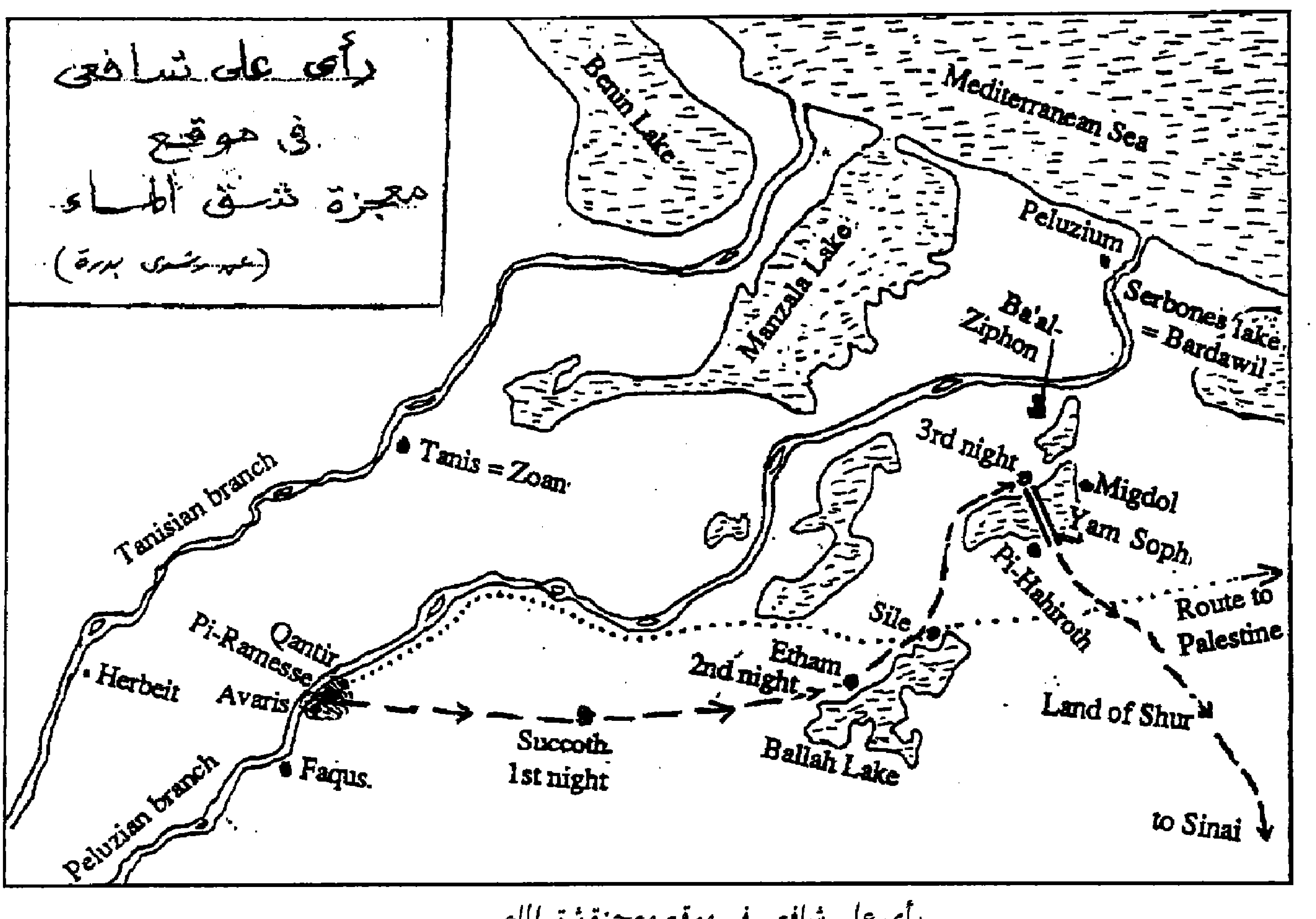
* رواية ميريل أونجر Merril F. Unger فى كتابه (New Unger's Bible Dictionary) أن التجمع والاستعداد للخروج كان عند بلدة «سكوت» وهى الآن تل الرطابة، وأن اختراق البحر كان فى مكان جنوب بحيرة التمساح، بعد ذلك كان الاتجاه جنوبا داخل سيناء.

* رواية ألبرايت فى كتابه (The Old Testament Archeology) أنه بعد التجمع فى تل الرطابة اتجهوا شمالاً حتى لحقهم جيش فرعون فى الأطراف الجنوبية لبحيرة البلاح وهناك انفلق الماء.

* رواية على شافعى فى بحث نشرته الجمعية الجغرافية الملكية عام 1946 الذى حدد فيه مكان العاصمة بيراميس على الفرع البيلوزى بين قنطير وأفاريش وأنهم اتجهوا من تل الرطابة إلى أطراف بحيرة المنزلة حيث لحقهم فرعون واخترقوا الماء فى أحد مستنقعات البحيرة.

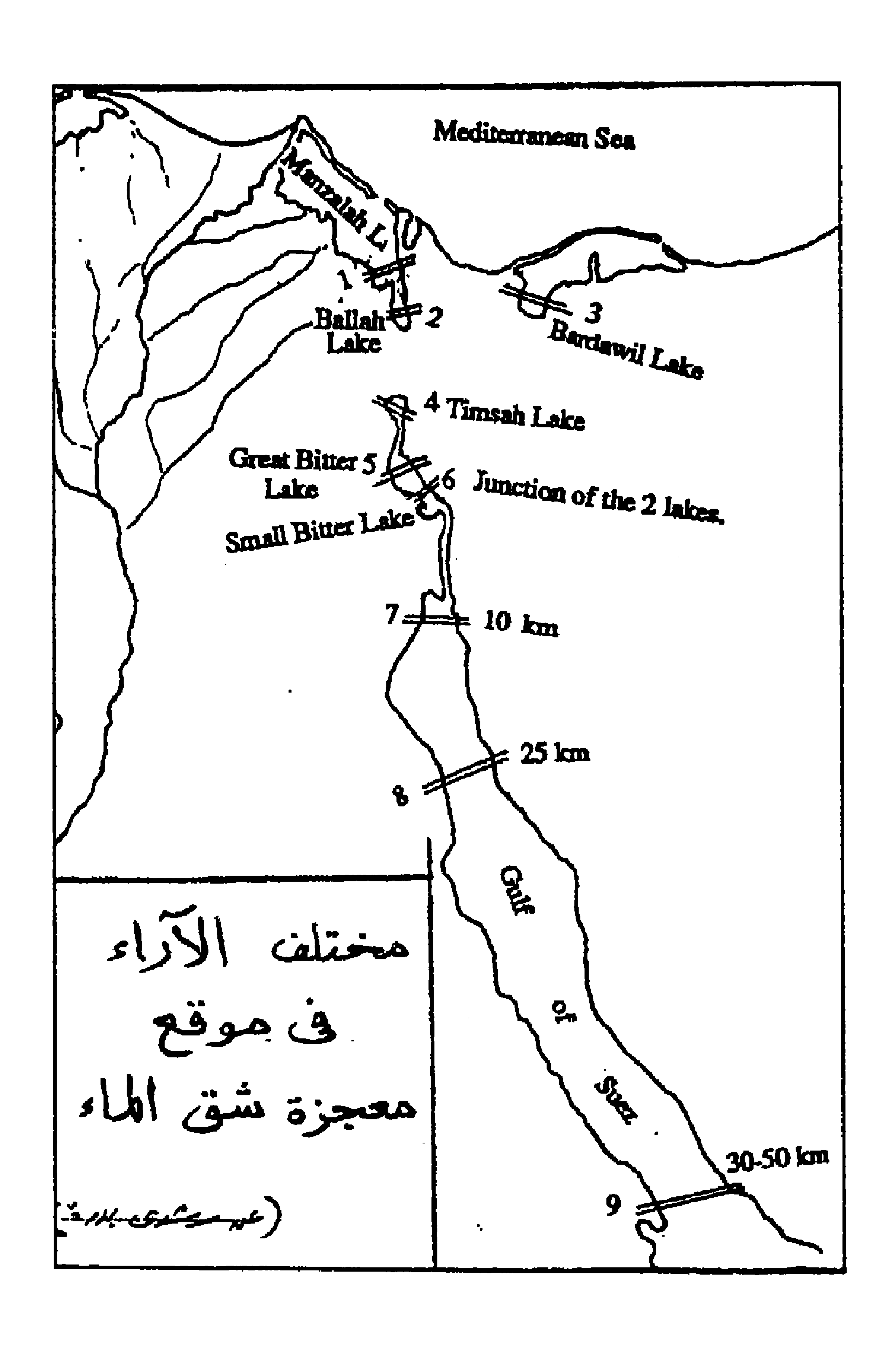
* رواية نيلسون كيز Nelson Beecher Keys الذى رسم خريطة فى كتاب بعنوان (The Bible as History) يبدأ المسار من أفاريس إلى تل الرطابة ثم يتجه جنوبا إلى قرب خليج السويس ثم يعكس المسار اتجاهه شمالا حتى بحيرة البلاح ثم يخترقها ويدخل سيناء ويتجه جنوبا.

* رواية رشدى بدرة فى كتابه (Moses and Ramses) الذى قال إن التجمع كان فى تل الرطابة فى فصل الصيف وكان بنو إسرائيل قد أشاعوا أنهم يخرجون



رأى على شافعى فى موقع معجزة شق الماء

[عن رشدى بدرة]



مختلف الآراء فى موضع معجزة شق الماء

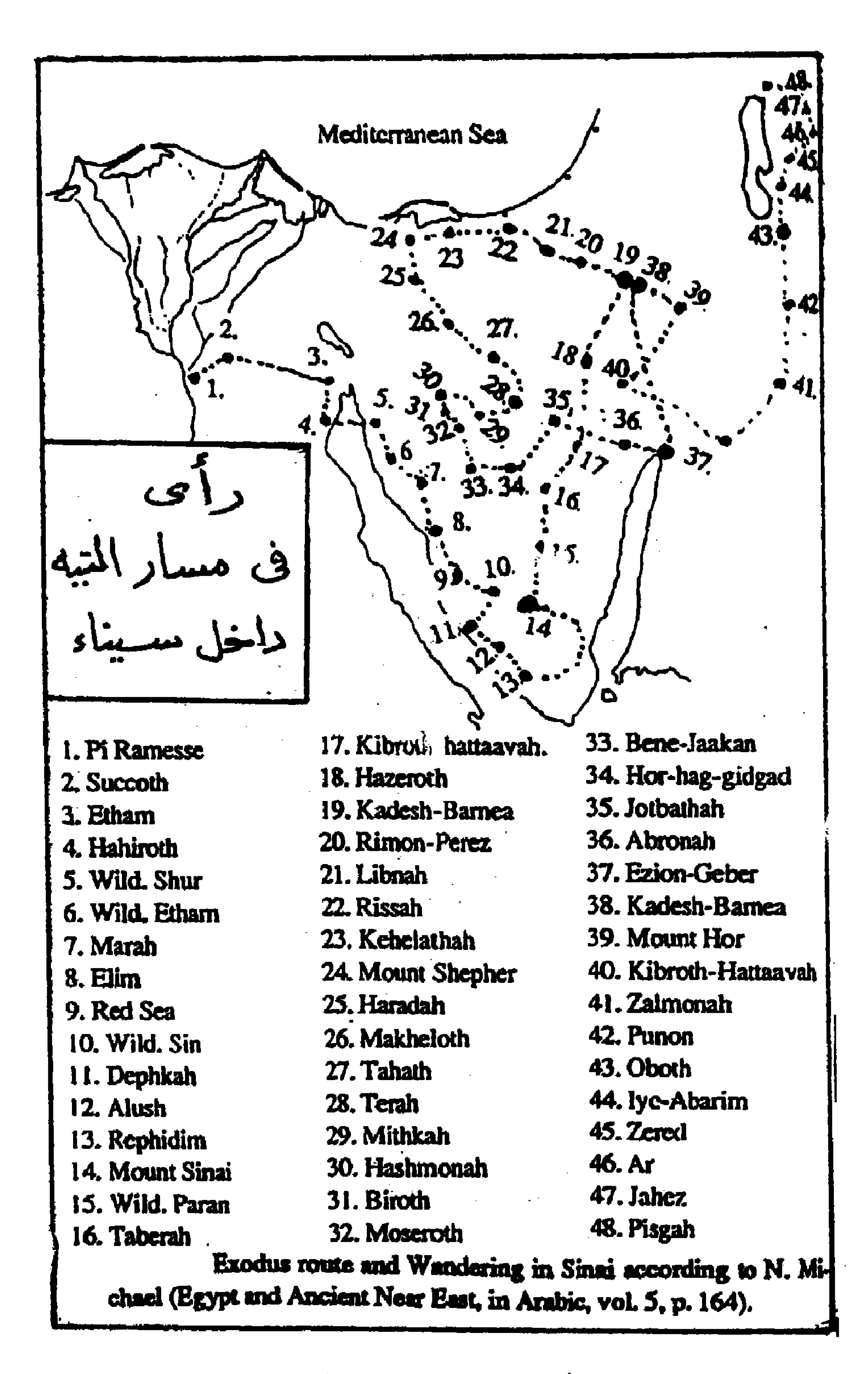
(عن رشدى بدرة)

للصلاة لمدة ثلاثة أيام ثم يعودون لديارهم، وكانوا يحسون أن فرعون كان يشك في نواياهم بأنهم قد يتوجهون إلى أرض فلسطين. لذلك أصدر فرعون أوامره للجيش المرابط على امتداد المسار إلى شمال سيناء بأن يحبط أى محاولة لهروب بنى إسرائيل. لذلك كانت خطة موسى عليه السلام هى الاتجاه جنوبا عكس الاتجاه المحتمل على زعم فرعون، لكسب الوقت. ووصلت جموع بنى إسرائيل إلى سفح جبل عتاقة فى اليوم الثامن ثم اتجهت شمالا فى الوقت الذى قرر فيه فرعون تجريد حملة بقيادته لاصطيادهم. وفى موقع على الجانب الغربى للبحيرة المرة الصغرى عند التقائها مع البحيرة المرة الكبرى اقترب جيش فرعون من بنى إسرائيل وهناك حدثت معجزة انحسار الماء عن ممر يابس وعبور بنى إسرائيل وغرق فرعون وجنوده. ويقترح «رشدى بدرة» أن يكون عمق الماء فى مكان العبور لم يكن يتجاوز 5–7 أمتار، وفى رأيه أنه عمق يكفى لإغراق الآدميين وفى نفس الوقت هو عمق ضحل نسبياً يمكن معه استرداد جثث الغرقى.

مسار التجول فى سيناء:

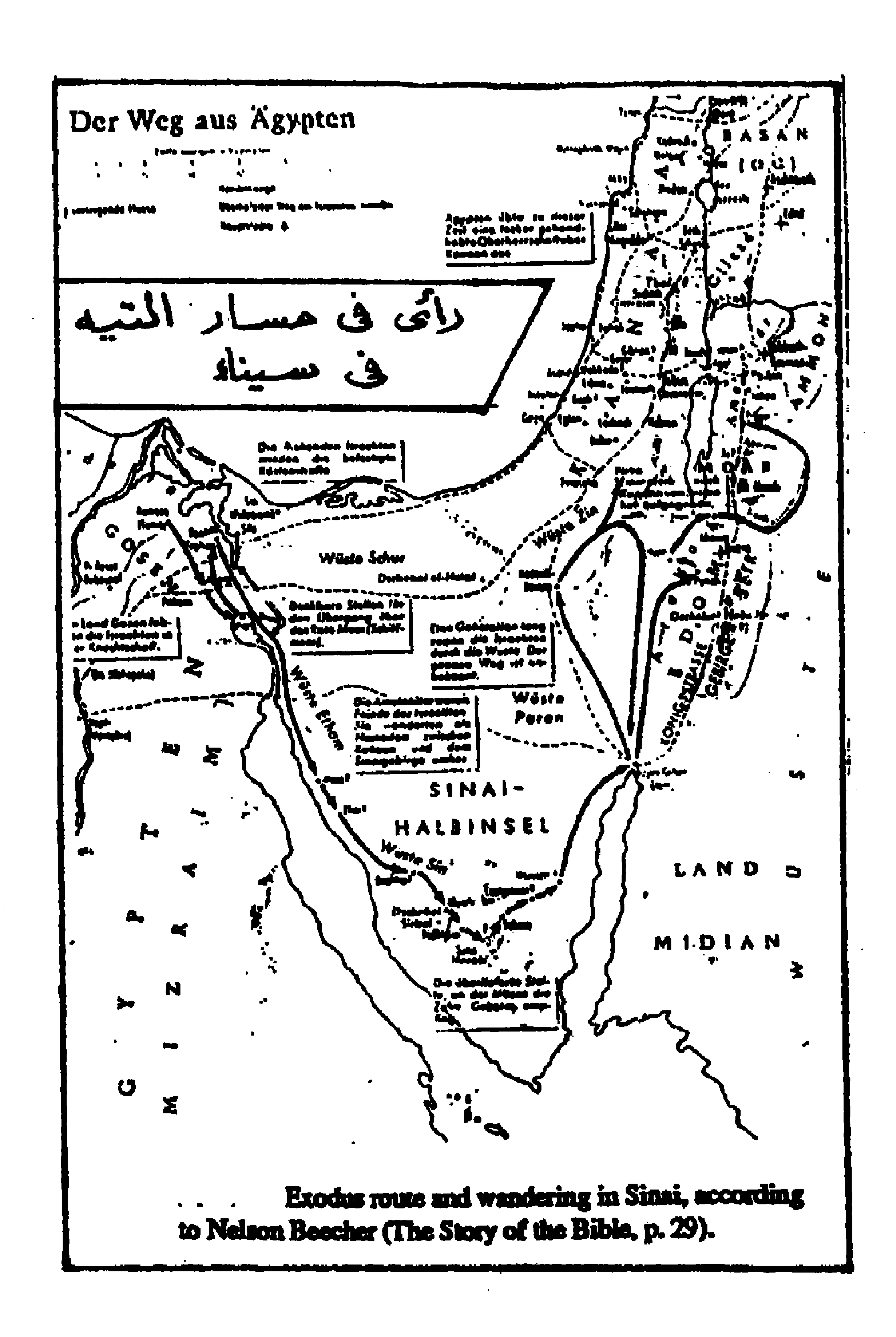
(34) يستفاد من تتبع أسماء المواقع التى وردت فى التوراة خلال فترة التيه أربعين عاما أنهم كانوا يرتحلون. وقد ضمن عبد المنعم سيد فى كتابه «البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة» خريطتين بوجهة نظره فى مسار تيه بنى إسرائيل (105) وقد أكد لاموروه وحسين إدريس فى كتابهما "The Exodus" أن التنقل داخل سيناء خلال الأربعين عاما لا بد أنه كانت له صلة حيوية بمواقع يتوفر فيها الماء للوفاء باحتياج مجموعة بنى إسرائيل.

ومن المعجزات التى أنعم الله بها على نبيه موسى معجزة ضربه الحجر بعصاه فيخرج منه الماء: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ... (١٦٠) ﴾ [الأعراف]. ويقال إن تلك العيون هى فى الموقع المسمى «عيون موسى» وهى على الشاطئ الشرقى لخليج السويس جنوب نفق «الشهيد أحمد



Exodus route and Wandering in Sinai according to N. Michael (Egypt and Ancient Near East, in Arabic, vol. 5, p. 164).

رأى فى مسار التيه داخل سيناء



. . . Exodus route and wandering in Sinai, according to Nelson Beecher (The Story of the Bible, p. 29).

رأى فى مسار التيه فى سيناء

حـمدى» ببـضع عـشرات من الـكيلومتـرات. (112) ونبه «روتينـبرج» إلى عين الجديرات التى تقع إلى أقصى حدود مصر الشرقية مع صحراء النقب وهى عين ماء غزير ذكرت فى التوراة وفى الإنجيل باسم Kadesh Barnea، على أنها واحدة من محطات الإقامة اثناء تجوال بنى إسرائيل فى صحراء سيناء.

(77) وقيل إنه ذكر فى التـوراة عشرون موضعاً لوقـفات بنى إسرائيل أثناء تجوالهـم فى سيناء، ويكاد يكون هناك اتفـاق بين عدد من المؤرخين على أنـه بعد مرور 38 عـاما من التـجوال كـانت آخر نـقطة وصلوا إليهـا هى إيلات - Ezion Geber وهناك بقوا عامين.

وتراوحت الاجتـهادات فى إعطاء تفاصـيل للمســارات داخل سيناء. ومن أوائل الاجتهـادات الخريطة التى رسمها ويلسون ومـعه بالمر فى دراستهما المـشتركة عام 1868. إضافة لهذا نعطى هنا للقارئ مصادر لخـمسة اجتهادات فى شأن المسار موضحة بالخرائط ونكتفى بهذا القدر من الحديث وهذه المصادر هى:

- Davidson : Comm on the Bible. Vol. 1.

- Nelson Beecher : The story of the Bible.

- Unger Merril : New Unger's Bible Dictionary.

- N.Michael : Egypt and Ancient Near East, Vol.5.

-Rushdi Badra : Moses and Ramses.

(ز) سيناء والمسيحية:

لقد شرُفت سيناء بمرور العائلة المقدسة بشمالها مرتين، مرة فى رحلة القدوم إلى مصر ومرة فى رحلة العودة إلى فلسطين. وكانت العائلة المقدسة مكونة حسب الكتاب المقـدس من السيـد المسيح عليه السـلام طفلاً وأمـه السيدة العـذراء مريم وبصحبـتهم يوسف النجار، وحسب ما تواتر من أخـبار تاريخ المسيحية فـقد كان عمر السيد المســيح حوالى عامين. وحسب ما ذكر عالم القـبطيات «جودت جبرة»

فقد أكدت إحدى البرديات موعد قدوم العائلة المقدسة لمصر أنه هو يوم 24 «بشنس» (الموافق أول يونيه). والبردية التى أشار إليها هذا العالم (31.5 سم × 8.4سم) مكتوبة باللهجة القبطية لأهل الفيوم وهى محفوظة فى جامعة كولون بألمانيا وترجع للقرن الرابع الميلادى.

وقد أرخ «فتحى سعيد» فى كتابه (رحلة العائلة المقدسة فى أرض مصر) واستند إلى مصدرين أساسيين (7): الأول هو «السنكسار» القبطى والثانى هو «ميمر» البابا ثيؤوفيلس بابا الإسكندرية الثالث والعشرين (384-412م). سارت العائلة المقدسة من أورشليم(بيت لحم) إلى شمال سيناء بالطريق الساحلى إلى «الفرما» ومنها إلى تل بسطا ثم إلى مسطرد (المحمة) ثم إلى بلبيس حيث شجرة العذراء مريم ثم إلى منية سمنود وسمنود ثم إلى منطقة البرلس حيث بلدة «سخا» ثم إلى منطقة تشرف على وادى النطروق ثم إلى المطرية ثم مصر القديمة. وفى الصعيد مرت بالبهنسا وجبل الطير والأشمونين وديروط والقوصية ثم مير. وكان أقصى مكان فى الصعيد وصلت إليه العائلة المقدسة جبل «قستان» حيث شيد هناك دير المحرق. ثم كانت رحلة العودة بعد حوالى ثلاث سنوات وأحد عشر شهراً، وفى طريق العودة نزلت العائلة المقدسة فى مغارة بمصر القديمة (كنيسة أبى سرجة حالياً) ثم سارت إلى المطرية ثم المحمة ثم بلبيس ثم شمال سيناء ثم إلى أرض فلسطين.

(52) وأقدم ما ذكر عن دخول المسيحية إلى قلب سيناء كانت حوالى عام 365 ميلادية عند الحديث عن الراهب سيلفانوس الذى عاش فى سيناء بضع سنين. وقيل إن القديس جوليان أسس كنيسة فى سيناء حوالى ذلك التاريخ.

سيناء والرهبانية:

(66) ذكرت الباحثة «نهى نجّار» فى موسوعة «الأديان السماوية والوضعية» أن اليهود سبقوا المسيحيين فى مجال الرهبنة إذ قامت عندهم قبل المسيح عليه السلام جماعة «الإسّينيين» وكانت لها صوامع بالقرب من قمران على البحر الميت.

(52) وأول ما ذكر عن الرهبنة المسيحية فى سيناء جاء فى سيرة القديسين، من أن أمونيوس زار جبل سيناء فى طريق عودته من فلسطين حوالى عام 373 ميلادية وزار من كان هناك من الرهبان الذين كانوا يعيشون متفردين فى «قلايات» حول كنيسة كانت مقامة. وحوالى عام 400 ذهب الراهب «تيلوس» إلى سيناء وأقام بها وقتا مع غيره من الرهبان فى قلايات عند جبل موسى حول كنيسة كانت هناك. ومن الأديرة القديمة التى اندثرت فى تلك المنطقة ما كان فى وادى غرندل وما كان بالقرب من الطور وما كان فى وادى الطلح وما كان فى وادى السجلية وما كان فى وادى فيران. (1) إذ اكتشفت مؤخراً أطلال مدينة بيزنطية بوادى فيران وكان سكان هذا الوادى خليطًا من البدو والأنباط. وقد نشأ بهذا الوادى مجتمع رهبانى منذ القرن الرابع الميلادى حين التجأ إليه الرهبان وبنو قلايات من الحجر فى عدة أماكن وأصبحت فيران فى القرن الرابع الميلادى بلدة أسقفية حولها عدد من القلايات ثم أصبحت مقعد البابوية حينا من الزمن. وكان فيها عدد من الكنائس الصغيرة على جبل الطاحون المطل على وادى فيران من ارتفاع 886 متراً فوق سطح البحر. وفى عام 535 كان ثيوناس يحمل لقب أسقف فى كنيسة فيران. وبعد عام 649 انتقل مركز الأبرشية إلى كاترين بعد بناء دير طور سيناء (دير سانت كاترين).

دير سانت كاترين:

(52) من الروايات ما ذكر من أن الإمبراطورة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين زارت رهبان منطقة جبل موسى عام 342 بعد زيارتها فلسطين وأمرت ببناء دير محصّن. أما المحقق تاريخياً فهو أن بناء كنيسة فى ذلك الموضع كان زمن الإمبراطور جستنيان أى فى القرن السادس الميلادى. ومما يروى أنه فى النصف الأول من القرن السادس زارت القديسة سيلفيا المنطقة وذكرت وجود دير محصن. بنى الدير إذن فى عهد جستنيان فى الفترة 548-565 وبه كنيسة كانت تعرف باسم كنيسة «التجلّى»، أما سبب تسمية الدير باسم سانت كاترين فلها قصة. إذ أن العذراء كاترين عاشت فى مدينة الإسكندرية فى عهد الإمبراطور مكسيمانوس

(305-311) واستشـهدت فى سبيل تمسكها بالمسيـحية. وبعد مضى خمـسة قرون على هذا الاسـتشهـاد رأى أحد رهبـان سيناء رؤيا بأن الملائكة حملوا بقـايا رفاة جسدها ووضـعوها فوق قمة جبل قـريبا من جبل موسى (يعرف هذا الجـبل حالياً باسم جبل موسى) فصعد الرهبان إلى قمة هذا الجبل حيث وجدوا الرُفات فدفنوها فى أعلى الجـبل، ثم نقلت بعد ذلك إلـى كنيسـة التجلّى وأصـبح اسم الكنيسة «كنيسة سـانت كاترين» كما أطلق على الدير اسم «دير سانت كـاترين»، ويحتفل رهبان الدير يوم 25 نوفمبر من كل عام بذكرى استـشهاد القديسة كاترين. ورهبان الدير يونانيون أرثوذكس.

ويقع دير سانت كاترين فى بقعة جبلية وعرة على سفح جبل موسى. وقيل إن اختيار هذا الموقع سببه الاعتـقاد بأنه هو الذى رأى فيه موسى عليه السلام النار حيث حدث له الـنداء الربانى والتكليف بالنبوة والرسالة، حيـث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)﴾ [طه]. ويذكر أنه أيام الحروب الصليبية كان يسـمح للفرسان الصليبيين بزيارة الدير والمبيت به أياما. وقـد اعتاد رهبان الـدير حتى يومنا هذا بدء صلاتهم فـجر كل يوم بدقّ الأجراس ثلاثة وثلاثين مـرة وهى عدد السنوات التى عـاشها السـيد المسـيح عليه السلام.

(ح) سيناء بعد الفتح الإسلامى:

(57) ذكر المؤرخ «أحـمد عادل كـمال» صاحب مـوسوعة الفـتح الإسلامى لمصر أنه على مدى 35 قرناً تعـرضت مصـر للغزو أو لمحـاولات الغزو أكـثر من ثلاثين مرة، جاء أغلبـها عن طريق سيناء. من هذه الحمـلات والغزوات والحروب والفتوحات نعطى العناوين والتواريخ التالية:

- الهكسوس 1650-1543 ق. م.

- حملة سرحون الثانى (الآشوريون) حوالى 770 ق. م.

- حملة أسرحدون (الآشورى) 667 ق. م.

- حملة آشور بانيبال (ابن أسرحدون) 661 ق.م.

- حملة قمبيز بن قورش 525 ق.م.

- حملة فارسية 341 ق.م.

- حملة الإسكندر 330 ق. م.

- الرومان (والبيزنطيون) منذ عام 30 ق.م.

- غزو كسرى برويز 617 ميلادية.

- الرومان (البيزنطيون) 627.

- الفتح الإسلامى 640.

- هجوم القرامطة بعد 7 سنوات من الوجود الفاطمى عام 968.

- الحروب الصليبية واجتياح سيناء خمس مرات.

- الغزو العثمانى زمن سليم الأول 1517.

- الحملة التركية خلال الحرب العالمية الأولى.

- العدوان الثلاثى 1956.

- حرب يونيه 1967 والاحتلال الإسرائيلى لسيناء إلى تحريرها فى حرب أكتوبر المجيدة 1973.

(52) وهكذا نرى أن الواقع التاريخى يؤكد أن معظم الاعتداءات أو محاولات الاعتداء على مصر جاءت عن طريق سيناء بوابة مصر الشرقية. وكما أن طريق حورس هو مسار غزوات خارجية استهدفت مصر، فهو أيضا مسار الجيوش


بحر الروم
الإسكندرية
دمنهور
سخا
أتريب
بلبيس
عين شمس
أم دنين
بابليون
بحيرة قارون
الفيوم
القنطرة
الفرما
العريش
بحيرة التمساح
البحيرات المرة
القلزم
(السويس)
فتح مصر ٦٤١م
خط السير إلى الإسكندرية والفيوم
طريق العودة بعد فتح الإسكندرية

فتح مصر 641م

المصرية فى كل العصور فاتحة فلسطين وبلاد الشام، وفى أجزاء من هذا الطريق أقام المصريون حصوناً ومخازن للمؤن وحفروا آباراً للمياه.

يبدأ طريق حورس من «قلعة ثارو (سيلا)» ومكانها الآن تل أبو سيفه على بعد كيلومترين ونصف شرق بلدة القنطرة، ويتجه شرقاً ليمر قريباً من تل الجير ثم يبعد الطريق عن شاطئ البحر فيمر عند نقطة قطية ثم يقترب من بحيرة البردويل ثم يقترب من البحر عند أم العشوش ويصل للعريش ثم رفح.

(56) وقد كان فتح مصر على يد «عمرو بن العاص» الذى سار من فلسطين فى جيش صغير قوامه 3500 فارس وكان فى حملته رجال من اليمن من قبيلة «عك» ثلثهم من «غافق» وهم الجيش الذى حارب به عمرو فى فتوح الشام. وقبل أن يصل إلى العريش انحدر إليه من جبال الحلال 500 مقاتل من «راشدة» فصار جيشه أربعة آلاف. وأدرك العريش فى عيد الأضحى (10 ذى الحجة 19 هجرية الموافق 29 نوفمبر 640 م). وسار غربا وكانت أول معاركه أمام قلعة الفرما وحاصرها شهراً وفتحها. ومن الفرما سار فى النصف الثانى من صفر عام 20 هجرية الموافق فبراير 641 إلى مجدول وهو موضع القنطرة ثم اتخذ وادى الطميلات إلى بلبيس.

سيناء والحروب الصليبية:

(102) اجتاح الصليبيون أرض سيناء خمس مرّات نذكر منها حملة بلدوين وحملة عمورى الأول. فقد عبر بلدوين الأول الصحراء من غزة إلى العريش ثم الفرما دون مقاومة تذكر فوصلها فى 21 مارس 1118 ثم وصل إلى بلدة تنيس جنوب بحيرة المنزلة وفى أثناء تراجعه توفى قرب العريش فى 2 أبريل 1118. ويقال إن اسم بلدوين قد أطلق على بحيرة «البردويل». أما عمورى الأول فقد تقدم على رأس جيش اخترق سيناء حتى وصل بلبيس والتقى بالجيش الفاطمى وألحق به هزيمة فى سبتمبر 1163 وفتح المصريون سدود فروع النيل وكان وقت الفيضان فأوقفوا بذلك أى تقدم وعاد عمورى إلى الشام. ثم عاود مهاجمة مصر

عام 1167 ووصل إلى القاهرة ثم تراجع، ثم هاجمها مرة ثالثة عام 1168 وتراجع عام 1169.

طريق الحج:

(112) يقطع سيناء من السويس إلى العقبة طريق يعبر صحراء التيه، عرف بأنه طريق الحج، ويرجع إلى أحمد بن طولون تأهيل هذا المسار ليكون طريقا للحج عام 875 ميلادية. ويبدأ درب الحج أو درب الحاج من عجرود (بين القاهرة والسويس) ويدخل سيناء ويعبر ممر «متلا» إلى وادى القباب، وإلى الشرق منه على بعد 80 كيلو متر فى وسط صحراء التيه تقع قلعة «نخل». ويقال إن المملوك «دنكنداز» هو الذى بدأ بناءها عام 1331 ميلادية ثم عمّرها قنصوة الغورى عام 1509. وفى بداية تبعية مصر للخلافة العثمانية قام الوالى التركى على باشا عام 1551 بترميم الطريق. وبعد مسيرة حوالى 50 كيلومتر شرقاً يبدأ درب الحاج فى الهبوط فى ممر عرف باسم نقب العقبة الذى يفضى إلى ميناء العقبة.

وإلى الجنوب من درب الحاج يقع درب الشاوى وهو أقدم منه، ولكنه لم يكن يمتد بكل المسافة بين الخليجين.

(52) وقد ذكر بعض الجغرافيين العرب سيناء فى كتاباتهم لارتباطها بأخبار التجارة وأخبار الحج وأخبار الحروب. وأهم من كتب عن سيناء من هؤلاء الجغرافيين فى القرون الوسطى: الإصطخرى، ابن حوقل، المقدسى، المسعودى، ابن إياس، ناصر خسرو، البرديس (1153)، ابن جبيَر (1183)، أبو صالح الأرمنى، ياقوت الحموى (1226)، أبو الفدا (1320)، ابن خلدون، القلقشندى (1400)، ابن الوردى (1420)، المقريزى (1450).

(ط) سيناء فى التاريخ الحديث

(52) اهتم بتاريخ سيناء عدد من العلماء الأجانب بدءاً من القرن السابع عشر. وكان بعض الاهتمام يرتبط بالناحية الدينية سواء منها ما كان يحاول تحقيق مسار بنى إسرائيل، وما كان منها مرتبطا بانتشار المسيحية والرهبنة.

(11) فى عام 1893 (1311هـ) صدر فى مصر كتاب باسم«التوفيقات الإلهامية» ألفه اللواء محمد مختار باشا. وفيما كتب عن أحداث عام 1798 (1213هـ) أن نابليون أثناء وجود الحملة الفرنسية فى مصر أمر باستكشاف برزخ السويس بقصد «إعمال «قنال» يجمع البحر الأحمر بالمتوسط على نية معاكسة الإنجليز فى الهند. وقد قام العالم الفرنسى المصاحب للحملة «بيير سيمون جيرار» بدراسة عن هذا الموضوع نشرت فى الدورية التى كانت تصدرها الحملة بالقاهرة وهى «الكورييه ديجيبت».

(105) فى عام 1816 قام الرحالة السويسرى بوركهارت برحلة فى سيناء متخفيا فى زى عربى، ثم نشرت أخبار هذه الرحلة بعد عام 1822. وفى عام 1822 كلّف محمد على عالم الطبيعيات الألمانى رويل بارتياد سيناء فقام بعدة زيارات بين عامى 1822-1831 ونشر خريطة عن سيناء عام 1826 ثم نشر كتابا عام 1830 فيه معلومات أركيولوجية ومعلومات عن طبيعة الأرض.

وفى عام 1838 قام الرحالة الأمريكى روبنسون بجولات فى سيناء وفى فلسطين نشر عنها كتابا فى لندن عام 1841 فى ثلاثة أجزاء. (32) وفى عام 1842 أرسل ملك بروسيا العالم «لبسيوس» لارتياد سيناء الذى استمر فى جولاته ثلاث سنوات ونشر نتائجها عام 1852.

(67) وكانت أولى عمليات المسح الطبوغرافى المنظم لسيناء عام 1868 عندما قامت مجموعة من رجال مصلحة المساحة البريطانية برئاسة «بالمر» و«ويلسون» تمولها هبات من الجهات المعنية بالتاريخ الدينى، فى رسم الطرق التى يحتمل أن يكون موسى عليه السلام قد اتخذها فى أنحاء سيناء.

(51) والواقع أن الأطماع الصهيونية العالمية قد اتجهت فى القرن التاسع عشر إلى سيناء وحاول المؤتمر الصهيونى الأول أن يحصل على إذن من «لورد كتشنر» فى مطلع القرن العشرين لإنشاء مستعمرة فى سيناء، ولم تفلح المحاولة، وإنما أفلحت بعد ذلك فى الحصول على وعد بلفور لإقامة وطن يهودى فى فلسطين، وبقيت سيناء مطمعاً لم يتحقق.

(9) فالأطماع الإسرائيلية فى سيناء قديمة، ومن أقدمها ما ظهر عقب دخول السلطان العثمانى سليم الأول مصر عام 1517، فقد جرت محاولات صهيونية قابلها السلطان بالرفض القاطع إذ أصدر فى العام نفسه فرماناً يقضى بعدم السماح لليهود بالهجرة إلى سيناء، ثم تلاه السلطان سليمان القانونى الذى أصدر هو الآخر فرمانا عام 1520 أكد فيه ما سبق أن أصدره والده.

ولقد كانت أول محاولة فى العصر الحديث لإقامة مستعمرة يهودية فى المنطقة عام 1891، ذلك أن بريطانيا ساعدت الألمانى اليهودى «بول فريدمان» للتمركز فى موقع «شرمة» فى شمال أرض مدين بالقرب من سيناء، وقام هذا المغامر باستجلاب مهاجرين يهود إلا أن هذا المشروع فشل. ثم كانت المحاولة الثانية للاستيطان المباشر فى سيناء. وقد تزعم هذه الحركة «تيودور هيرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية العالمية (1860–1904) ففى عام 1902 أجرى «هيرتزل» مقابلات مع وزير المستعمرات البريطانى «جوزيف تشيمبرلن» واقترح عليه تأسيس «الشركة اليهودية الشرقية» برأسمال خمسة ملايين جنيه استرلينى لتوطين اليهود فى سيناء وخاصة فى منطقة العريش. وكانت فكرة التعمير لدى «هيرتزل» تتركز فى مدّها بماء النيل عبر أنابيب من تحت قناة السويس على أن يتم استجلاب الطمى اللازم لتخصيب الأرض من الدلتا. وفى مارس 1903 وصل «هيرتزل» إلى القاهرة للتفاوض للحصول على امتياز لهذه الشركة التى نادى بها ولكنه قوبل بصدود تام جعله يغادر مصر فى الشهر التالى (إبريل 1903) بعد فشله فى اقناع حكومة مصر.

(113) وبعيداً عن التيارات السياسية المباشرة، حدثت جهود استكشافية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ومن أبرزها جهود الأركيولوجى «فلندرز بيترى» التى نشرت عام 1906.

(37) ومن المؤلفات التى صدرت عن سيناء فى الربع الأول من القرن العشرين كتاب «نعوم شقير» تاريخ سيناء القديم والحديث، مع خلاصة عن تاريخ

مصر والشام والعراق وجزيرة العرب، الذى نشرته دار المعارف عام 1916. ذكر فيه المؤلف طرفا من معالم سيناء وأهلها ومعيشتهم، ومن ضمن ما ذكره اهتمام أهل سيناء البدو بالنباتات الطبية ومنها الطرفا والسيّال والسدر والشيح والقيصوم والحمص والحرجل والحنظل والعاذر والحوى والبهق والسمج والسكران والعجرم.

(33) ومن الإصدارات الهامة «موسوعة سيناء» التى أصدرها المجلس الأعلى للعلوم (التابع لرئاسة الجمهورية حينذاك) عام 1960. وتقع الموسوعة فى 416 صفحة من القطع الكبير تضم 13 فصلاً. كما تضمنت قائمة ببعض الأبحاث العلمية التى تمت عن شبه جزيرة سيناء من عام 1700 حتى عام 1959 أعدها «رشدى سعيد وماير بلّلوز». رصدت القائمة عناوين 500 دراسة منشورة وعنوان 89 دراسة غير منشورة أعدتها شركات البترول. وصنفت النسب النوعية لهذه الدراسات كالآتى:

- مقالات فى الرحلات والآثار والدين 25 ٪.
- مقالات فى الجغرافيا 18 ٪.
- مقالات فى علم النبات 19 ٪.
- مقالات فى علم الجيولوجيا والمياه والبترول والمناجم 38 ٪.

(36) ويرجع الفضل فى وضع الأساس الذى تقوم عليه الخريطة الجيولوجية الحديثة لسيناء لستة من الرعيل الأول هم «هيوم وبول وبارون وبيدنل ومون وحسن صادق». وقد جاء بعدهم عشرات من الرواد أضافوا الكثير. وفى عام 1939 وضع «كلدانى» تصنيفاً «بيبلوجرافيا» ضمت أسماء البحوث التى لها صلة بالعلوم الجيولوجية لمصر بصفة عامة، وقد أضيف إليها تباعا ما كان يستجد من دراسات.

(97) وفى فترة الاحتلال الصهيونى لسيناء بعد حرب 1967 وعلى مدى اثنى عشر عاما حتى 1978 قامت جهات علمية إسرائيلية بدراسات عن سيناء وقد أصدرت المساحة الجيولوجية الإسرائيلية فى أكتوبر عام 1978 بيبلوجرافيا عن

التقارير المنشورة والتقارير التى لم تنشر، والتى أعدها علماء من إسرائيل، وضمت البيبلوجرافيا عناوين 258 دراسة منشورة.

(2) ومن العلماء المصريين الذين ارتادوا سيناء منذ الربع الثانى من القرن العشرين، فى مجال مشروعات المياه السطحية «على شافعى» وفى المياه الجوفية «عبده شطا»، وفى مجال البترول «على والى وأحمد البرقوقى»، وفى مجال علم الحشرات «حسن شاكر أفلاطون»، وفى مجال الثروة المعدنية «الشاذلى محمد الشاذلى وسيد عبد الناصر ومحمود أبو العينين ويتميز بينهم «درويش مصطفى الفار» الذى اكتشف وجود الفحم بمنطقة المغارة.

(11) ومن رجال الإدارة فقد توالى على حكم سيناء بعد إنشاء مصلحة الحدود عام 1906 على التوالى: «باركر (1906–1923)، جارفس (1923–1936)، همرسلى (1936–1946)»، ثم توالى حكام ومحافظون مصريون.

(ك) سيناء والحروب مع إسرائيل

حدثت أربع مواجهات عسكرية بين مصر ودولة إسرائيل بعد إنشائها وكانت كل المواجهات على أرض سيناء.

حرب عام 1948:

(19) كانت أرض فلسطين تحت الانتداب البريطانى منذ الحرب العالمية الأولى، وأثناء هذه الحرب صدر وعد بلفور البريطانى بإقامة دولة يهودية فى أرض فلسطين، وظلت الحكومة البريطانية تمهد للوفاء بهذا الوعد. ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية وفى 28 إبريل عام 1947 كلفت الأمم المتحدة لجنة دولية لبحث الوضع فى فلسطين وقدمت اللجنة تقريرها فى أغسطس من نفس العام وأوصت فى هذا التقرير بإقامة دولتين فى فلسطين، دولة لليهود تغطى السهل الساحلى وشرقى الجليل والنقب أما باقى الأرض الفلسطينية فتتكون منها الدولة الفلسطينية العربية، وتكون القدس تحت إشراف الأمم المتحدة. ونالت توصية التقرير موافقة

الأغلبية فى الجمعية العامة العمومية للأمم المتحدة عند انعقادها فى 29 نوفمبر 1947.

(2) وفى 15 مايو 1948 أنهت بريطانيا انتدابها وانسحبت بقواتها وإدارييها من فلسطين وأعقب ذلك مباشرة بساعات معدودة قيام دولة إسرائيل واختيار «بن جوريون» رئيسا للحكومة المؤقتة. وخلال ساعات أيضا اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بدولة إسرائيل وتلاها اعتراف الاتحاد السوفيتى. ولم يوافق أهل فلسطين من العرب على هذا التقسيم كما لم توافق عليه الدول العربية أعضاء الجامعة العربية، وكان إعلان قيام دولة إسرائيل بمثابة إعلان حرب من الجانب العربى. وحشد العرب قواتهم على حدود فلسطين من جانب مصر والأردن وسوريا ولبنان. وقد حشدت مصر قواتهم من الجيش ومن المتطوعين فى سيناء. وفى صباح يوم 15 مايو 1948 عبرت القوات المصرية الحدود الدولية داخل أرض فلسطين وكذلك فعلت من جانبها قوات عربية أخرى.

(112) هاجمت مصر بجيشين أحدهما فى اتجاه غزة والآخر فى اتجاه بئر سبع. وصل أول الجيشين إلى ميناء أشدود فى 11 يونيه كما وصل الجيش الآخر إلى بئر سبع فى 20 مايو وتحرك فى اتجاه بيت لحم. وحدث وقف القتال الأول فى 11 يونيه 1948 ثم استؤنف القتال خلال الخريف وشدد الإسرائيليون هجومهم بدءاً من 22 ديسمبر وتقدموا جنوبا إلى ميناء العقبة. وفى بداية يناير 1949 وصل الجيش الإسرائيلى إلى العريش، ثم حدث وقف إطلاق النار الثانى فى 7 يناير 1949، والتزم الجيش الإسرائيلى بخط الهدنة من رفح للعقبة مع بقاء شريط غزة تحت الحكم المصرى.

(2) ويقول «محمد حافظ إسماعيل» فى كتابه عن «أمن مصر القومى» إن إسرائيل عند وقف إطلاق النار كانت تسيطر على أراض تفوق ما كان مقرراً لها فى قرار التقسيم، وكانت قوات إسرائيلية قد تسللت حتى رأس خليج العقبة وتمركزت لتصبح لها إطلالة على البحر الأحمر فى إيلات. وكان ترك إسرائيل تصل إلى

خليج العقبة خطأ استراتيجيا فادحا تسبب فى جعل النقب وميناء إيلات بمثابة «إسفين» يفرق جغرافيا ما بين مصر وسائر بلاد المشرق العربى. وفى 24 يناير 1949 وقعت مصر الهدنة.

(25) ويذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه «ملفات السويس» أن القوات المصرية فى حرب 1948 لم تكن مؤهلة لإحراز أى نصر حربى بسبب ضعف السلاح وافتقارها لغطاء جوى.

حرب عام 1956:

قامت هذه الحرب بسبب تأميم جمال عبد الناصر قناة السويس الذى أعلنه فى الإسكندرية يوم 26 يوليو 1956. (19) وقد يكون مفهوماً سخط حكومتى فرنسا وبريطانيا على قرار التأميم الذى يمس مصالحهما، أما أن تشارك إسرائيل فى عدوان ثلاثى فهذا لا يوجد له تفسير إلا المطامع الإسرائيلية فى سيناء. (2) وقد بدأ عدوان إسرائيل على سيناء فى 29 أكتوبر 1956 وخلال أول وثانى أيام نوفمبر كانت إسرائيل قد أتمت تدمير السلاح الجوى المصرى وانتشرت القوات الإسرائيلية فى أنحاء سيناء ووصلت إلى القناة فى 2 نوفمبر كما وصلت إلى شرم الشيخ فى 5 نوفمبر. وقد تدخلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لوقف القتال فى 6 نوفمبر، ثم جرى انسحاب القوات المعتدية البريطانية والفرنسية. وتلكأت إسرائيل فى الانسحاب فلم تبدأ إلا فى 21 يناير 1957 واستكملته فى 8 مارس عام 1958.

حرب عام 1967:

(112) قبل عام 1967 حرصت مصر على تقوية سلاحها الجوى إلى 500 وحدة. وفى 18 مايو 1967 طلب «جمال عبد الناصر» من سكرتير عام الأمم المتحدة «يوثانت» سحب قوات الأمم المتحدة المرابطة فى غزة وفى سيناء وفى شرم الشيخ وقد تم هذا الانسحاب فى 22 مايو 1967. (57) وفى 23 مايو أصدر «عبد الناصر» قرار إغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية. (39) فحشدت حكومات مصر وسوريا والعراق والأردن والسعودية جيوشاً فى اتجاه حدود

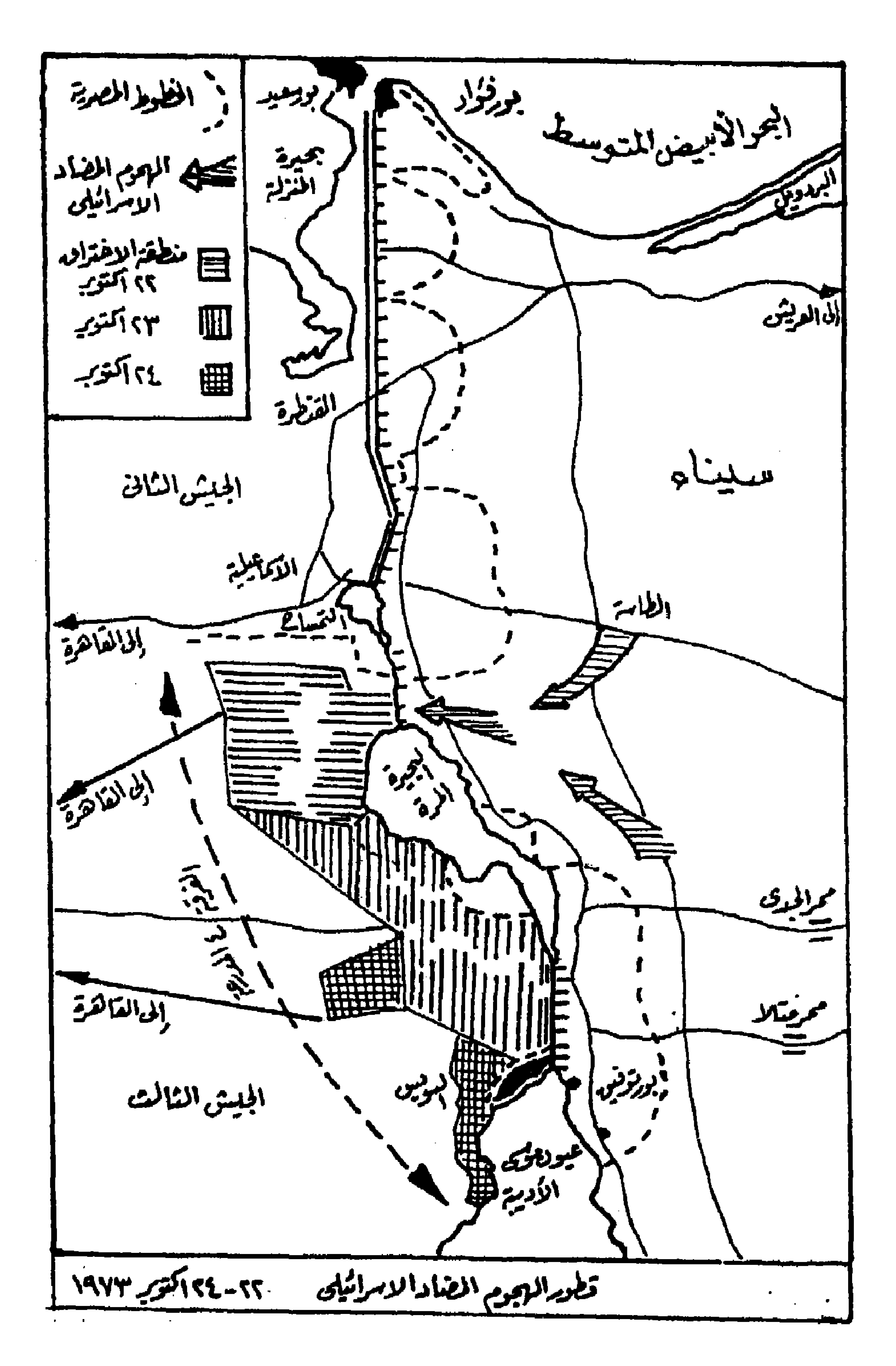
إسرائيل، وفيما بين الساعة الثامنة صباحاً والساعة الحادية عشر صباحاً من يوم 5 يونيه 1967 كانت الجيوش العربية قد تحركت فى حالة حرب مع إسرائيل.

(112) وفى نفس صباح يوم 5 يونيه 1967 قام سلاح الطيران الإسرائيلى بغارات مكثفة واستطاع فى ساعات تدمير ما يقرب من 374 وحدة من قوة الطيران المصرية ومن تعطيل جزء كبير من الشبكة الرادارية. وتقدمت قوات إسرائيلية إلى رفح والعريش ووصلت القنطرة فى 7 يونيه، كما وصلت قوات أخرى فى مواجهة الإسماعيلية وقوات أخرى فى مواجهة السويس، وتم استيلاء إسرائيل على كامل سيناء إلى أن أُعلن وقف القتال فى 10 يونيه 1967.

حرب عام 1973:

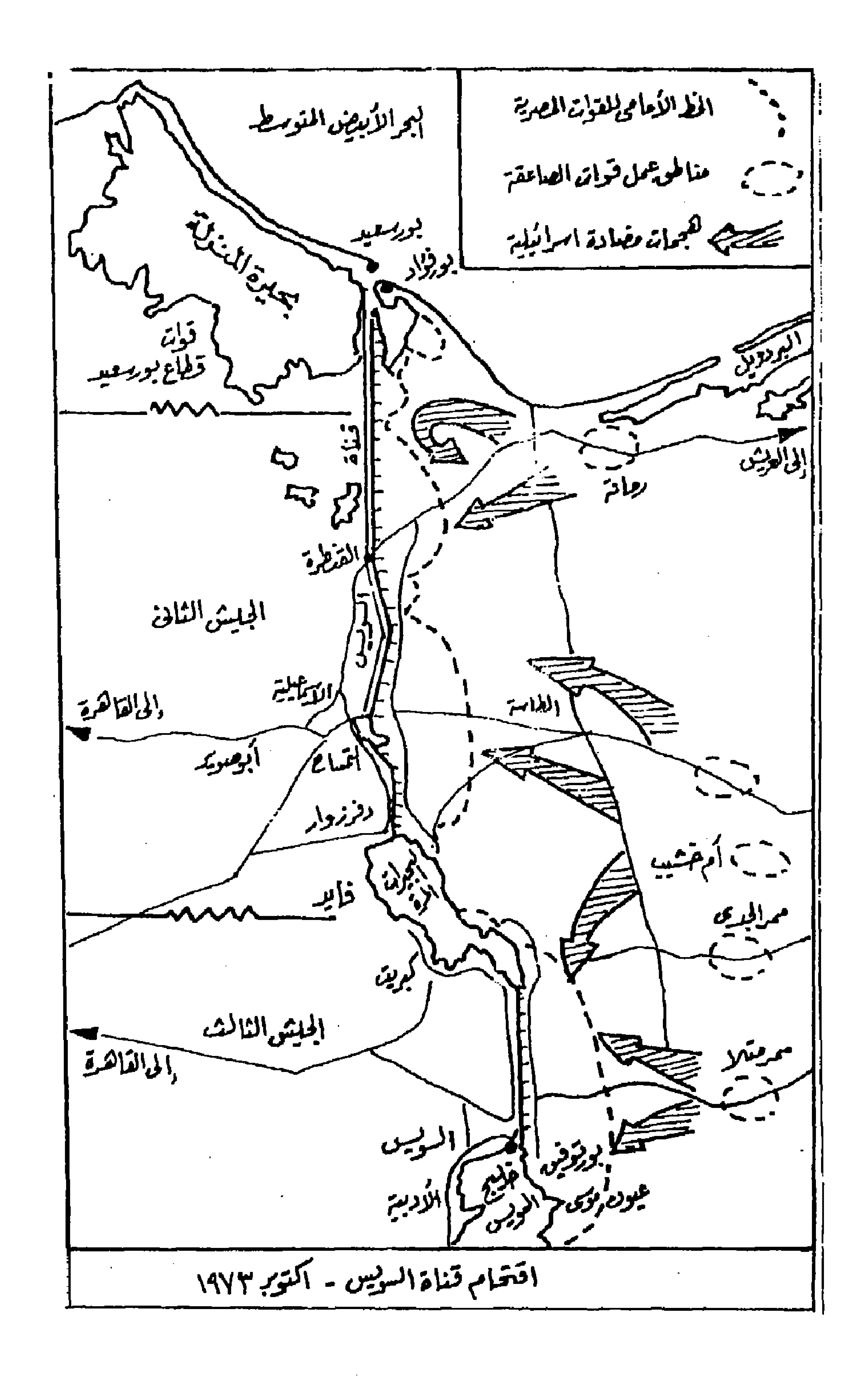
(25) بعد هزيمة مصر فى حرب 1967 سمح عزم القيادة السياسية المصرية على الإعداد بكل القوى لاسترداد الأرض السليبة. وقطع «عبد الناصر» شوطاً فى هذا الإعداد، ومات فى 29 سبتمبر 1970 (27 رجب 1390هـ). وقد شيعت جنازته فى مشهد تاريخى فى أول أكتوبر عام 1970 ثم تولى «محمد أنور السادات» قيادة المسيرة لإتمام ما كانت مصر عاقدة العزم عليه لاسترداد الأرض فى معركة لا ريب فيها. وكان هذا اليوم هو يوم 6 أكتوبر 1973 (الموافق 10 رمضان) وكان التنسيق بين قيادة الجيش السورى. وقد استخدمت فى الاستعدادات كلمة «الشرارة». (112) وكانت إسرائيل قد أقامت خطا دفاعيا على امتداد الضفة الشرقية للقناة وأعطوا له اسم خط بارليف. وبعد استعداد الجيش المصرى بمساعدة السوفيت بدأ الهجوم المصرى فى صباح يوم 6 أكتوبر 1973 على خط بارليف وكان يوما دينيا عند اليهود وهو يوم «كيبور» وكان الهجوم مفاجئاً.

(25) بدأت العملية بقصف مدفعى مكثف على امتداد القناة بغطاء جوى وبدأ الطيران المصرى بما يقرب من 220 طائرة فى قصف المواقع الإستراتيجية لإسرائيل مع التركيز فى نقاط الاقتحام المخططة عند القنطرة شرق وعند الفردان وجنوب البحيرات المرة.



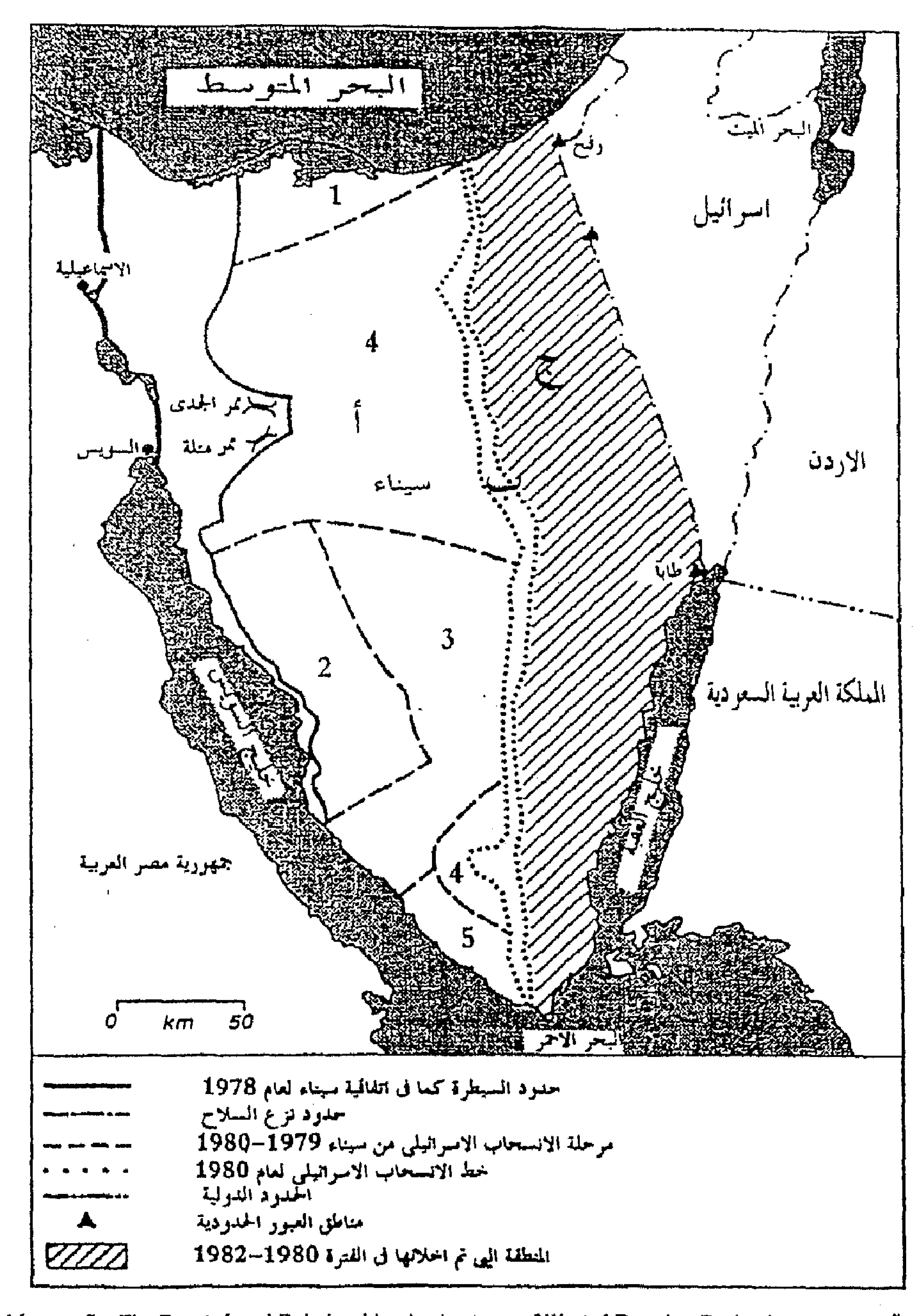
تطور الهجوم المضاد الإسرائيلى

22 - 24 أكتوبر 1973



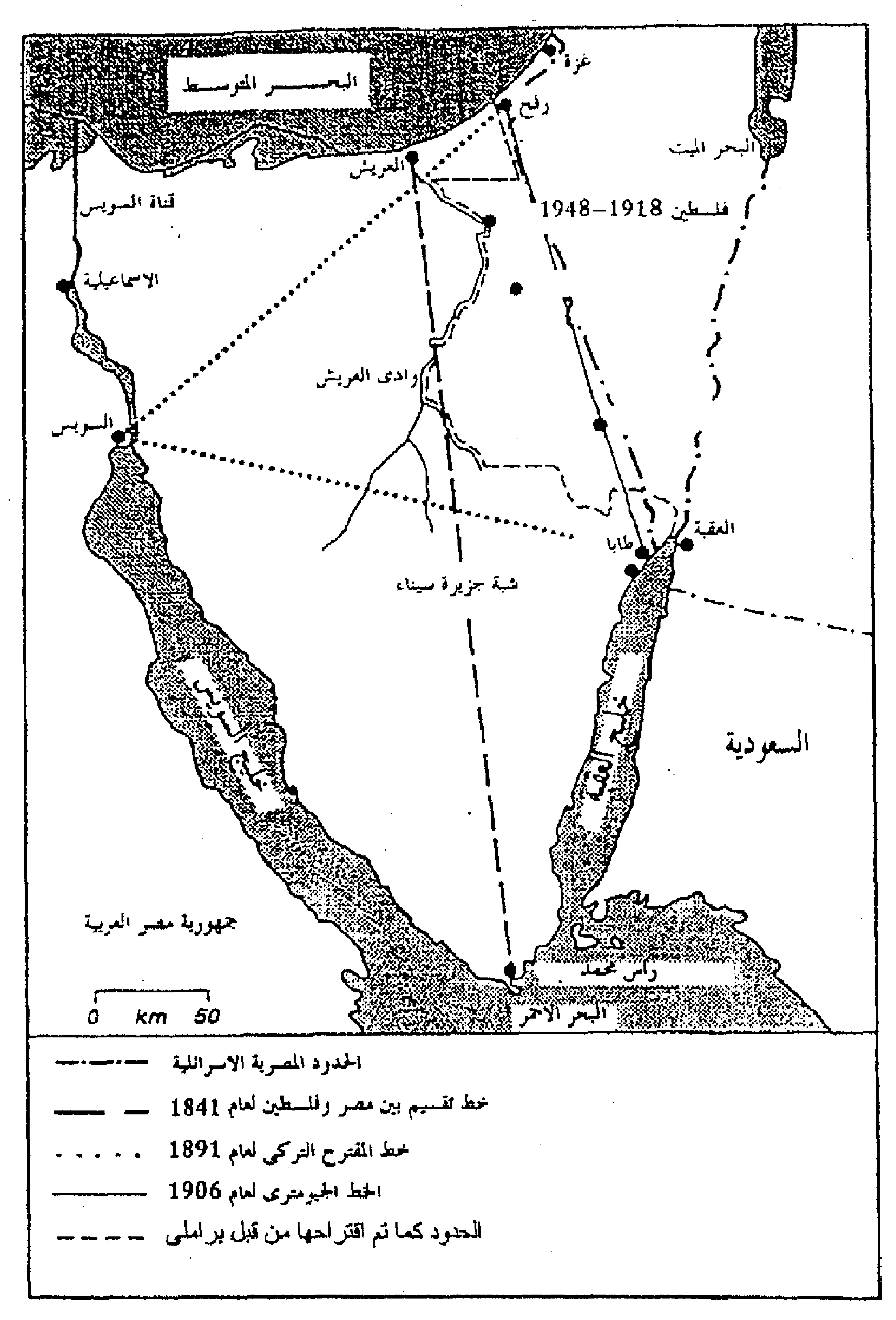
اقتحام قناة السويس

أكتوبر 1973



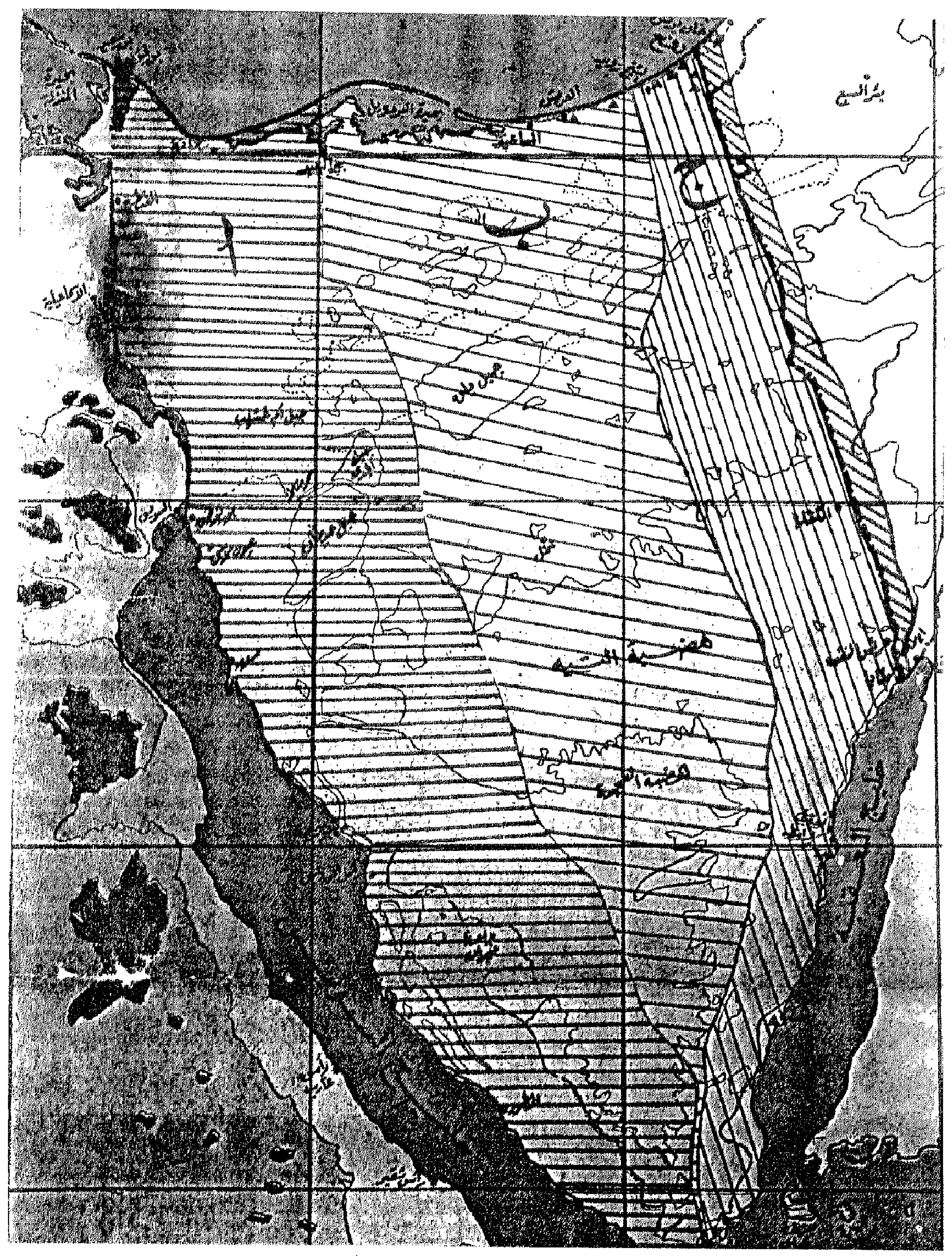
المصدر: Mansur, S., The Egypt- Israel Relationship: An Anatomy of Wasted Decades, Beckenham, Croom Helm, 1985.

اتفاقية نزع السلاح بسيناء



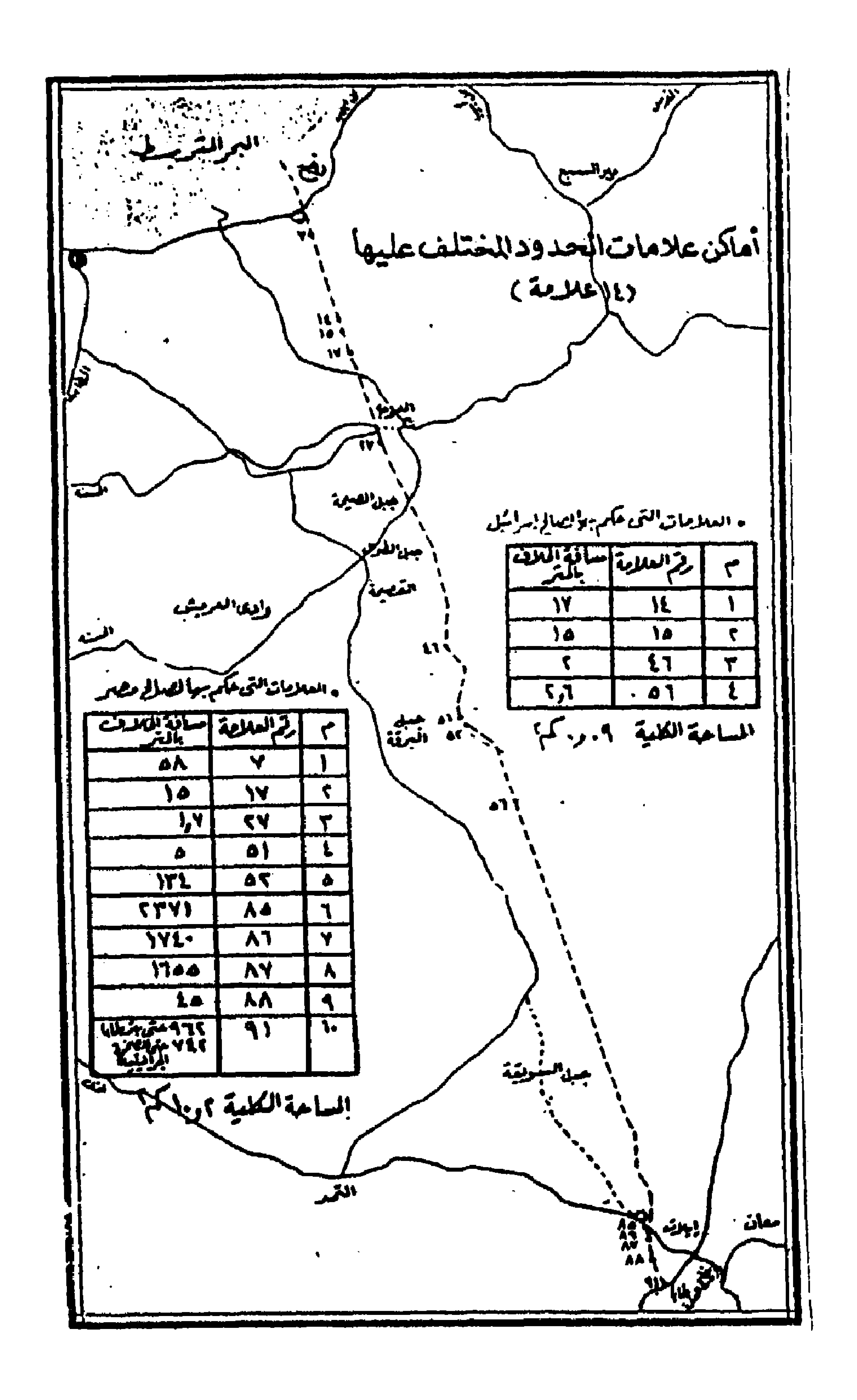
المصدر: Akehurst, M., The Peace Treaty between Egypt and Israel, International Relation, VII, May 1981, p. 1035

مراحل تطور الحدود المصرية الفلسطينية



اتفاقية السلام المصرية – الإسرائيلية

- المناطق الأمنية (أ) و (ب) و(ج) داخل سيناء
- المنطقة الأمنية (د) داخل إسرائيل



• العلامات التي حكم بها لصالح مصر

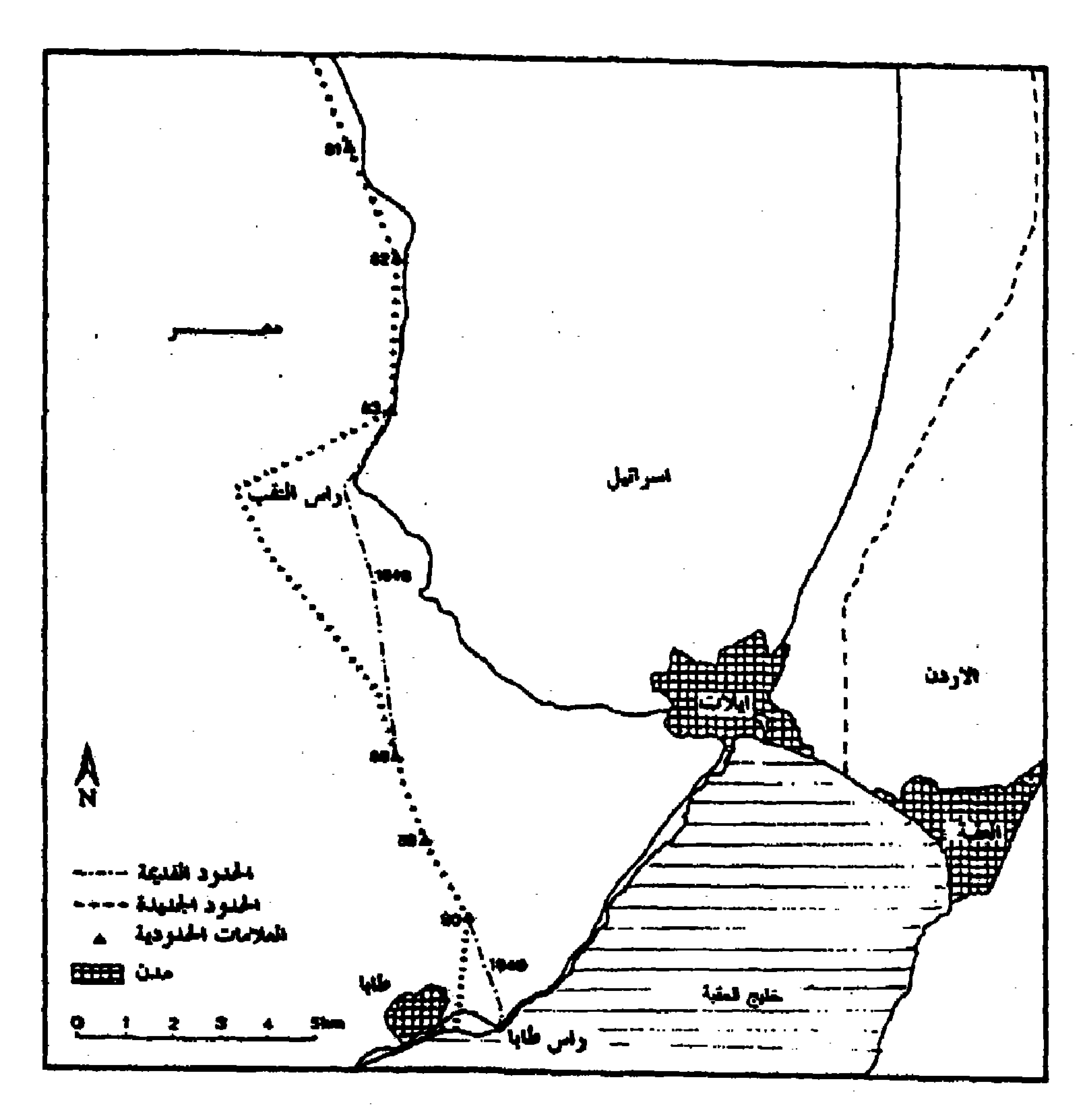
م	رقم العلامة	مسافة الخلاف بالمتر
١	٧	٥٨
٢	١٧	١٥
٣	٢٧	١,٧
٤	٥١	٥
٥	٥٢	١٣٤
٦	٨٥	٢٣٧١
٧	٨٦	١٧٤٠
٨	٨٧	١٦٥٥
٩	٨٨	٤٥
١٠	٩١	٩٦٢ حتى طابا ٧٤٢ حتى الأراضي الإسرائيلية

المساحة الكلية ٢ر١٠ كم٢

• العلامات التي حكم بها لصالح إسرائيل

م	رقم العلامة	مسافة الخلاف بالمتر
١	١٤	١٧
٢	١٥	١٥
٣	٤٦	٢
٤	٥٦ .	٢,٦

المساحة الكلية ٠٩ر٠ كم٢



المصدر: Lapidoth, R., The Problem of Taba and Solving Disputes Peacefully, Journal of International Studies, 18-3, 1986, p. 255.

طابا وتحديد الحدود الجديدة بين مصر وإسرائيل

(112) واستطاع الجيش المصرى أن يعبر أقـوى عائق مائى على مدار التاريخ واخترق خط بارليف فى خمس مواقع بين القنطرة والسويس، وتولى الجيش الثانى الهجوم شمـالى البحيرات المرة، وتولى الجيش الثـالث جنوبا حتى السويس. وفى اليوم الرابع من الهجوم كانت قناة السويس بجانبيها تحت السيطرة المصرية إلى عمق 10-20 كـيلومتـر شـرق القناة. وفى 16 أكـتوبر اخـتـرقت فصـائل من الجـيش الإسرائيلى وعـبرت القناة غربا عند «الدفـرسوار» وهو ما عـرف استراتيجـيا باسم «الثغرة» وتدفق جنوبا إلى السويس وتجاوزها جنوبا، وحوصر الجيش الثالث إلى أن حدث وقف لإطلاق النار وهدنة.

(2) جرت مباحثات الكيلو 101 فى 24 يناير 1974 التى اتفق فيها على فك الاشتـباك. ثم نشطت الجـهود الدبلوماسـية التى بلغت قـمتهـا فى زيارة السادات للقدس فى 19 نوفمـبر 1977. ثم جرت مبـاحثات «كامب ديفـيد» فى الولايات المتحدة التى امتدت 12 يوما وانتهت باتفاق فى 17 سبتمبر 1978. وفى 29 مارس 1979 وقع الرئيس السادات ورئيس وزراء إسرائيل «مناحم بيـجين» معاهدة السلام الإسرائيلية المصـرية فى واشنطن بحضور الرئيس الأمريكى «جيـمى كارتر». وكان رد الفعل العربى عنيـفاً وسريعاً واتسم بالرعونة، فـفى اليوم التالى يوم 27 مارس اجتمـع وزراء الخارجية العـرب فى بغداد وقرروا تعليق عضـوية مصر فى الجامـعة العربية ونقل مقرها لتونس.

(24) وتقرر فى معاهدة السلام خـروج إسرائيل من كامل أرض سيناء، وقد كان الخـروج على مراحل حـتى تم بالكامل فى 25 إبريل عام 1982. وبمقتـضى معاهدة السلام فقد قسمت سـيناء أمنياً إلى ثلاث مناطق داخل سيناء يقابلها منطقة أمنية داخل إسرائيل. فـفى المنطقة (أ) داخل سيناء توجد قـوات للجيش المصرى، وفى المنطقـة (ب) توجد قـوات الحدود المصرية، وفى المـنطقة (جـ) توجـد قوات الشرطة المصـرية. وفى داخل إسرائيل توجد المنطقة (د) يسـمح فيها بأربـع كتائب مشاة من الجيش الإسرائيلى بدون مدفعية أو دبابات أو صواريخ.

(46) وعلى خط الحدود بين إسرائيل وسـيناء تنتشر قوات متعـددة الجنسيات تابعة للأمم المتحدة ومراقبون "Multinational Force & Observers " MFO. وقد حدث خلاف على تبعـية آخر نقطة حدودية على خليج العقـبة عند طابا، واحتاج حسم الموضوع إلى اللجـوء للتحكيم الدولى الذى أكد تبعيـة طابا للسلطة المصرية وكان ذلك عام 1989.

كلمة الختام

فى ختام هذا الكتاب الذى سجل طرفا من أخبار رواد الصحراء عبر التاريخ، فإن الحديث لا يكون مكتملاً إلا بذكر واقعنا الذى يحتم تعمير جزء من هذه الصحارى.

لقد بدأ الاهتمام الجاد بتنمية صحارى مصر منذ القرن التاسع عشر، وانصب الاهتمام على الاستفادة من موا.دها التعدينية، ثم الاستفادة مما اكتشف فيها من موارد بترولية ، ثم بُحثت مواردها من المياه الجوفية بهدف الاستزراع، ثم توجهت تنمية السيا حة إلى شواطئها المطلة على البحرين الأحمر والمتوسط وخليجى العقبة والسويس.

والحديث فى الكتاب الثانى هو عن «رواد تنمية الصحارى المصرية»، وهو حديث عن الحاضر ونظرة للمستقبل. فهو يتناول ما يجرى إنجازه من مشروعات صحراوية، ويتناول الخطط والاستراتيجيات المستقبلية وإلى أى مدى يمكن تحقيق تعمير جزء من الصحارى وتخفيف الكثافة السكانية حول النيل.



المصادر

1 - إسماعيل، حسن: مشروع منخفض القطارة (تقرير غير منشور 15/ 2/ 1988).

2 - إسماعيل، محمد حافظ: «أمن مصر القومى فى عصر التحديات» كتاب إصدار مركز الأهرام للترجمة والنشر 1987.

3 - أطلس القطر المصرى: المذكرات الملحقة بالأطلس - قدم للمؤتمر الجغرافى العالمى، القاهرة ، عام 1928.

4 - البرّى ، عبد الله خورشيد. «القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة »، كتاب إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.

5 - الجوهرى ، رفعت: «ساحل المرجان وصحراء البحر الأحمر». كتاب إصدار الدار القومية للطباعة والنشر ، 1964.

6 - السكرى ، على على: «العرب وعلوم الأرض» كتاب إصدار منشأة المعارف بالإسكندرية 1973.

7 - السعدنى ، عزت: رحلة السيد المسيح فى مصر تحقيق صحفى (الأهرام) 28 يونيه 2008.

8 - الطحلاوى ، محمد رجائى جودة: «أبو الحسن الشاذلى - رحلة الاغتراب من زغوان إلى عيذاب» كتاب إصدار خاص مارس 2007.

9 - العدل ، صبرى أحمد: «سيناء فى التاريخ الحديث (1869/ 1917)». كتاب إصدار دار الكتب والوثائق المصرية.

10 - العقون ، أم الخير: إطلاله على الصلات بين مصر وشمال إفريقيا - فجر التاريخ ومرحلة ما قبل الأسرات. دراسة: المؤتمر الثامن للآثاريين العرب- القاهرة، نوفمبر 2005.

11 - الفار، درويش مصطفى: مقتطفات من دراسات لم تنشر.

12 - القاضى ، خالد محمد: «طابا مصرية» كتاب (مكتبة الأسرة) إصدار الهيئة المصرية للكتاب 2000.

13 - القوصى ، عطية: «تاريخ دولة الكنوز الإسلامية» كتاب إصدار دار المعارف - القاهرة 1976.

14 - القيسونى ، محمود عبد المنعم: محمية الجلف الكبير- من وجهة نظر السياحة البيئية. دراسة مقدمة لوزارة السياحة - إبريل 2007.

15 - المتحف الجيولوجى المصرى - الأهمية والتاريخ. نشرة للهيئة المصرية العامة للثروة المعدنية 2006.

16 - الموسوعة العربية العالمية : إصدار مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع- الرياض 1999.

17 - الهيئة الهندسية للقوات المسلحة المصرية. نشرة إدارة المساحة العسكرية 2007.

18 - إمبابى ، نبيل سيد: المذكرة التفسيرية للخريطة الجيومورفولوجية لإقليم جنوب الصحراء الغربية. مشروع اليونسكو EGY /97/511 القاهرة 2004.

19 - برج ، محمد عبد الرحمن: «قناة السويس: أهميتها السياسية والاستراتيجية 1914/ 1956» كتاب إصدار دار الكتاب العربى للطباعة والنشر 1969.

20 - برج ، محمد عبد الرحمن: «عزيز المصرى والحركة العربية (1908/ 1916)» كتاب إصدار مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية 1979.

21 - بروشين ، ن. أ: «تاريخ ليبيا فى العصر الحديث من منتصف القرن الـ 16 حتى مطلع القرن الـ 20». كتاب ترجمة عماد حاتم إصدار سلسلة الدراسات المترجمة- ليبيا (العدد28) 1991.

22 - بروشين ، ن. أ: «تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969». كتاب ترجمة عماد حاتم. إصدار سلسلة الدراسات المترجمة- ليبيا (العدد 11) 1988.

23 - حسنين ، أحمد محمد: «فى صحراء ليبيا» (جزئين). إصدار شخصى (مطبعة مصر).

24 - خرائط مراحل الانسحاب الإسرائيلى من سيناء عقب حرب 1973، توزيع مناطق السيادة وقوة الجيش والشرطة حسب معاهدة السلام مع إسرائيل عام 1979.

25 - راتب ، حسن كامل: «سيناء: قلب ينبض لمصر». كتاب إصدار دار الهلال ، مايو 2003.

26 - رزق ، يونان لبيب: صاحبة الجلالة الصحراء (بعثة الأهرام إلى صحراء ليبيا). تحقيق صحفى (أهرام 4 مارس 2004).

27 - رزق ، يونان لبيب: رجل الصحراء أحمد محمد حسنين تحقيق صحفى (أهرام 10 أغسطس 2000).

28 - رزق ، يونان لبيب: معركة توشكى. تحقيق صحفى (أهرام 15 ديسمبر 2005).

29 - رمضان ، عبد العظيم: «الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية». كتاب إصدار دار المعارف 1983.

30 - رمضان، عبد العظيم: «الجيش المصرى فى السياسة (1882/1936)» كتاب إصدار الهيئة المصرية للكتاب 1977.

31 - رياض ، محمد. العبابدة: دراسة فى الاقتصاد الصحراوى. دراسة: مجلة الجمعية الجغرافية المصرية 1961.

32 - سعيد ، رشدى: «نهر النيل» كتاب إصدار دار الهلال 1993.

33 - سعيد ، رشدى - ومايز يللوز: قائمة ببعض الأبحاث العلمية التى تمت عن سيناء ضمن «موسوعة سيناء» إصدار المجلس الأعلى للعلوم 1960.

34 - سيد ، عبد المنعم عبد الحليم: «البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة». كتاب إصدار دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية- يناير1993.

35 - شاور ، آمال: الإطار الجغرافى للبحر الأحمر ومجموعاته الجزرية. دراسة (الملف العلمى) فى كتاب «جزر البحر الأحمر» إصدار معهد الدراسات العربية.

36 - شطا ، عبده: جيولوجية شبه جزيرة سيناء. دراسة ضمن «موسوعة سيناء».

37 - شقير ، نعوم: «تاريخ سيناء القديم والحديث مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب». إصدار الكتاب دار المعارف 1916.

38 - صالح ، عبد العزيز: «الشرق الأدنى القديم - مصر والعراق». كتاب طباعة المطابع الأميرية بالقاهرة 1967.

39 - عافية ، محمد سميح: «أيام فى السودان» كتاب إصدار الهيئة العامة للكتاب 2007.

40 - عافية ، محمد سميح: نشأة جزر البحر الأحمر وتطورها الجيولوجى. دراسة ضمن (الملف العلمى) كتاب «جزر البحر الأحمر».

41 - عافية ، محمد سميح: استراتيجية تعمير صحارى مصر. دراسة لحساب المجالس القومية المتخصصة - لم ينشر.

42 - عافية ، محمد سميح: «التعدين فى مصر قديماً وحديثاً - الجزء الأول التعدين القديم» كتاب إصدار الهيئة العامة للكتاب 1985.

43 - عافية ، محمد سميح: «الجزء الثانى: التعدين فى مصر الحديثة» كتاب إصدار الهيئة العامة للكتاب 1993.

44 - عافية ، محمد سميح: «الجزء الثالث: التنمية التعدينية المعاصرة فى مصر» كتاب إصدار الهيئة العامة للكتاب 1998.

45 - عبد الجواد ، نيفين: «أديرة وادى النطرون (دراسة أثرية وسياحية)». كتاب إصدار مكتبة الأسرة - سلسلة العلوم الاجتماعية 2007.

46 - عبد الملك ، مينا بديع: صحراء الرهبنة. دراسة فى مجلة «وجهات نظر» - القاهرة ، يناير 2008.

47 - عتلم ، حازم: جزر البحر الأحمر والقانون الدولى الجديد للبحار دراسة (الملف العلمى) ضمن كتاب «جزر البحر الأحمر».

48 - على ، كمال الدين حسين. «أبو الحسن الشاذلى» كتاب إصدار شخصى 1992.

49 - عيسوى ، محمد البهّى: جيولوجية الحقب الرابع بمصر. تقرير غير منشور للمساحة الجيولوجية المصرية.

50 - عيسوى ، محمد البهى: تقرير غير منشور عن رحلة بحر الرمال العظيم وهضبة الجلف الكبير - 10/17 مارس 1981.

51 - غلاب ، محمد السيد: الجغرافية البشرية والتاريخية لشبه جزيرة سيناء. دراسة ضمن كتاب «موسوعة سيناء» 1960.

52 - فخرى ، أحمد: تاريخ شبه جزيرة سيناء منذ أقدم العصور حتى ظهور الإسلام، دراسة ضمن كتاب «موسوعة سيناء» 1960.

53 - قنواتى ، جورج شحاته: «المسيحيـة والحضارة العربية». كتاب إصدار دار الثقافة - القاهرة 1992.

54 - كاشف ، سيدة إسماعيل: «مصر فى فجر الإسلام: من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية»، كتاب إصدار دار الفكر العربى- القاهرة 1947.

55 - كرم، جـاسم محـمد: مـراحل ترسيم الحدود السـياسـية بين مـصر وفلسطين المحتلة. دراسة فى مجلة الجمعية الجغرافية المصرية 2003.

56 - كمال ، أحمد عادل: «أطلس الفتوحات الإسلامية» إصدار دار السلام للنشر - القاهرة 2005.

57 - كمـال ، أحمـد عادل: «الفتح الإسـلامى لمصر» إصـدار دار السلام للنشر - 2003.

58 - لجنة دراسة جزيرة الزبرجد: تقرير عن زيارة 4-10/ فبراير 1990 مقدم لهيئة القطاع العام للتعدين والحراريات مارس 1990.

59 - محمود ، عبد الحليم: «أبو الحسن الشاذلى: الصوفى المجاهد العارف بالله». كتاب من سلسلة أعلام العرب (72) إصدار وزارة الثقافة 1967.

60 - محمد ، نادر نور الدين: زراعة الصحراء بين الواقع والمأمول. دراسة جريدة الأهرام 21 يوليه 2008.

61 - مراد ، محـمود: أول قمر صناعى فى مشروع الفـضاء المصرى ندوة جريدة الأهرام 21 مارس 2007.

62 - مصطفى، جيـهان: اكتشافـات أثرية هامة بالصحراء الغربيـة. تحقيق أهرام 6 إبريل 2001.

63 - مـصلحـة المساحـة المصـرية: خـرائط أطلس القطر المصـرى- المؤتمر الجغرافى الدولى 1928.

64 – مقال لأحد المحررين: جيولوجى مصرى يكشف سر حجر قلادة توت عنخ آمون. الأهرام 15 فبراير 2001.

65 – مقال لأحد المحررين: البحث عن جيش قمبيز الذى ابتلعته الصحراء. الأهرام 11 ديسمبر 2000.

66 – نجّار ، نهى: «الديانـة المسيحـية». كتـاب ضمن موسـوعة الأديان ، إصدار دار الفكر اللبنانى، بيروت 1995 .

67 – واصف ، عطا الله مـجلّى: تاريخ مسح سـيناء وحالـتهـا المسـاحـية الراهنة. دراسة ضمن «موسوعة سيناء» 1960 .

68 – والترز ، ك. ك. : «الأديرة الأثرية فى مصر» (ترجـمة إبراهيم سلامة إبراهيم). إصدار الهيئة العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) 2005.

69 – يونس ، أحمد كمال: «الصحراء» كتاب مترجم عن أ. ف. جوتييه. إصدار الألف كتاب (117) وزارة التربية والتعليم.

70 – وزارة الصناعة (قطاع البتـرول): نشرة «البترول فى الجمهـورية العربية المتحدة» 1960 .

71- Abdel Tawab, Moh. A. et al.,

Archoeologic des anciennes mines de cuivre et d'or des regions Urf/ Mongal Sud / Dara Ouest L'Institute Francaise d'Archoeologie Oriental-1990.

72- Abe Tawab, Moh. A

Gold exploration in Egypt from Phoroonic to Modem times Geol. Palaont. - Teil I - Stuttgart 1998.

72- Abdin, Shawky

Egyptian General Petroleum Corporation EGPC in International oil and gas ventures held by AAPB.

73- Abed, Wael T.

The other Egypt : Travels in no-man's land zarzura expedition (Tourism Development Authority).

74- Abel, H.

Gerhard Rohlfs : Life and Work

Annals of EGSMA, vol V 1975.

75- Almanac, Egypt

The Incyclopedia of Modern Egypt 2003.

76- Rushdi Badra

Moses and Ramses

Private publication - Jan 2000 - Cairo.

77- Ball, J.

Egypt in the classical geographers survey of Egypt 1942.

78- Ball, J.

The Qattara depression of the Liubyan Desert

Geol. Journ. - London 1933.

79- Barich, Barbara and F. Hassan

Geoarcheology of Forafra and the origin of agriculture in the Sahara and the Nile Valley

Geol. Surv. Of Egypt 1995.

80- Bergmann, Corlo

Discoveries in the Western Desert of Egypt

Internet http/www.carlo Bergmann-com.

81- Breasted, J. H.

A history of Egypt

Hadder and Stroughton - London 1959 .

82- Butzer, K. W.

Environment and Human Ecology: 1959

Egypt during Pre-dynastic and early dynastic times .

83- Castel, George et. Al.,

Les Mines de galena Pharaoniques du Gebel El Zeit

Bull Soc. Franc. D"Egyptologie 112 - Juin 1988.

84- Churchill, Winston S.

The Second World War (abridged edition)

Cassell and Co. Lid. - London 1959.

85- Clayton, Peter

Desert Explorer (Biography of Patrik A. Clayton)

Zerzura Press - U.K. - March 1998.

86- Conference (International) on AncientEgyptian

Mining and Metallurgy and conservation of metallic artifacts

Cairo 10/12 April 1995.

87- East, W. Gordon

The making of maps

Marshall Covendish Books - 1969 London .

88- El Baz, F. et. Al.,

Journey to the Golf Kebir and Oweinat S.W. Egpt 1978

The geographical Journal Vol. 146, Partz, March 1980.

89- El Kammar, Ahmed and Ali Barakat et. Al.,

Recent research on the origin of Lybian Glass

The Mineralogical Society of Egypt 27 Dec. 2006.

90- Embaby, Nabil

Distribution of Ancient Playas in the W. Desert

Bull. Geogr. Soct. - Egypt 1999.

91- Embaby, Nabil

Caves in Egypt

Bll. De la Soc. Geogr. D' Egypte Tome Lxxv11 - 2004.

92- Encyclopedia Britannica (new) 2002.

93- Fakhry, Ahmed

The Oases of Egpt : Baharyia and Farafra Oases

The American University in Cairo Press 1982.

94- Fakhry Ahmed

The Oases of Egypt : Siwa Oasis

The A.U.C. press 1982 .

95- Flers (de), Pauline et Philippe

L' Egpt de Sables : Une Civilization du Désért

[English editgion : Civilization in the Sands].

96- Geological Survery of Israel

Research in Sinai 1967 - 1978

List of publications - Jerusalem Oc. 1978.

97- Harrell, James and V. Max Brown

The 1150 B.C. Turin Papyrus

Jour. Geol. The Univ. of Chicago Vol. 100 - 1992.

98- Hassan, F. A. et al.,

Holocene Playa deposits of Farafra Oasis and their paleaclimatic and geoarcheological significance

Geoarcheology Journal Vol. 16 - 2001.

99- Hoffman, Michael A.

Egypt before the Pharaohs

Alfred A. Knoph - N. York 1979.

100- Issawi, B.

Tales and travels in the Western Desert of Egypt with a brief note on the history of the Geol. Surv. Geology of the Tethys 1st International Conference Vol. II - Cairo 2006.

101- John, Rosel und Wolfgang

Sinai and the Red Sea

The A.U.C. Press - English translation 1997.

102- Johnson, Janet H. and Donald Whitcomb

Quseir Al Qadim

The Oriental Institute of Archaeology 1977/78.

103- Kuper, Radolph et. Al., (HBI)

A concice report on the expedition to the Gilf

Kebir National Park

Report presented to : Nature Conservation Sector Egyptian Environmental Affairs Agency - March 2007.

104- Lamoreaux, Philip E. and Hussein Idris

The Exodus

World Way Press Inc. - U.S.A 1996.

105- Linton, Ralph

The Tree ofCulture

Alfred A. Knoph - N.Y. 1961.

106- Lucas, A.

Ancient Egyptian Materials and Industries (revised by J.R. Harris) - Edward Arnold - London 1962.

107- Meinardus, Otto F.A.

Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts

The Auc Press - 1989.

108- Meinardus, Otto F.A.

The Holy Family in Egypt - 1986.

109- Murray, G. W.

The Roman Roads and Slations in the Eastern Desert

Jour. Egypt. Arch. - Vol. II 1025.

110- Murray, G.W.

Dare me to the Desert - U.K. 1967.

111- Rothenberg, Beno et. Al.,

Sinai : Pharaohs, Miners, Pilgrims and soldiers Joseph J. Binns - N. Y. 1979.

112- Rothenberg, Beno

Pharaonic copper mines in S. Sinai

Institute for Archaeo - metallurgical Studies 1987.

113- Rothenberg, Beno

Reconnaissance Survey of Ancient Mining and Metallurgy in the

Mersa Alam Region E. Desert - Egypt Inst. Arch. - met. Studies 1998.

114- Schof, W.H.

The Periplus of the Erythrean Sea (translated) 1912.

115- Shell Magazine

CO2 from threat to valuable resource 2007.

116- Simons, E.L.

Eocene and Oligocene Mammals of Fayum, Egypt

Geol. Tethys Conf. - Cairo 2006.

117- Society, National Geographic

Ancient Egypt : Dicovering its Splenders 1978.

118- Swinson, Arthur

The raiders desert strike force

Illustrated World War II

Companion Book 1968.

119- Taniani, Marco

The ever changing climate : Late Quaternary paleoclimatic modification of the Red Sea region

Geoscience and Archaeology in the Mediterr. Countries.

120- Tousson, Omar (Prince)

Etude sur le Wadi Natron.

121- Vercoutter, J.

The gold of Kush

Journal of the Sudan Antiquities Service 1959.

122- Vivian, Cassandra

The Western Desert of Egypt

The A.U.C Press 2000.

123- Wendorf, Fred et. Al.,

Megaliths in the Egyptian Sahara

Sahara Mag. - Milano - Italy - 1993 / 1992.

124- White, Evelyn

Monasteries of the Wadi n-Natron (3 parts) edited by : Walter Hansen

MMA - N. York (1926 - 1933).

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الفصل الخامس	
رواد الصحراء الغربية	71

الموضوع	الصفحة
- فريدريش هورنيمان	135
- جيرهارد رولفس	135
- ويلفريد براملى	136
- هاردنج كنج	137
- أحمد محمد حسنين	139
- الأمير كمال الدين حسين	141
- الكونت لازلو إدوارد دالمس	143
- سير روبرت كلايتون	145
- حسن صبحى	147
- أحمد فخرى	148
- فاروق الباز	149
- البهى عيسوى	150
(ب) من رجال قوات الحدود ورجال مساحة الصحراء	151
- من رجال قوات الحدود.	151
- رالف باجنولد	151
- من رجال مساحة الصحراء:	153
- باتريك كلايتون	153
- جون بول وجورج موارى	153
- سيد عافية	155
- من رجال المساحة العسكرية	158

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

دار الكتاب الحديث

دار الكتاب الحديث

علوم الأرض والسكان

رواد الصحاري عبر التاريخ

دراسة ديموغرافية

من حقنا أن نعرف من هم الذين ارتادوا الصحراء على مدى التاريخ ، سواء لأغراض علمية ، أو سياحية ، أو اقتصادية ، أو غيرها من الأغراض.

ويروي هذا الكتاب طرفاً من سيرة رواد الصحاري على مدى مراحل التاريخ ؛ تمهيداً لتطويع الصحراء وعمل تنمية مست[illegible] الصحاري ترتكز على الثروة المعدنية ومصادر الطاقة و[illegible] الصحراوية .

